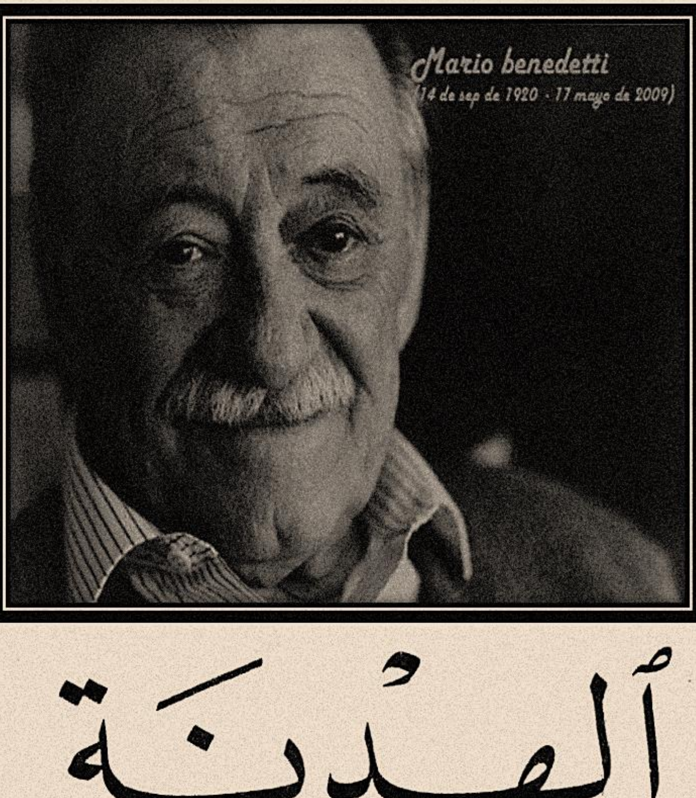
ماريو بينيديتي



الهدنة

ترجمة : صالح علماني

روايات عالمية « ٥٩ »

الإشراف الفني :

زهير الحمو

ماريو بينيديتي

الهدنة

تَرجَمة : صالح علماني

منشورات وزارة الثقافة
في الجمهورية العربية السورية
دمشق ١٩٩٧

العنوان الأصلي للكتاب:

MARIO BENEDETTI

LA TREGUA

EDITORIAL ARTE Y LITERATURA

Ciudad de La Habana, 1979

الهدنة = La Tregua/ ماريو بينيديتي؛ ترجمة صالح علماني . - دمشق: وزارة الثقافة، ١٩٩٧ . - ١٧٦ص؛ ٢٤سم . - (روايات عالمية؛ ٥٩)

١- ٨٦٣ كب ب ي ن هـ ٢- العنوان ٣- العنوان الموازي
٤- بينيديتي ٥- علماني ٦- السلسلة
مكتبة الأسد

الايداع القانوني: ع - ٦٧٠/ ٥/ ١٩٩٧

روايات عالمية

« ٥٩ »

يدي اليمنى سنونوة
يدي اليسرى شجرة سرو
رأسي من الأمام سيد حي
ومن الوراء سيد ميت

فيثنتي هويدوبرو

الاثنين ١١ شباط

لم يعد أمامي سوى ستة شهور وثمانية وعشرين يوماً كي أصبح مؤهلاً للاحالة على التقاعد. منذ خمس سنوات على الأقل وأنا أحسب هذا التقويم اليومي لرصيد عملي. هل البطالة ضرورية إلى هذا الحد حقاً؟ أنا أقول لا، ليست البطالة هي الضرورية وإنما حق العمل في واحد من الأعمال التي أحبها. ماذا على سبيل المثال؟ ربما في الحديقة. فالعمل فيها مناسب كراحة نشيطة في أيام الآحاد، ومعادل لحياة القعود، ووسيلة دفاع سرية أيضاً ضد التهاب المفاصل المؤكد الذي سيصيبني مستقبلاً. لكنني أخشى ألا أطيق العمل فيها يومياً. ربما لجأت إلى عزف الجيتار. أظن أن هذا يعجبني. لكن البدء بتعلم عزف الألحان الموسيقية سيكون أمراً محزناً في التاسعة والأربعين من العمر. أأكتب؟ قد لا أكون سيئاً في هذا المجال، فمعارفي على الأقل يستمتعون برسائلي. ومالذي يعنيه ذلك؟ أتصور ملاحظة تعريف قصيرة حول «القيم الجديرة بالاهتمام التي يطرحها هذا الكاتب الجديد وهو يدنو من الخمسين» ومجرد التفكير بهذا الاحتمال يثير فيّ النفور. وإذا كنت ماأزال أشعر، حتى اليوم، بأنني ساذج وغير ناضج (يعني أنني أملك مساوئ الشباب فقط، ولاأتمتع بأي من فضائلهم تقريباً) فإن هذا لايمنحني الحق في عرض هذه السذاجة والفجاجة على الآخرين. كانت لي ابنة عم عانس، وكان من عادتها كلما صنعت حلوى أن تريها للجميع، وترفق ذلك بابتسامة صبيانية كئيبة بقيت معلقة على شفتيها منذ ذلك الزمن الذي كانت تعرض فيه محاسنها أمام خطيبها، سائق الدراجة الذي قضى نحبه في أحد منعطفات الموت الكثيرة عندنا. لقد كانت ملابسها وكل شيء فيها منسجم تماماً مع سنوات عمرها الثلاث والخمسين؛ وكانت رصينة ومتزنة في هذا الأمر وسواه، لكن ابتسامتها تلك بالمقابل، كانت تبدو وكأنها تطلب صحبة

شفتين طازجتين، وبشرة فتية، وساقين مسبوكتين لفتى في العشرين، لقد كانت حركة مؤثرة، هكذا فقط، حركة لاتصل أبداً لأن تبدو مضحكة، إذ أن ذلك الوجه كان ينضح بالطيبة أيضاً. ياالكمية الكلمات التي استخدمتها، وكل ذلك كي أقول إنني لست مثيراً للشجون.

الجمعة ١٥ شباط

لكي يكون انتاجي في المكتب مقبولاً، عليّ أن أجبر نفسي على عدم التفكير في أن كسل البطالة صار وشيكاً إلى حد ما. وإذا مافعلت عكس ذلك، فإن أصابعي تتشنج والخط المدور الذي عليّ أن أسجل به التذييلات الأولية سيخرج مكسراً ودون أناقة. إن الخط المدور هو أحد أهم مرتكزات سمعتي كموظف. ويجب عليّ أن أعترف كذلك بأن رسم بعض الحروف، مثل الحرف «M» الكبير والحرف «b» الصغير، التي سمحت لنفسي بإدخال بعض التجديد عليها، تبعث فيّ السعادة. أقل ماأكرهه في عملي هو الجزء الآلي، الروتيني منه: كالعودة إلى استنساخ مدونات كنت قد استنسختها آلاف المرات، أو اجراء مراجعة لرصيد الحساب والتوصل إلى أن كل شيء على مايرام، وأنه ليس ثمة فروق يجب البحث عنها. مثل هذا النوع من العمل لايرهقني، لأنه يتيح لي التفكير في أمور أخرى، بل إنه (ولماذا لاأقول ذلك لنفسي؟) يتيح لي أن أحلم أيضاً. انني أبدو عندئذ وكأنني أنقسم إلى كائنين مختلفين، متناقضين، مستقلين، أحدهما يعرف عمله عن ظهر قلب ويسيطر سيطرة تامة على التبدلات والمنعطفات، واثق على الدوام أين يضع قدمه. أما الآخر، فحالم محموم، وعاطفي محبط؛ شخص كئيب لكنه بالرغم من ذلك كان ومايزال وسيبقى ميالاً إلى السعادة؛ ساه لايهمه أين يجري القلم ولاالأشياء التي يخطها الحبر الأزرق الذي سيصبح أسود بعد ثمانية شهور.

ليس الروتين هو الأمر الذي لايطاق في عملي ؛ بل المشكلة الجديدة، كالطلب المفاجئ الذي تخرج به علينا الادارة الشبحية المختفية وراء المحاضر والأوامر الادراية والمكافآت، أو السرعة التي يُطلب فيها منا اعداد تقرير أو بيان مفصل أو تقدير مسبق للايرادات. عندئذ، ولأن الأمر يصبح أكثر من مجرد روتين، لابد لنصفيّ من أن يعملا في اتجاه واحد، فلا أعود قادراً على التفكير بما أشاء، ويستقر الارهاق في ظهري وعنقي وكأنه رقعة ذات مسامات. ماذا تعنيني الأرباح المحتملة لشركة برنوس دي بيستون في النصف الثاني من السنة المالية ماقبل الأخيرة؟ وماذ تعنيني الوسيلة الأكثر جدوى لتقليص النفقات العامة؟

لقد كان هذا اليوم يوماً سعيداً؛ اقتصر على الروتين وحسب.

الاثنين ١٨ شباط

لاأحد من ابنائي يشبهني، فجميعهم، بادئ ذي بدء، أكثر حيوية مني. وهم يبدون دائماً أكثر تصميماً، وغير معتادين على التردد. استيبان هو أكثرهم توحداً. ولست أدري حتى الآن إلى من يوجه كراهيته، لكن المؤكد أنه يبدو مستاء. أظنه يكن لي الاحترام، لكن هذا الأمر لايمكن التأكد منه أبداً. ربما كان خيمي هو ابني المفضل، مع انني لاأكاد أتفاهم معه. انه يبدو حساساً، وذكياً كذلك، لكنه لايبدو لي شديد النزاهة. من الواضح ان هناك حاجزاً يقوم بيني وبينه. يخيل إلى أحياناً أنه يكرهني، وأرى في أحيان أخرى أنه يحترمني. أما بلانكا ففيها على الأقل شيء مشترك يجمع بيني وبينها: إنها كئيبة ولديها ميل خفي إلى السعادة. وفيما عدا ذلك، هي شديدة الغيرة على حياتها الخاصة، ولاتقُبل على تبادل الحديث معي لأشاركها مشاكلها الصعبة. وهي التي تبقى أطول فترة في البيت، وربما تشعر بأنها مستعبدة إلى حد ما بفوضانا، وتدابير طعامنا، وملابسنا المتسخة.

إن علاقاتها بأخويها تصل أحياناً إلى حافة الهستيريا، لكنها تعرف كيف تسيطر على نفسها، وتعرف كذلك كيف تسيطر عليهما. ربما كانوا يحبون بعضهم بعضاً في أعماقهم، لكن حب الأخوة يحمل معه قسطاً من الحنق المتبادل الذي تضفيه العادة. لا، إنهم لايشبهونني. حتى ولا في المظهر الخارجي. فعيون استيبان وبلانكا مثل عيني ايزابيل، بينما ورث خيمي عنها الجبهة والفم. مالذي كانت ستفكر فيه ايزابيل لو أنها استطاعت رؤيتهم اليوم مشغولين، منهمكين في أعمالهم وناضجين؟ لدي سؤال أفضل من هذا: مالذي سأفكر فيه أنا بالذات لو أنني استطعت لقاء ايزابيل اليوم؟ إن الموت تجربة مملة بالنسبة للآخرين، خصوصاً بالنسبة للآخرين. أما أنا فعلي أن أشعر بالفخر لأني أصبحت أرمل ولدي ثلاثة أبناء، وقد استطعت أن أواصل بهم قدماً. لكنني لاأشعر بالفخر، وإنما بالتعب. الشعور بالفخر حين يكون عمرهم عشرين أو ثلاثين سنة. أما السير قدماً مع ابنائي فكان أمراً اضطرارياً. إنه المخرج الوحيد كي لايواجهني المجتمع موجهاً إليّ تلك النظرة الحتمية التي يحتفظ بها للآباء القساة. لم يكن هناك حل آخر، فسرت قدماً. لكن كل شيء كان اضطرارياً تماماً على الدوام، ربما لكي أستطيع الشعور بالسعادة.

الثلاثاء ١٩ شباط

في الساعة الرابعة مساء، أحسست فجأة بخواء لايطاق. فكان عليّ أن ألقي على كتفي السترة المصنوعة من قماش الألباكا وأن أخبر دائرة الموظفين بأنه عليّ أن أذهب إلى مصرف ريبوبليكا لأسوي قضية الحوالة. كان كذباً. لكنني لم أعد قادراً على تحمل رؤية الجدار الذي قبالة طاولتي.. الجدار الذي يملأه ذلك التقويم الهائل لشهر شباط المخصص للوحة لغويا. مالذي يفعله غويا في هذه المؤسسة القديمة التي تستورد قطع تبديل للسيارات؟ لست أدري مالذي كان سيحدث لو أنني واصلت تحديقي

الأحمق في التقويم. ربما كنت سأصرخ، أو أبدأ بنوبة عطاس متسلسلة من تلك النوبات التحسسية التي تأتيني عادة، أو ربما كنت سأتعرق ببساطة فقط على صفحات الدفتر الكبير النظيفة. فقد أصبحت أعرف أن حالات ماقبل الانفجار التي تصيبني لاتؤدي دائماً إلى الانفجار. إنها تنتهي أحياناً إلى مذلة جلية، وإلى إذعان محتم للظروف وضغوطها المتنوعة والمهينة. ومع ذلك فانني أرغب في اقناع نفسي بأنه عليّ ألا أسمح لنفسي بالانفجار، وبأنه لابد لي من وقف هذه الانفجارات جذرياً تحت طائلة فقدان توازني. عندئذ أخرج من المكتب مثلما خرجت اليوم، وانطلق في عملية بحث ضارية عن الهواء الطلق، عن الأفق، ومن يدري عن أي أشياء أخرى. حسن، قد لاأصل أحياناً حتى إلى الأفق، واكتفي بالركون قرب نافذة أحد المقاهي ومراقبة منظر بعض السيقان الجميلة.

انني واثق من أن المدينة تكون شيئاً آخر خلال ساعات العمل في المكتب. فأنا أعرف مونتفيديو الرجال الموقوتين، أولئك الذين يدخلون في الثامنة والنصف صباحاً ويخرجون في الثانية عشرة، ثم يعودون في الثانية والنصف ليخرجوا نهائياً في السابعة. لأن علاقة قديمة تجمعني بهذه الوجوه المقطبة المتعرقة، وهذه الخطوات المتسرعة والمتعثرة. ولكن هناك المدينة الأخرى، مدينة النحيلات الطازجات اللواتي يخرجن عند العصر وقد استحممن لتوهن، المتعطرات، الخفيفات، المتفائلات، المتظارفات؛ ومدينة الأبناء المدللين الذين يستيقظون عند الظهيرة، وفي الساعة السادسة تكون ياقاتهم ماتزال بكامل زهوها؛ مدينة المسنين الذين يركبون حافلة الأومنيبوس حتى الجمارك ثم يعودون دون أن ينزلوا من الحافلة، مقتصرين بلهوهم البريء على مجرد القاء نظرة تنعش ذاكرتهم وهم يتجولون في مدينة أشواقهم الغابرة؛ مدينة الأمهات الشابات اللواتي لايخرجن في الليل مطلقاً، و يدخلن السينما بوجوههن التي تحمل ملامح من اقترفن ذنباً (عند تقاطع شبارعي ١٥ : ٣٠)؛ مدينة المربيات اللواتي يغتبن أسيادهن بينما

الذباب يأكل وجوه الأطفال الذين في عهدتهن؛ مدينة المتقاعدين والمتطفلين بكل أنواعهم، أولئك الذين يظنون أنهم يضمنون الجنة بتقديمهم لباب الخبز إلى حمائم الساحة. هؤلاء هم الذين أجهلهم، حتى الآن على الأقل. إنهم يتمتعون براحة في الحياة لابأس بها، بينما أعاني أنا انهياراً عصبياً مقابل تقويم شهر شباط الذي يحمل صورة لوحةٍ لغويا.

الخميس ٢١ شباط

بينما كنت عائداً من المكتب هذا المساء، استوقفني رجل مخمور في الشارع. لم بطلق الاحتجاجات ضد الحكومة، ولم يقل إننا، أنا وهو، أخوان؛ ولم يتطرق إلى أي موضوع من المواضيع العديدة التي يتناولها السكارى عادة في العالم كله. كان سكيراً غريباً، في عينيه بريق خاص. أمسكني من ذراعي وقال وهو يكاد يستند إليّ: «أتعرف مالذي أصابك؟ إنك لاتذهب إلى أي مكان». وفي تلك اللحظة مرّ بجانبنا شخص آخر، فنظر إليّ نظرة بشوشة تشير إلى التفهم، بل ووجه إلي غمزه تضامن كذلك. لكنني أعاني القلق منذ أربع ساعات، وأشعر وكأني لم أذهب فعلاً إلى أي مكان، وانني لم أدرك ذلك إلا الآن فقط.

الجمعة ٢٢ شباط

عندما سأحال على التقاعد، لن أكتب على ماأعتقد مزيداً من هذه المذكرات، لأن مايعترضني من أحداث سيكون أقل عندئذ دون ريب، وسينتابني احساس لايطاق بالخواء، فكيف لي أن أترك إقراراً مكتوباً عن هذا الوضع. لعل أفضل مايمكنني عمله عندما أحال على التقاعد هو أن أتخلى عن كل شيء وأفرغ لحياة البطالة، لنوع من السبات التعويضي، حتى تسترخي أعصابي وعضلاتي وهمتي بعض الاسترخاء وتعتاد على الموت اللائق. ولكن، لا. هنالك لحظات يتملكني فيها أمل مترف بأن البطالة هي

أمر متكامل وغني، وانها الفرصة الأخيرة كي أجد نفسي. وهذا شيء جدير بأن أدونه.

السبت ٢٣ شباط

تناولت الغداء اليوم وحيداً في مركز المدينة. وبينما أنا عائد في شارع ميرثيديس، التقيت صدفة بشخص أسمر. وجه لي تحية أول الأمر. ولابد أنني نظرت إليه بفضول، لأن الرجل توقف ومدّ يده نحوي بشيء من التردد. لم يكن وجهاً مجهولاً بالنسبة إلي. خيل إلي وكأنه رسم كاريكاتيري لشخص كنت أراه بكثرة في زمن آخر. صافحته وأنا أتمتم باعتذارات، وأعترف بحيرتي. «مارتين سانتومي؟»، سألني بابتسامة أظهرت أسنانه المنخورة. إنني مارتين سانتومي بالطبع، لكن حيرتي كانت تتزايد أكثر فأكثر وهو يسألني: «ألا تتذكر شارع براندثين؟» حسن، لاأتذكره جيداً. لقد مرّ على ذلك ثلاثون سنة، وأنا لست معروفاً بقوة ذاكرتي. لقد عشت في شارع براندثين طبعاً حين كنت أعزب، ولكن لو جاء من يحطمني بالضرب بالعصي لما استطعت القول كيف كانت واجهة البيت، وكم عدد شرفاته، ومن كان يسكن بجانبنا. «ومقهى شارع ديفنسا؟» الآن تذكرت شيئاً، لقد انقشع الضباب قليلاً ورأيت للحظة كرش الغاليسي الفاريث بحزامه العريض، فهتفت متذكراً: «طبعاً، طبعاً». «طيب، أنا ماريو بيغنالي». ماريو بيغنالي؟ لاأتذكر الاسم. أقسم أني لاأتذكره. لكنني لم أملك الشجاعة للاعتراف بذلك. كان الرجل يبدو متحمساً جداً للقاء.. قلت له نعم، وطلبت منه أن يعذرني، وقلت له إن ذاكرتي سيئة في استذكار الناس، وإنني التقيت الأسبوع الماضي بابن عمٍ لي ولم استطع التعرف عليه (كذب). وطبعاً كان لابد لي من تناول فنجان قهوة معه، أي أنه دمر قيلولتي السبتية. ساعتان وربع الساعة. انهمك طوال الوقت في اعادة بناء

التفاصيل، محاولاً اقناعي بأنه كان جزءاً من حياتي: «إنني مازلت أتذكر حتى العجة التي كانت تصنعها أمك. عجة لذيذة. كنت أجيء دائماً إلى بيتكم في الحادية عشرة والنصف علها تدعوني لآكل منها». وأطلق قهقهة رهيبة. فسألته وأنا ماأزال مرتاباً: «دائماً؟». عندئذ أصابته نوبة من الخجل المفرط: «حسن، فعلت ذلك ثلاث أو أربع مرات». أي القولين هو الحقيقة إذن؟ «وأمك، هل هي على مايرام؟» «لقد ماتت منذ خمس عشرة سنة». «كراخو. ووالدك؟». «مات هو الآخر منذ سنتين، في تاكواريمبو. كان يقيم في بيت عمتي ليونور». «لابد انه كان مسناً». طبعاً كان مسناً. يالهي، أي ممل هذا. عندئذ فقط صاغ أكثر الاسئلة منطقية: «وهل تزوجت من ايزابيل أخيراً؟» «أجل، ولدي ثلاثة أبناء»، أجبته مختصراً الطريق. هو لديه خمسة أبناء. ياله من محظوظ. «وكيف هي ايزابيل الآن؟ جميلة كالعادة؟» «لقد ماتت»، قلت له ذلك وأنا أكسو وجهي بأكثر التعابير غموضاً، ودوت الكلمة كأنها رصاصة، عندئذ أحس بالارتباك - وهذا من حسن حظي - فأسرع باحتساء فنجان القهوة الثالث، ثم نظر إلى الساعة في الحال. هنالك نوع من الانعكاس الآلي مابين الحديث عن الموت والنظر إلى الساعة في الحال.

الأحد ٢٤ شباط

ليس هناك من مخرج. فاللقاء مع فيغنالي أخضع ذهني لفكرة تسلطت عليه: تذكر ايزابيل. لم تعد المسألة مجرد التوصل إلى استحضار صورتها من خلال الحكايات العائلية، والصور، وبعض ملامح استيبان وبلانكا. إنني أعرف جميع تفاصيلها، لكنني لاأريد معرفة هذه الأشياء عبر وسيط.. إنني أريد أن أتذكرها مباشرة، أريد رؤيتها أمام عيني بكل تفاصيلها، مثلما أرى الآن وجهي في المرآة... ولاأتوصل إلى ذلك. أعرف أنه كانت لها عينان خضروان، لكنني لاأستطيع أن أشعر بأنني أقف أمام نظراتهما.

الاثنين ٢٥ شباط

قلما أجد نفسي مجتمعاً مع أبنائي. فأوقاتنا لاتتطابق دائماً، وأقل منها مشاريعنا واهتماماتنا. إنهم مهذبون في تعاملهم معي، ولكن كونهم فضلاً عن ذلك محافظين إلى أقصى الحدود، فإن تهذيبهم يبدو دوماً وكأنه محض قيام بالواجب تجاهي. فاستيبان مثلاً، يكبح نفسه دائماً كي لا يناقش آرائي. أيكون اختلاف الأجيال وحده هو مايفصلنا عن بعضنا بعضاً، أم أنني أنا المقصر ويمكنني أن أفعل المزيد للتواصل معهم؟ وأنا أراهم، على العموم، أقرب إلى الجحود منهم إلى الفتور، وانهم مستغرقون في التفكير أكثر مما كنت أستغرق فيه عندما كنت في مثل سنهم.

لقد تناولنا العشاء معاً اليوم. ربما لم نجتمع معاً حول عشاء عائلي منذ نحو شهرين. تساءلت، بلهجة مازحة، عن المناسبة التي نحتفل بها، ولكني لم أسمع صدى. نظرت بلانكا إلي مبتسمة وكأنها تريد أن تشعرني بأنها تفهم نواياي الطيبة، ولاشيء سوى ذلك. أخذت أراقب المقاطعات القليلة للصمت المقدس. خيمي قال إن الحساء دون طعم. فردت عليه بلانكا: «هاهو ذا الملح، على بعد عشرة سنتمترات عن يدك اليمنى» ثم أضافت بنبرة جارحة: «أتريد أن أناولك إياه؟» لقد كان الحساء دون طعم فعلاً، ولكن ماالفائدة؟ وأخبرنا استيبان أن ايجار البيت سيزداد ثمانين بيزو أخرى ابتداء من منتصف السنة. وبما إننا نساهم جميعاً في دفع الايجار، فإن الأمر ليس مهماً. راح خيمي يقرأ في الجريدة، فقلت: إن انشغال الناس بالقراءة أثناء تناول الطعام مع أسرهم يبدو لي مهيناً. فترك خيمي الجريدة. ولكنه لو واصل القراءة لكان الأمر سيان، إذ أنه بقي على تجهمه وعزلته. تحدثت عن لقائي مع بيغنالي، وحاولت اغراقه بالسخرية لأثير شيئاً من المرح في العشاء. لكن خيمي سألني: «أي بيغنالي هذا؟». «ماريو بيغنالي». «أهو

شخص نصف أصلع، وذو شارب؟» إنه هو. «فقال خيمي: «أعرفه. ياللرجل! إنه صديق فيريرا. إنه شخص بليد جلف» كنت أرغب في أعماقي في أن يكون بيغنالي شخصاً سيئاً، فهكذا لن يؤنبني ضميري على ازاحته عن كاهلي. لكن بلانكا سألت: «إنه يتذكر ماما إذن؟» بدا لي وكأن خيمي سيقول شيئاً. أظن أنه حرك شفتيه، لكنه قرر الاحتفاظ بصمته. فأضافت بلانكا: «ياله من محظوظ، فأنا لاأتذكرها». وقال استيبان: «أما أنا فأتذكرها» كيف يتذكرها؟ مثلما أتذكرها أنا، بذكريات عن ذكريات، أم مباشرة، مثل من يرى وجهه في المرآة؟ أيكون ممكناً له أن يحتفظ بصورتها في ذاكرته، ولم يكن عمره سوى أربع سنوات، بينما أنا الذي سجلت معها ليالي كثيرة، ليالي كثيرة، كثيرة، لم يبق لديّ أي شيء؟ كنا نمارس الحب في العتمة. قد يكون هذا هو السبب. من المؤكد أنه كذلك. أحتفظ بذاكرة لمسية من تلك الليالي، وهذه ذكرى مباشرة حقاً. ولكن، ماذا عن النهار؟ لم نكن نقضي النهار في العتمة. كنت أصل إلى البيت متعباً، ممتلئاً بالهموم، وربما حانقاً من الجور الذي لحقني هذا الأسبوع، أو هذا الشهر.

كنا ننظم نفقات البيت معاً. ولم يكن لدينا مايكفي حتى نهاية الشهر أبداً. ربما كنا نطيل النظر إلى الأرقام والحسابات والنفقات، ولم يكن لدينا من الوقت مايكفي لينظر أحدنا إلى الآخر. وماالذي تذكره مني هي، حيث هي موجودة الآن، إذا كان لها من وجود؟ ثم ماهي أهمية الذاكرة في نهاية المطاف؟ «أشعر أحياناً بالتعاسة لمجرد أني لاأعرف ماهو الشيء الذي أحن إليه»، دمدمت بلانكا بذلك وهي توزع علينا قطع الدُراّقن المحفوظة في الربُّ. كان نصيب كل واحد منا ثلاث حبات ونصف.

الأربعاء ٢٧ شباط

باشر سبعة موظفون جدد عملهم في المكتب اليوم: إنهم أربعة رجال

وثلاث نساء. كانت وجوههم رائعة الرهبة، وكانوا يوجهون إلى الموظفين القدماء بين الحين والآخر نظرة احترام حاسد. أرسلت إلي الادارة اثنين منهم (أحدهما في الثامنة عشرة والآخر في الثانية والعشرين) وفتاة في الرابعة والعشرين. وهكذا أصبحت رئيساً حقيقياً وكاملاً، فقد صار تحت سلطتي ستة موظفين. وللمرة الأولى توجد بينهم امرأة. لم أكن أثق يوماً بقدرة النساء على التعامل مع الأرقام. اضافة إلى أن هناك عائقاً آخر: فخلال أيام الحيض، بل والأيام التي تليها أيضاً، إذا لم يكن نائمات كعادتهن، فانهن يصبحن حمقاوات بعض الشيء. أما إذا كن حمقاوات بعض الشيء بطبعهن؛ فانهن يصبحن معتوهات تماماً. لايبدو على هؤلاء «المستجدين» الذين دخلو العمل أنهم سيئون. وأكثر من يعجبني بينهم هو ذو الثمانية عشر عاماً. له وجه خال من القوة، حساس، ونظرة متهربة، ولكنها متملقة في الوقت نفسه. أما الآخر، فهو مشعث الشعر دوماً، ولكن مظهره لطيف، ولديه (الآن على الأقل) رغبة لاريب فيها في العمل. الفتاة لايبدو أن لديها رغبة كبيرة، لكنها تفهم على الأقل مايشرحه لها أحدنا. ثم أن لها جبهة عريضة وفماً كبيراً، وهما ملمحان يؤثران بي كثيراً بشكل عام. أسماؤهم على التوالي: الفريدو سانتيني، ورودولفو سييرا، ولورا أبييانيدا. سأضع الشابين في حسابات البضائع، أما الفتاة فسأعينها مع مساعد نتائج الحسابات.

الخميس ٢٨ شباط

تبادلت الحديث الليلة الماضية مع بلانكا تكاد تكون مجهولة لدي. بقيت وإياها وحيدين بعد العشاء. كنت أقرأ الجريدة، بينما هي تلعب بالورق وحدها. وفجأة توقفت عن الحركة وهي تحمل إحدى أوراق اللعب بيدها، وكانت نظرتها ساهية وكئيبة في الوقت نفسه. راقبتها لبضع لحظات،

ثم سألتها بماذا تفكر. فبدت حينئذ وكأنها تستيقظ. صوبت إليّ نظرة حزينة، ولم تعد قادرة على التحكم بنفسها، فأخفت رأسها بين يديها وكأنها لاتريد أن ينتهك أحد حرمة نحيبها. عندما تبكي امرأة أمامي أتحول إلى رجل أعزل، بل انني أرتبك كذلك. أشعر باليأس، ولاأعرف كيف أعالج الموقف. أما في هذه المرة، فقد استجبت لدافع غريزي. نهضت، واقتربت منها، وأخذت أداعب رأسها دون أن أتفوه بكلمة. وبعد قليل بدأت تهدأ وأخذت اختلاجاتها البكائية تتباعد. وعندما أنزلت يديها أخيراً، مسحتُ عينيها بنصف منديلي غير المستعمل ومخّطتُ أنفها. لم تعد تبدو لحظئذ امرأة في الثالثة والعشرين من عمرها، بل مجرد طفلة صغيرة زعلت فجأة لأن دميتها انكسرت أو لأن الكبار رفضوا أخذها إلى حديقة الحيوان. سألتها إن كانت تشعر بالكآبة فأجابت بنعم. سألتها عن السبب فقالت إنها لاتعرف. لم استغرب كثيراً من ذلك. فأنا نفسي أشعر بالانقباض أحياناً دون سبب واضح. لكنني ناقضت تجربني الذاتية، وقلت لها: «آواه، قولي شيئاً. لاأحد يبكي دونَ سَبَبٍ» عندئذ بدأت تتكلم بتعثر، تدفعها رغبة مفاجئة للتحدث صراحة: «يراودني احساس رهيب بأن الوقت يمضي دون أن أفعل شيئاً، وأنه ليس هناك أية أحداث، وليس هناك مايهزني من الأعماق. أنظرُ إلى استيبان وأنظرُ إلى خيمي وأحس بأهما يشعران بالتعاسة أيضاً. وأحياناً- لاتغضب يابابا- أنظر إليك وأفكر في أنني لاأرغب في أن أصل إلى سن الخمسين وفي أن يكون لي مثل طبعك وتوازنك. إنني أجدكم، بكل بساطة، محبطين مستنفدين. وأنا أشعر بأن لدي طاقة هائلة، ولاأعرف أين أستغلها، لاأعرف ماأفعل بها. أظنك قد رضخت وارتضيت الكآبة، وهذا يبدو لي رهيباً، لأني أعرف أنك لست كئيباً بطبعك. أو أنك لم تكن كذلك على الأقل» فأجبتها (وماذا يمكنني أن أقول غير ماقلته؟) بأنها على حق، وأن تفعل كل ماتستطيعه لتخرج من وسطنا، لتغادر مدارنا. وقلت لها إنني أحب أن أسمعها تصرخ باحتجاجها هذا، وانني شعرت وكأنني أسمع صرخة من

صرخاتي قبل سنوات طويلة. عندئذ ابتسمتْ وقالت إنني طيب جداً وألقت بذراعيها حول عنقي، مثلما كانت تفعل فيما مضى. إنها ماتزال طفلة صغيرة بعد.

الجمعة الأول من آذار

استدعى وكيل المدير رؤساء الأقسام الخمسة إلى اجتماع. وحدثنا طوال ثلاثة أرباع الساعة عن انخفاض انتاجية الموظفين. قال إن المدير قد أرسل إليه ملاحظة بهذا المعنى، وإنه ليس مستعداً للتساهل في المستقبل، وإن مكانته قد تأثرت مجاناً بسبب تهاوننا (كم يحب أن يشدد على كلمة «تهاون»). وهكذا فانه من الآن فصاعداً، الخ... الخ... مالذي يطلقون عليه «انخفاض انتاجية الموظفين»؟ أنا على الأقل يمكنني أن أقول إن من هم تحت أمرتي يعملون. ليس الجدد منهم فقط، بل القدماء أيضاً. صحيح أن منديث يقرأ الروايات البوليسية التي يخبئها بمهارة في درج مكتبه الأوسط، ويمسك في أثناء ذلك قلماً بيده اليمنى المتأهبة دوماً للتصرف إذا مادخل فجأة أحد أصحاب الرتب العليا. وصحيح أن مونيوث ينتهز فرصة خروجه إلى قسم الأرباح العالية ليختلس من المؤسسة عشرين دقيقة يمضيها متكاسلاً أمام زجاجة من البيرة. وصحيح أن روبليدو حين يذهب إلى المرحاض (في العاشرة والربع تماماً) يخفي تحت معطفه ملحق الجريدة الملون أو صفحة الرياضة. ولكن الصحيح أيضاً أن العمل يُنجزَ أولاً بأول، وأنه في الساعات التي تكثر فيها المعاملات، وتأخذ صينية الصندوق الجوية بالتنقل ذاهبة وعائدة دون توقف وهي مترعة بالقسائم، ينهمك الجميع في العمل ويتعاونون بروح فريق منسجم حقاً. فكل واحد منهم خبير في اختصاصه الضيق المحدد، ويمكنني أن أثق ثقة مطلقة بأن الأمور تنجز على خير وجه.

الحقيقة أنني أعرف جيداً إلى من كانت توجه هراوة الوكيل. «قسم

الصادر» يعمل دون رغبة في العمل، وينجز مهماته بشكل سيء. جميعنا نعرف اليوم أن تلك الخطبة كانت موجهة إلى سواريث، ولكن لماذا استدعانا جميعاً؟ وأي حق لسواريث في أن يجعلنا نتقاسم جريرة تقصيره وحده؟ أيكون ذلك لأن الوكيل يعرف، مثلما نعرف جميعنا، أن سواريث يضاجع ابنة الرئيس؟ ليست ليديا فالفيري بالفتاة القبيحة.

السبت ٢ آذار

هذه الليلة، وبعد ثلاثين سنة، عدت أحلم بالمقنعين من جديد. عندما كنت في الرابعة من عمري، أو ربما أقل، كان اقناعي بتناول الطعام يشكل كابوساً لأهلي. حينئذ ابتكرت جدتي وسيلة أصيلة حقاً تجعلني ابتلع البطاطا المهروسة دون مشاكل تذكر. كانت ترتدي معطف خالي الفضفاض، وتضع على رأسها عمامة، وعلى عينيها نظارة سوداء، وتأتي بهيأتها تلك لتقرع نافذتي وتخيفني. فتهرع الخادمة حينئذ، أو أمي أو إحدى خالاتي لتقول لي: «هاقد جاء دون بوليكاريو!» ودون بوليكاريو هو مسخ يعاقب الأطفال الذين لايأكلون. كان الرعب يشلني، فأستجمع ماتبقى من قواي لأحرك فكيّ بسرعة لاتُصدق، ولاأتوقف إلا بعد أن أتناول طبقاً كبيراً من بوريه البطاطا الكريهة. كان ذلك مريحاً للجميع. فتهديدي بشخصية دون بوليكاريو كان أشبه بالضغط على زر سحري. وقد تحولت العملية في نهاية الأمر إلى تسلية مشهورة. فكلما أتت إحدى الزائرات، يجيئون بها إلى حجرتي لتشاهد تفاصيل خوفي المسلية. إن مدى القسوة البريئة التي يمكن للناس أن يصلوا إليها أحياناً مثير للفضول. ذلك أنه اضافة إلى الرعب الذي كنت أعانيه، كانت هناك الليالي؛ ليالٍ يملؤها المقنعون الصامتون، صنف غريب من الشخصيات الشبيهة بدون بوليكاريو تظهر دائماً وهي توليني ظهرها، وسط ضباب كثيف يحيط بها. كانت تلك الأشباح تقف في صف

طويل بعضها وراء بعض، وكأن كل منها ينتظر دوره للدخول في خوفي. ولم يكونوا يتفوهون بأي كلمة على الاطلاق، بل يكتفون بالتحرك في حركات متثاقلة أشبه بالترنح المتواصل، ويجرون وراءهم أذيال عباءاتهم القاتمة المتماثلة التي انتهى إليها معطف خالي. لكن الغريب في الأمر هو أن رعبي في الأحلام كان أقل من رعبي في الواقع. ومع مرور السنوات، راح خوفي يتحول إلى افتتان. فبتلك النظرة التي يتطلع بها أحدنا عادة من تحت أجفانه النائمة، كنت أشهد وأنا غاف ذلك المشهد الدوري. وعندما كنت أحلم في بعض الأحيان حلماً عادياً آخر، فانني أحس احساساً غامضاً بأني أُفضّل أن أحلم بشخصياتي البوليكاربية. وفي إحدى الليالي جاؤوا جميعهم لآخر مرة. اصطفوا في طابورهم المعتاد، وترنحوا بصمت، ثم تلاشوا بعد ذلك كعادتهم لقد نمت طوال سنوات كثيرة وهاجس لامناص منه يراودني، فقد كنت أنام بقلق مترقب تحول إلى حالة مرضية تقريباً. وصرت أنام في بعض الأحيان عاقداً العزم على اللقاء بهم، ولكنني لم أكن أتوصل إلى ماهو أبعد من تشكيل الهالة الضبابية وحسب، أو إلى الاحساس - في مناسبات قليلة جداً- بخفق رعبي القديم. هذا هو كل ماكنت أتوصل إليه. وحتى هذا الأمل بدأت أفقده فيما بعد، ووصلت دون شعور مني إلى مرحلة أخذت أروي فيها للغرباء بساطة مضمون حلمي. ثم وصل بي الأمر إلى نسيانه. وقد نسيته فعلاً حتى الليلة الماضية. فليلة أمس، وبينما أنا في منتصف حلم أقل تفاهة من الخطيئة، اختفت جميع الصور فجأة وحلّ محلها الضباب، ثم ظهرت وسط ذلك الضباب جميع شخصياتي البوليكاربية. أعرف أنني شعرت لحظتئذ بسعادة ورعب لايوصفان. ولو أني أبذل شيئاً من الجهد الآن، لأمكنني أن أعيد بناء بعض ذلك الانفعال. ترنح أولئك البوليكاربيون، بوليكاربيو طفولتي، وترنحوا وترنحوا، ثم أقدموا فجأة على حركة مباغتة. فقد استداروا نحوي لأول مرة، وللحظة واحدة فقط، وكانت وجوههم جميعاً كوجه جدتي.

الثلاثاء ١٢ آذار

أمر جيد أن تعمل مع المرء موظفة ذكية. ولكي أختبر ابيبانيدا، شرحت لها اليوم دفعة واحدة كل ماله علاقة بتدقيق الحسابات. وفيما كنت أتكلم، كانت هي تسجل الملاحظات. وعندما انتهيت، قالت: «انظر ياسيدي، أظن أنني فهمت جيداً، ولكن لدي شكوك فقط حول بعض النقاط» شكوك حول بعض النقاط!... ميندبث الذي كان يتولى هذا العمل قبلها، احتاج إلى مالايقل عن أربع سنوات كي يبدد تلك الشكوك... خصصت لها بعد ذلك الطاولة التي إلى يميني. وبين الحين والآخر كنت أوجه إليها نظرة خاطفة. ساقاها جميلتان. لم تتعود على العمل بشكل آلي بعد، وهذا سيسبب لها الارهاق. ثم إنها قلقة، عصبية. أظن أن مرتبتي (ويالالمبتدئة المسكينة) تربكها إلى حد ما. عندما تقول لي: «سيد سانتومي» ترمش دائماً. ليست آية في الجمال. حسن، إنها تبتسم بطريقة مقبولة. ووجود شيء أفضل من لاشيء.

الأربعاء ١٣ آذار

عندما وصلت من مركز المدينة هذا المساء، كان خيمي واستيبان يتبادلان الصراخ في المطبخ. تمكنت من سماع استيبان يقول شيئاً عن «اصدقائك العفنين». وحين سمعا وقع خطواتي، صمتا وحاولا التكلم بشكل طبيعي. لكن شفتي خيمي كانتا مزمومتين بشدة، وكانت عينا استيبان تلمعان. سألتهما: «ماذا جرى؟». فهز خيمي كتفيه، وقال الآخر: «ليس هنالك مايهمك» لكم رغبت في توجيه صفعة إلى فمه. إنه ابني.. هذا الوجه القاسي الذي لن يلينه أحد أو شيء مطلقاً. ليس هناك مايهمني. ذهبت إلى الثلاجة وأخرجت منها زجاجة الحليب والزبدة. كنت أشعر بالغيظ، وبالعار. من غير الممكن أن يقول لي «ليس هناك مايهمك» وأن

أبقى هادئاً، لاأفعل شيئاً، ولاأقول له أي شيء. سكبت كأساً كبيراً. لايمكن له أن يصرخ في وجهي باللهجة التي عليّ أن أستخدمها أنا معه، لكنني مع ذلك لاأستخدمها. ليس هناك مايهمني. كل رشفة من الحليب كانت تسبب لي ألماً في صدغيّ. وفجأة، استدرت وأمسكت بذراعه. «مزيداً من الاحترام لأبيك، مفهوم؟ مزيداً من الاحترام» إن قول ذلك الآن، وبعد أن مرت اللحظة المناسبة، ماهو إلا حماقة. كان الذراع متوتراً، صلباً وكأنه قد تحول فجأة إلى فولاذ، أو إلى رصاص. آلمني عنقي عندما رفعت رأسي لأحدق بعينيه. كان ذلك هو أقل مايمكن لي عمله. لا، لم يكن خائفاً. بل هز ذراعه بكل بساطة، إلى أن أفلت من يدي، وارتعشت زعنفتا أنفه، وقال: «متى ستكبر؟» ومضى صافقاً الباب وراءه. لابد أن وجهي لم يكن هادئاً عندما التفت لأواجه خيمي. كان مايزال مستنداً إلى الجدار. ابتسم بعفوية واكتفى بأن علق: «يااللدم الخبيث أيها العجوز، يااللدم الخبيث!» شيء لايمكن تصديقه، لكنني أحسست بالغضب يجمدني في تلك اللحظة بالذات، وقلت له دون قناعة: «وهو أخوك أيضاً...» ورد عليّ: «دعه، فبعد أن وصلت الأمور إلى هذا الحد، لم يعد هنالك علاج لأي واحد منا».

الجمعة ١٥ آذار

جاء ماريو بيغنالي لرؤيتي في المكتب. إنه يريدني أن أذهب إلى بيته الأسبوع المقبل. يقول إنه عثر على صور قديمة لنا جميعاً. لم يحضرها معه هذا الأبله الكبير. طبعاً إنها تشكل ثمن موافقتي على الزيارة. ووافقت طبعاً. ومن الذي لايشده ماضيه؟

السبت ١٦ آذار

صباح هذا اليوم، حاول الموظف الجديد - سانتيني - أن يطلعني على

أسراره. يبدو أن هناك شيئاً في وجهي، لاأعرف ماهو يدفع الجميع دائماً إلى البوح إلي بشوؤنهم الخاصة. انهم ينظرون إلي، ثم يبتسمون، وقد يصل الأمر ببعضهم إلى إظهار التكشيرة التي تسبق الانفجار بالبكاء؛ وبعد ذلك يفتحون لي قلوبهم. وأقول بمنتهى الصراحة إن بعض القلوب لاتسرني. وأحياناً لاأكاد أصدق مدى الوقاحة المستريحة، وطريقة الحديث الغامضة التي يفضي بها البعض بأسرارهم الحميمة. «لأنني، أنا... أتعرف ياسيدي؟ أنا يتيم»، قال بادئاً كلامه ليجعلني أشفق عليه منذ البداية. فأجبته: «تشرفنا، وأنا أرمل» وأرفقت قولي ذاك بحركة طقوسية أردت بها تحطيم ذلك الموقف. لكن تأثره بترملي كان أدنى كثيراً من تأثره بيتمي.

«لدي أخت، أتعرف؟». وفيما هو يتكلم بجوار مكتبي، كان يفرقع أصابعه الهشة الرفيعة فوق غلاف دفتر اليومية. فصرخت به: «ألاتستطيع ترك هذه اليد ساكنة؟». لكنه ابتسم بعذوبة قبل أن يستجيب لطلبي. «عمر شقيقتي سبعة عشر عاماً، أتعرف؟» هذه الـ«أتعرف؟» هي نوع من الـ«تك». لا لست أعرف؟ وهل هي جيدة؟» كان ذلك هو دفاعي اليائس قبل أن يحطم حواجز مهزلته المريبة وأجد نفسي غارقاً في حياته الخاصة. فقال ضاغطاً شفتيه: «أنت لاتعاملني بجد» ومضى غاضباً جداً إلى طاولته. إنه لايعمل بالسرعة اللازمة. لقد استغرق اعداده لتصفية حساب شهر شباط ساعتين كاملتين.

الأحد ١٧ آذار

إذا ماقررت الانتحار يوماً، فسأفعل ذلك في يوم أحد. إنه أكثر الأيام اخماداً للهمة، وأشدها تفاهة. أود لو أنني أبقى في السرير إلى وقت متأخر بعض الشيء، على الأقل حتى الساعة التاسعة أو العاشرة. لكنني أستيقظ بمفردي منذ السادسة والنصف، ولاأعود قادراً على اغماض عيني. إنني

أفكر أحياناً بما سأفعله عندما تصبح حياتي كلها يوم أحد متواصل. من يدري، فربما أعتاد عندئذ على الاستيقاظ في الساعة العاشرة. ذهبت لتناول الغداء في مركز المدينة، لأن كل واحد من الأولاد ذهب في حال سبيله لقضاء نهاية الأسبوع. أكلت وحيداً. ولم أشعر بأن لدي القوة اللازمة للدخول في حديث روتيني وعادي مع الجرسون. حديث حول الحر والسياح. كان هناك شخص آخر متوحد على بعد طاولتين مني. كان عابساً، يفتت الخبز بيده. نظرت إليه مرتين أو ثلاث مرات، وفي واحدة منها التقت عيناي بعينيه. أحسست أن في عينيه كراهية. مالذي رآه هو في عيني؟ يبدو أننا نحن معشر المتوحدين، لانميل إلى بعضنا بعضاً كقاعدة عامة. أم أننا، وبكل بساطة، ثقلاء؟

رجعت إلى البيت، نمت القيلولة واستيقظت مثقلاً، متعكر المزاج. تناولت بضع كؤوس من المتة وضايقني طعمها المر. عندئذ ارتديت ملابسي ومضيت ثانية إلى مركز المدينة. جلست هذه المرة في مقهى؛ تمكنت من العثور على طاولة إلى جوار النافذة. وخلال وقت لايتجاوز الساعة والربع مرت أمامي خمس وثلاثون امرأة، بالتمام، ممن يثرن الاهتمام. ولكي أتسلى، رحت أنظم جدولاً احصائياً حول أكثر مايعجبني في كل واحدة منهن. سجلت ملاحظاتي على منديل ورقي. وهذه هي النتائج التي خرجت بها: أعجبني في اثنتين منهن الوجه؛ وفي أربع الشعر؛ وفي ست الصدر؛ وفي ثمان منهن السيقان؛ وأعجبني في خمس عشرة واحدة منهن مؤخراتهن. إنه انتصار ساحق للمؤخرات.

الاثنين ١٨ آذار

الليلة الماضية رجع استيبان إلى البيت في الثانية عشرة، وخيمي في الثانية عشرة والنصف، وبلانكا في الواحدة. لقد سمعتهم جميعاً. التقطت

بحرص كل صوت، كل خطوة، كل كلمة تذمر دمدموا بها. أظن أن خيمي قد جاء مخموراً بعض الشيء. أو أنه كان يصطدم على الأقل بالاثاث، ثم فتح صنبور المغسلة لمدة نصف ساعة تقريباً. ومع ذلك، فان كلمات التذمر كانت من استيبان الذي لايشرب مطلقاً. وعندما رجعت بلانكا، قال لها استيبان شيئاً وهو في غرفته، وردت عليه هي بأن لايتدخل إلا في شؤونه فقط. بعد ذلك خيم الصمت. ثلاث ساعات من الصمت. الأرق هو لعنة عطلتي في نهاية الأسبوع. وعندما أتقاعد وتصبح أيامي كلها عطلة، ألن أنام مطلقا؟

تحدثت صباح اليوم مع بلانكا فقط. قلت لها إنني لاأحب رجوعها في مثل تلك الساعة المتأخرة. ليست بالفتاة المستهترة، لهذا لاتستحق أن أؤنبها. ولكن هناك الواجب أيضاً، واجب الأب والأم. وعليّ أن أكون الاثنين معاً، وأظن أنني لست شيئاً منهما. أحسست بأني قد تجاوزت الحد عندما سمعت نفسي وأنا أسألها بنبرة محذرة: «مالذي كنت تفعلينه؟ إلى أين ذهبت؟» فردت علي حينئذ وهي تطلي قطعة الخبز المحمصة بالزبدة: «لماذا تشعر بأنك مجبر على لعب دور الشرير؟ هنالك أمران نحن واثقان منهما، أننا نحب بعضنا، وأنني لاأفعل شيئاً غير صحيح». لقد هُزمتُ. ومع ذلك فقد أضفت قائلاً، لانقاذ المظاهر فقط: «كل شيء يعتمد على فهمك لما هو غير صحيح».

الثلاثاء ١٩ آذار

عملت طوال فترة بعد الظهر مع ابيبانيدا. راجعنا التدقيق معاً للبحث عن فروقات. إنه أكثر الأعمال مللاً على الاطلاق. كان الفرق سبعة سنتات. لكنه مؤلف في الواقع من بندين متناقضين: أحدهما ثمانية عشر سنتاً والآخر خمسة وعشرون. يالها من مسكينة، فهي لم تلتقط منهج العمل

جيداً بعد. إنها ترهق نفسها تماماً في عمل آلي بحت كعملنا هذا وتبدو وكأنها تمارس عملاً آخر يحتاج للتفكير والبحث عن حلول خاصة. أما أنا فمعتاد على هذا النوع من العمل، حتى إنني أفضله على سواه من الأعمال أحياناً. فاليوم، مثلاً، وبينما كانت تقرأ لي الأرقام وأنا أشير إليها على الشريط الورقي، رحت أتسلى في عدّ الشامات التي على ساعدها الأيسر. إنها على نوعين: خمس شامات صغيرة وثلاث كبيرة، واحدة منها مكورة وناتئة مثل ندبة. عندما انتهت من تلاوة أرقام شهر تشرين الثاني، قلت لها، لمجرد أن أرى كيف سيكون رد فعلها: «احرقي هذه الشامة. فهي ليست مهمة عموماً، ولكنها قد تكون خطرة في حالة واحدة بين كل مئة حالة». احمرت خجلاً ولم تعد تعرف أين تضع ذراعها. وقالت لي: «شكراً ياسيدي»، ولكنها واصلت مراجعة الأرقام على مسمعي وهي متضايقة جداً. وعندما وصلنا إلى شهر كانون الثاني بدأت أنا أقرأ الأرقام، وأخذت هي تضع الاشارات على الورقة. وفي لحظة ما، أحسست أن هناك شيئاً غريباً يحدث، فرفعت نظري عند منتصف أحد الأرقام. وكانت تتطلع لحظتئذ إلى يدي. أهي تبحث عن شامات؟ ربما. ابتسمت، وعادت تموت خجلاً من جديد. ياللمسكينة ابيبانيدا. إنها لاتعرف أنني التدقيق مجسداً، وأنه من مستحيل المستحيلات أن أسمح لأحدى موظفاتي بأن تجاريني.

الخميس ٢١ آذار

عشاء في ذلك المكان الذي يدعى بيت بيغنالي. انه بيت خانق، معتم، مشحون. في صالة المعيشة يوجد مقعدان من طراز عالمي لاهوية له، ويبدوان في الواقع أشبه بقزمين أشعرين. أسلمت نفسي للسقوط فوق أحدهما. وكانت تخرج منه سخونة حارقة تصل إلى صدري. جاءت لاستقبالي كلبة باهتة لون الفرو، ولها وجه عانس. نظرتْ إليّ دون أن

تشمني، ثم ابتعدت واقترفت الجناية التقليدية على السجادة. فوق نقش يمثل رأس طاووس، وكان ذلك هو مرحاضها في تلك النقوش المريعة. ولكن كانت هناك بقع كثيرة على السجادة، حتى يخيل للمرء أنها جزء من الديكور.

عائلة بيغنالي كثيرة العدد، صاخبة ومضجرة. وهي تضم زوجته وحماته وحماه، وصهره وزوجة صهره و - هول الأهوال- أولاده الخمسة. وهؤلاء يمكن تعريفهم تقريباً بالقول إنهم مسوخ. إنهم طبيعيون في بنيتهم الجسدية، فهم شقر وأصحاء. أما صفة المسوخ فهي لشدة ازعاجهم. عمر أكبرهم ثلاث عشرة سنة (لقد تزوج بيغنالي بعد بلوغه سن النضوج) وعمر الأصغر ست سنوات. وهم دائمو الحركة، دائمو الصخب، دائمو الجدال الصارخ. إن المرء ليشعر وكأنهم يمتطون ظهره، أو يتسلقون إلى كتفيه، أو أنهم على وشك أن يدسوا أصابعهم في أذنيه أو يشدوا شعره. وهم لايصلون إلى مثل هذه التصرفات طبعاً، ولكن الاحساس الذي يراود المرء هو نفسه، إذ أنه يدرك وهو في بيت بيغنالي أنه تحت رحمة هذا القطيع من كلاب الصيد. كان أفراد الاسرة البالغون يعتصمون بموقف لامبال يحسدون عليه، دون أن يبخلوا بضربات ضائعة تعبر الهواء فجأة لتستقر على أنف أو صدغ أو عين أحد أولئك الملائكة الصغار. فأسلوب الأم في معاملتهم مثلاً، يمكن تحديده كالتالي: التساهل في أي تصرف أو سفاهة يمكن للطفل أن يزعج بها الآخرين، بما في ذلك الضيوف، ومعاقبته بالمقابل على أي حركة أو كلمة تزعجها هي بالذات. أما ذروة ذلك العشاء فكانت عند تقديم حلوى الأرز. إذ أراد أحد الصغار أن يترك شهادة تؤكد أنه لم يستسغ حلوى الأرز بالحليب، فما كان منه إلا أن دلق طبقه كله على بنطال أصغر أخوته. وقد احتُفل بالحركة بصخب سخي، لكن بكاء المتسبب بالأذى فاق كل توقعاتي ولم يعد بامكان أي وصف أن يحيط به.

بعد الانتهاء من تناول العشاء اختفى الأطفال، ولست أدري إذا كانوا قد ذهبوا إلى النوم أم لاعداد كوكتيل سموم من أجل صباح اليوم التالي.

وعلقت حماة بيغنالي قائلة: «يالهؤلاء الصبية! كل مافي الأمر أنهم حيويون» وجاءت التتمة المناسبة من جانب الصهر: «هكذا هي الطفولة.. حيوية خالصة» وفي رد على استفسار لم أطلبه، أشارت لي زوجة الصهر: «نحن لاأولاد لدينا» فقال زوجها مرفقاً كلامه بقهقهة ظاهرة الخبث: «مع أنه مضى على زواجنا سبع سنوات» فأوضحت الزوجة: «أنا من جانبي أرغب في انجاب الأولاد، لكنه هو الذي يستمتع بمنع انجابهم» وكان بيغنالي هو الذي أخرجنا جميعاً من متاهة الشؤون النسائية وموانع الحمل تلك، إذ بادر إلى طرق أكثر موضوعات تلك الليلة جاذبية: ألا وهو عرض الصور المتحفية الشهيرة. كان يحتفظ بها في ظرف أخضر، وهو ظرف مصنوع في البيت من ورق التغليف، وقد كتب عليه بحروف مطبعية: «صور مارتين سانتومي» لاشك أن الظرف كان قديماً، لكن الكتابة حديثة جداً. كان يظهر في الصورة الأولى أربعة أشخاص يقفون أمام بيتنا في شارع براندثين. ولم تكن هنالك من حاجة لأن يقول لي بيغنالي أي شيء: إذ أن ذاكرتي اهتزت وأكدت تلقيها لتلك الصورة الضاربة إلى الصفرة بعد أن كانت سوداء بالصبيدح في زمن مضى. من كانوا يقفون أمام الباب هم أمي، وجارة لها ذهبت بعد ذلك إلى اسبانيا، وأبي، وأنا. كان مظهري مشعثاً ومضحكاً. سألتُ بيغنالي: «أأنت من التقط هذه الصورة؟» فردّ عليّ: «أنت مجنون. أنا لم أملك الشجاعة في يوم من الأيام على حمل آلة تصوير أو مسدس. هذه الصورة التقطها فاليرو. هل تذكر فاليرو؟» بشكل غامض. أذكر مثلاً أن أباه كان يملك مكتبة، وأنه كان يسرق منها مجلات بورنوغرافية، وينهمك بعد ذلك في نشر هذا المظهر الأساسي من مظاهر الثقافة الفرنسية بيننا. «انظر هذه الصورة الأخرى»، قال بيغنالي ذلك بلوعة. وقد كنت أظهر في الصورة أيضاً، وإلى جانبي كان يقف البلاطة. إنه البلاطة (نعم، هذا شخص مازلت أذكره). كان معتوهاً دائم التمسح بنا، وكان يحتفل بصخب بكل نكتة نرويها، حتى ولو كانت مملة وتافهة. ولم يكن يتركنا لا في الشمس ولا في الظل.

لست أذكر اسمه الحقيقي، لكنني واثق من أنه البلاطة. الملامح البلهاء نفسها، والجسد المترهل نفسه، والشعر المُصمّغ نفسه. أطلقت ضحكة سعيدة.. واحدة من أفضل ضحكاتي هذه السنة. فسألني بيغنالي: «ماالذي يضحك؟». «إنه البلاطة. انظر إلى شكله» حينئذ خفض بيغنالي بصره، وجال بنظرة خجلى على وجوه زوجته وحمويه وصهره وزوجته، ثم قال بصوت أجشّ: «ظننت أنك لم تعد تذكرهذا اللقب. لم أكن أحب في يوم من الأيام أن ينادوني به». لقد فاجأني تماماً. ولم أعد أعرف ماعليّ أن أقوله أو أفعله. إن ماريو بيغنالي والبلاطة هما الشخص نفسه إذن؟ نظرت إليه، ثم أعدت النظر إليه ثانية، وتأكدت من أنه أبله، وممل، ودنيء، ولكنه دون شك نوع آخر من البلاهة والملل والدناءة. ليست مثل تلك التي كانت للبلاطة فيما مضى، وكيف يمكن أن تكون نفسها. إن فيها الآن شيئاً ثابتاً لاأعرف كنهه. وأظن أنني دمدمت: «ولكن، لم يكن هناك من يطلق عليك اللقب بسوء نية. تذكر أنهم كانوا يطلقون على بيدرو لقب الأرنب أيضاً» فقال بيغنالي البلاطة بنبرة آسفة: «ليتهم أطلقوا علي لقب الأرنب» ولم نشاهد مزيداً من الصور.

الجمعة ٢٢ آذار

ركضت عشرين متراً كي ألحق بالاومنيبوس فانهكت. وعندما جلست أحسست أنه سيغمى عليّ. وفيما أنا أخلع السترة، وأفتح عنق القميص وأتحرك قليلاً كي يتحسن تنفسي، لمست ذراع رفيقتي في المقعد مرتين أو ثلاث مرات. كانت ذراعاً دافئة، ولم تكن شديدة النحول. أحسست حين لمستها بمداعبة زغب مخملي، لكنني لم أستطع أن أحدد إن كان ذلك الزغب- هو من ذراعها أم من ذراعي أنا أم من ذراعينا معاً. فتحت الجريدة ورحت أقرأ. أما هي، فكانت تقرأ في كتيب سياحي عن النمسا. بعد قليل

أحسست بتحسن في تنفسي، ولكن الخفقان استمر لربع ساعة كاملة. تحركت ذراعها ثلاث مرات أو أربع، دون أن يبدو عليها أنها تود الانفصال تماماً عن ذراعي. كانت تذهب وتجيء. وكانت الملامسة تقتصر أحياناً على احساس ضعيف في أطراف شعر ذراعي. نظرتُ عدة مرات إلى الشارع، وفي اثناء ذلك تكونت لدي بطاقة تشبيه لها: وجه مربع، شفتان رقيقتان، شعر طويل، وأصبغة قليلة، ويدان عريضتان غير معبرتين. وفجأة أفلت من يدها الكتيب. فانحنيت والتقطته لها. وقد ألقيت نظرة في أثناء ذلك إلى الساقين بالطبع. إنهما مقبولتان، وعلى كاحليهما لصقات طبية. لم تقل لي شكراً. وعندما بلغنا شارع سييرا بدأت تستعد للنزول. خبأت الكتيب، ورتبت شعرها، وأغلقت محفظتها واستأذنت بالخروج. فقلت لها مستجيباً بذلك النوع من الإلهام: «أنا سأنزل أيضاً». سارت مسرعة في شارع بابلو دي ماريا، ولكنني لحقت بها بعد أربع خطوات واسعة. مشينا أحدنا إلى جوار الآخر مسافة كوادرا ونصف. وكنت ماأزال أصوغ العبارة التي سأبدأ بها التصدي، عندما التفتت إلي وقالت: «إذا كنت تريد أن تكلمني فاحسم أمرك».

الأحد ٢٤ آذار

كلما أمعنت التفكير بما حدث يوم الجمعة، بدا لي أمراً مذهلاً بغرابته. لم يخبر أحدنا الآخر باسمه، ولم نتبادل أرقام الهواتف أو أي شيء شخصي آخر. ومع ذلك فانني مستعد لأن أقسم أن الجنس لدى تلك المرأة لم يكن يتضمن أي قدر من حياء المرة الأولى. بل بدت لي وكأنها غاضبة من شيء ما، وأن استسلامها لي هو انتقام حانق من شيء لاأعرفه. عليّ أن أعترف كذلك بأنها المرة الأولى في حياتي التي اقنص فيها امرأة بفضل مرفقي وحده، وهي المرة الأولى التي أرى فيها امرأة أيضاً تخلع ملابسها بمثل تلك

السرعة، فور وصولنا إلى الشقة المفروشة، وتفعل ذلك تحت الانارة الكاملة. ثم السهولة العدوانية التي استلقت بها على السرير. مالذي كانت تجربه ياترى؟ لقد فعلت كل مايمكنها لكي تُظهر عريها كاملاً، حتى كدت أظن أنها المرة الأولى التي تجد فيها نفسها عارية أمام رجل. ولكنها لم تكن مستجدة. وعلى الرغم من وجهها الجدي، وفمها الذي دون طلاء، ويديها الجامدتين فقد حاولت الاستمتاع ماوسعها ذلك. وفي اللحظة التي ظننتها مناسبة، توسلت إليّ أن أهمس لها بكلمات بذيئة. ليس هذا من أساليبي، ولكنني أظن أني أرضيتها.

الاثنين ٢٥ آذار

وظيفة عامة لاستيبان. هذه هي نتيجة عمله في النادي. لست أدري إن كان علي أن أفرح بتعيينه مسؤولاً، فهو، الآتي من الخارج، يمر فوق جميع اولئك الذين سيصبحون الآن مرؤوسيه. أظن أنهم سيجعلون حياته مستحيلة. وهم محقون في ذلك.

الثلاثاء ٢٧ آذار

بقيت اليوم في المكتب حتى الساعة الحادية عشرة ليلاً. إنها إحدى سفالات الوكيل. فقد استدعاني في السادسة والربع ليقول لي أنه علي أن أراجع تدقيق هذه القذارة لتكون جاهزة عند بدء الدوام صباح غد. كان العمل الذي طلب مراجعته يحتاج إلى ثلاثة أشخاص. وقد تطوعت ابيانيدا المسكينة للبقاء. ولكنني اعتذرت منها.

بقي معنا كذلك ثلاثة موظفين من قسم الصادر. والواقع أن بقاءهم كان الشيء الوحيد اللازم حقاً، ولكن الوكيل لم يشأ أن يكلف فحل ابنة بالبيردي بعمل اضافي دون أن يزين له العقوبة بجعل برئ آخر يعمل مثله بعد

انتهاء الدوام. وقد كان البرئ المختار هذه المرة هو أنا. الصبر. كم أتمنى أن تمل ابنة بالبيردي هذا المائع.

إن العمل خارج ساعات الدوام يغيظني جداً. فالمكتب كله غارق في السكون، لاجمهور فيه. والطاولات متسخة، ومترعه بالمصنفات والسجلات، مما يوحي بأنها قمامة، براز. ووسط ذلك الصمت المطبق، وتلك العتمة، يوجد ثلاثة أشخاص هنا وثلاثة آخرون هناك، يعملون دون شهية، ويتثاقلون مجرجرين تعب الساعات الثمان السابقة.

أملى كل من روبليدو وسانتيني عليّ الأرقام، ورحت انسخها على الآلة. وفي الساعة الثامنة ليلاً بدأ ظهري يؤلمني، قرب الكتف الأيسر. وفي التاسعة، لم يعد الألم يهمني، ولكنني كنت ماأزال أكتب مثل رجل آلي تلك الأرقام المبحوحة التي كانا يمليانها علي. وعندما انتهينا، لم يفه أي منا بكلمة. كان جماعة الصادر قد انصرفوا. مضينا ثلاثتنا معاً إلى الساحة، ودفعت لهما ثمن قهوة شربناها على طاولة الكونتوار في مقهى سوروكابانا، ثم قلنا لبعضنا بعضاً «تشاو». وأظن أنهما قد حقدا عليّ إلى حدّ ما لأني اخترتهما هما بالذات للبقاء معي.

الخميس ٢٨ آذار

تحدثت مطولاً مع استيبان. عرضت عليه شكوكي حول عدالة تعيينه. لم أكن أسعى إلى جعله يستقيل؛ ياالله، أعرف أن هذا ليس بالأمر المألوف. كل ماهنالك أنني كنت سأفرح بسماعه يصرح بعدم رضاه عن ذلك التعيين. ولكنه لم يفعل شيئاً من ذلك. «لافائدة أيها العجوز، فأنت مازلت تعيش في عصر آخر» هذا ماقاله لي، ثم تابع: «لاأحد يغضب الآن إذا ماجاء أي شخص وتجاوزه في سلم الوظيفة. وهل تعلم لماذا لايغضبون؟ لأن الجميع يفعلون الشيء ذاته إذا ماسنحت لهم الفرصة. إنني واثق من أنهم لن ينظروا إليّ نظرة غضب، وإنما نظرة حسد».

قلت له... ولكن، ماأهمية ماقلته له؟

الجمعة ٢٩ آذار

ياللرياح المقرفة، لم يكن يسيراً علي الانتقال من كولونيا إلى بلاثا عبر ثيواديلا. لقد طيرت الرياح تنورة فتاة. وطيرت كذلك مسوح راهب. يايسوع! أي فرق بين المشهدين. إنني أفكر أحياناً بما كان سيحدث لي لو أنني أصبحت راهباً. ربما لاشيء على الاطلاق. هنالك عبارة أرددها أربع أو خمس مرات في السنة تقول: «انني واثق بأن ثمة مهنتين لاأشعر بميل لممارستهما أبداً: العسكرية والرهبنة» ولكنني أظن أني أردد ذلك بحكم العادة، دون قناعة بما أقول.

حين وصلت إلى البيت، كان شعري مشعثاً، وكانت حنجرتي متقدة وعيناي ممتلئتين بالتراب. اغتسلت واستبدلت ملابسي، ثم جلست وراء النافذة لأشرب المتة. شعرت أنني في مأمن، وراودني احساس عميق كذلك بأنني شخص أناني. كنت أرى رجالاً ونساء وشيوخاً وأطفالاً وهم يمرون، وكانوا جميعهم يناضلون ضد الريح، بل وضد المطر الذي بدأ يهطل الآن أيضاً. ومع ذلك لم أشعر برغبة في فتح الباب ودعوتهم للاحتماء في بيتي ومشاركتي شرب كأس من المتة الساخنة. ليس ذلك لأنه لم يخطر ببالي أن أفعل. لقد مرت الفكرة في رأسي، لكنني شعرت بأني سأكون مضحكاً جداً، وتصورت الوجوه الحائرة التي سينظر بها إليّ اولئك الناس وهم يقفون وسط الريح والمطر.

مالذي كان سيحدث لي اليوم، لو أنني دخلت سلك الرهبان قبل عشرين أو ثلاثين سنة؟ أجل، أعرف ذلك، كان الهواء سيطير مسوحي ويكشف عن سروالي الذي هو كسراويل الرجال البدائيين المتوحشين. ولكن، ماذا سوى ذلك؟ هل كنت سأكسب أم سأخسر؟ ماكان لي أن انجب

أولاداً (أظن انني كنت سأتصرف كراهب نزيه وعفيف مئة بالمئة)، ولما كان لدي مكتب، ولادوام عمل، ولما كانت لي إحالة على المعاش. ولكان لي رب، هذا صحيح، ولكان لي دين. ولكن، أليس لدي ذلك الآن؟ الحقيقة أنني لاأعرف إن كنت أؤمن بالرب. يخيل إليّ أحياناً بأن الرب، إذا كان موجوداً، لن يتضايق من شكوكي. والواقع أن العناصر التي وهبنا إياها هو بالذات (التفكير، والاحساس، والحدس) ليست كافية على الاطلاق لتأكيد وجوده أو عدمه. ويمكنني بفضل هاجس داخلي أن أؤمن بالرب وأكون على صواب، أو أن لاأؤمن بالرب وأكون على صواب أيضاً. ماالحل إذن؟ أيكون للرب وجه كوجه مدير طاولة القمار وأنا لست سوى شيطان بائس يلعب على الأحمر عندما يخرج الأسود والعكس بالعكس.

السبت ٣٠ آذار

مازال روبليدو مستاء مني بسبب اختياري له في العمل الاضافي يوم الأربعاء الماضي. ياله من مسكين. فخطيبته، كما قال لي مونيوث صباح اليوم، تغار عليه غيرة مرعبة. وكان على موعد للقاء بها يوم الأربعاء في الساعة الثامنة، ولكنه لم يستطع الذهاب لأني اخترته للبقاء معي. لقد أخطرها بالهاتف، ولكن دون جدوى. فقد قالت له تلك المرتابة إنها لاتريد أن تعرف أي شيء عنه بعد الآن. وقال لي مونيوث إنه يواسيه بالقول له إنه من الأفضل دوماً معرفة مثل هذه العيوب قبل الزواج، لكن روبليدو مايزال في حالة استياء فظيعة. لقد استدعيته اليوم وأوضحت له أني لم أكن أعرف شيئاً عن أمر موعده مع خطيبته. وسألته لماذا لم يخبرني بذلك، فتطلع إلي بعينين ينبعث منهما الشرر، ودمدم: «حضرتك كنت تعرف ذلك جيداً. لقد فلقتموني بمزاحكم هذا» عطس بعصبية خالصة، ثم أضاف فوراً وعلى وجهه ملامح خيبة أمل كبيرة: «أن يمزح معي هؤلاء، وهم ليسوا سوى جماعة من

السفهاء، فاني أفهم ذلك. أما أن تفعل حضرتك مثلهم، وأنت الرجل الجدي، فهو تصرف يخيب ظني إلى حد ما في الواقع. لم أقل لك ماأشعر به نحوك من قبل، ولكن كانت لدي فكرة طيبة عنك» ورأيت أن اندفاعي للحفاظ على فكرته الطيبة حول شخصي سيكون أمراً عنيفاً، فاكتفيت بالقول له، دون غضب: «انظر، إذا أردت أن تصدقني فافعل، وإذا كنت لاتريد، فتحمل ذلك. أنا لم أكن أعرف شيئاً عن الأمر. نقطة وانتهى. وانصرف إلى عملك إذا كنت لاتريد أن تخيب ظني أيضاً».

الأحد ٣١ آذار

هذا المساء، وبينما أنا خارج من كاليفورنيا، رأيت من بعيد فتاة الامنيبوس، «امرأة المرفق». كانت آتية باتجاهي مع شخص ضخم، له جسد رياضي وجبهة عرضها اصبعين. إن رؤية ذلك الرجل وهو يضحك تدفع للتفكير بالبله البشري. وقد كانت هي نفسها تضحك أيضاً، ملقية برأسها إلى الوراء وملتصقة به بغنج. مرا في مواجهتي، ورأتني وهي في منتصف إحدى قهقهاتها، ولكنها لم تقطعها. لايمكنني أن أؤكد أنها قد تعرفت عليّ. وفجأة قالت لهجوم الوسط الذي يرافقها: «أي، حبيبي» وأدنت رأسها بحركة عضلية متغنجة من ربطة عنقه المزينة برسوم زرافات. وبعد ذلك انعطفا عبر شارع ايخيدو. اشارة استفهام كبرى: ماعلاقة هذه المرأة بتلك التي تعرت أمامي في وقت قياسي ذلك المساء؟

الاثنين ١ نيسان

اليوم أوكلوا إليّ مهمة استقبال «اليهودي الذي يأتي بحثاً عن عمل». فكل شهرين أو ثلاثة شهور يظهر هنا. والوكيل لايعرف كيف يتخلص منه.

إنه شخص طويل، أنمش، عمره نحو خمسين سنة؛ يتكلم اسبانية مرعبة وربما كان يكتبها بشكل أسوأ. وهو يخبرنا بترتيلة دائمة أن اختصاصه هو المراسلة التجارية بثلاث أو أربع لغات، والاختزال بالألمانية، وجدولة الحسابات. ويخرج من جيبه رسالة مهترئة تماماً، يشهد فيها مدير قسم الأفراد، لاأدري في أي مؤسسة في لاباز، ببوليفيا، بان السيد فرانز هينريش وولف قد قدم خدماته المرضية تماماً، وانه استقال بمحض ارادته الذاتية. ومع ذلك، فان تعابير وجهه أبعد ماتكون عن أي ارادة، ذاتية أو غيرية. لقد أصبحنا نعرف عن ظهر قلب كل حركاته، وكل حججه، وكل صبره. فهو يلح دائماً على اجراءاختبار له، ولكننا حين نطلب منه الكتابة على الآلة، تخرج الرسالة المطلوبة سيئة على الدوام؛ ويكون الصمت الهادئ هو اجابته على الأسئلة القليلة التي نوجهها اليه. لايمكنني أن أتصور مصدر عيشه. مظهره نظيف وبائس في الوقت نفسه. ويبدو لي أنه مقتنع تماماً بفشله؛ وبانه لايملك أي امكانية للنجاح، ولكنه مقتنع كذلك بضرورة أن يكون ملحاحاً مهما واجه من صدّ. لايمكنني أن أحدد بدقة اذا ماكان ذلك المشهد المؤثر كريهاً أو عظيماً، ولكنني أظن أنني لاأستطيع نسيان وجهه (أهو هادئ؟ أم أنه حاقد؟) وهو يتلقى دوماً نتيجة الاختبار السلبية، كما أنني لااستطيع أن أنسى انحناءه الوقار التي يودعنا بها. لقد رأيته بضع مرات في الشارع، وكان يمشي متمهلاً وينظر ببساطة إلى نهر المارة الذين ربما يوحون إليه بفكرة ما. وأظن أنه عاجز تماماً عن الابتسام. ويمكن لنظرته أن تكون نظرة مجنون أو حكيم أو متكلف، أو نظرة امرئ عانى كثيراً. والحقيقة أنه يخلف بي كلما رأيته احساساً بعدم الراحة، وكأنني مذنب جزئياً لحالته وبؤسه. والأسوأ من ذلك كله هو احساسي بأنه يعرف أنني مذنب. أعرف أن هذا كله ليس سوى حماقة. فأنا لاأستطيع الحصول له عمل في مكتبي، خصوصاً وأنه لاينفع لذلك أبداً.

إذن، ربما كنت أعرف أن هناك وسائل أخرى لمساعدة أمثاله. ولكن ماهي؟ النصائح مثلاً؟ لاأريد مجرد التفكير بالوجه الذي سيتلقاها به. اليوم، وبعد أن قلت له للمرة العاشرة لا، وأحسست بجرعة من الأسى في أعماقي، قررت أن أمد إليه يدي وبها ورقة من فئة العشرة بيزوات. فترك يدي ممدودة، ونظر إلي بتمعن (نظرة شديدة التعقيد، وان كنت أظن أن قوامها الأساسي بدورها هو الأسى كذلك)، وقال لي بتلك الرطانة الكريهة التي تجعل الراء ترن وكأنها خاء: «حضرتك لم تفهمني» وهذا صحيح تماماً. لم أفهم وكفى. لاأريد مزيداً من التفكير في هذا كله.

الثلاثاء ٢ نيسان

لقاءاتي مع أولادي قليلة، خصوصاً مع ابني خيمي. هذا غريب، لأن خيمي بالذات هو الذي أرغب في اللقاء به كثيراً. إنه المرح الوحيد بين الثلاثة. لاأدري ماهي قيمة اللطف في العلاقات بين الأب والأولاد، ولكن ماأعرفه أن خيمي هو أكثر أولادي الثلاثة لطفاً. ولكنه أقلهم شفافية بالمقابل.

لقد رأيته اليوم، لكنه لم يرني. تجربة غريبة. كنت عند تقاطع كونبينثيون وكولونيا، أودع مونيوث الذي اصطحبني حتى هناك. وحينئذ مرّ خيمي على الرصيف المقابل. كان يمشي مع شخصين آخرين بدا لي أن هناك شيئاً منفراً في مظهرها أو ملبسهما؛ لست أذكر جيداً، لأني دققت بشكل خاص في خيمي. لاأدري مالذي كان يقوله لهما، ولكنهما كانا يضحكان بمبالغة. أما هو، فكان جدياً. لكن ملامحه كانت تنم عن الرضا، أو ربما لم تكن كذلك، بل كانت نتيجة يقينه بالتفوق والسيطرة الواضحة التي كان يمارسها لحظئذ على زميليه.

في الليل قلت له: «اليوم رأيتك في كولونيا. كنتَ ماشياً مع شخصين آخرين». بدا لي أن لونه قد تحول إلى الحمرة. وربما كنت مخطئاً. قال:

«إنهما زميل من المكتب وابن عمه». فأضفت: «يبدو لي أنك تسليهما كثيراً». «آوه، إنهما يضحكان لأي شيء».

عندئذ، ولأول مرة في حياته على ماأظن، وجه إلي سؤالاً شخصياً، سؤالاً يتعلق بشؤوني الخاصة: «و . . . ، متى تظن أن تقاعدك يبدأ؟» خيمي يسأل عن تقاعدي! قلت له إن استيبان قد كلم صديقاً له للاسراع في ذلك. ولكن لايمكن الاسراع في الأمر كثيراً أيضاً. فلابد، قبل كل شيء، من أن أتم خمسين سنة. سألني: «وكيف تشعر؟» فضحكت واكتفيت بهز كتفي. لم أقل شيئاً لسببين: الأول، أنني لاأعرف مالذي سأفعله ببطالتي. والثاني، أنني تأثرت بهذا الاهتمام المفاجئ. إنه يوم طيب هذا اليوم.

الخميس ٤ نيسان

اضطررنا إلى البقاء في المكتب إلى وقت متأخر مرة أخرى. الذنب كان ذنبنا هذه المرة: فقد كان علينا أن نفتش عن خطأ في الحسابات. إن اختيار الذين سيبقون معي مشكلة عويصة. روبليدو المسكين كان ينظر إلي متحدياً، لكنني لم أختره؛ من الأفضل أن أدعه يفكر بأنه قد هيمن عليّ. وكان لدى سانتيني حفلة عيد ميلاد، أما مونيوث فهو يرافق صبية شبقة تجعله متعكر المزاج، وسييرا لم يأت إلى العمل منذ يومين. وأخيراً بقي معي مينديث وابييانيدا. في الثامنة إلا ربعاً اقترب مينديث مني بتكتم شديد وسألني متى سننتهي. فقلت له إننا لن ننتهي قبل التاسعة على أقل تقدير. حينئذ، اعترف لي بتكتم أشد، وباتخاذ أقصى الاحتياطات كي لاتسمعه ابييانيدا، بأن لديه «برنامجاً» في التاسعة، وأنه يريد أن يذهب إلى بيته قبل ذلك ليستحم ويحلق دقنه ويستبدل ملابسه . . . الخ. ومع ذلك، جعلته يقاسي قليلاً. سألته: «أهي جميلة؟». «إنها قصيدة أيها الرئيس» إنهم

يعرفون أن السلاح الوحيد للتغلب عليّ هو الصراحة، فيتظاهرون بالصراحة وقد أعطيته الإذن، طبعاً.

يالابيبيانيدا المسكينة. ماأن أصبحنا وحيدين في المكان الفسيح حتى بدت أكثر عصبية مماهي عليه في العادة. ولاحظت أن يدها ترتجف عندما قدمت لي إحدى الأوراق، فسألتها فجأة: «هل أنا مخيف إلى هذا الحد؟ لاتكوني هكذا يالابيبيانيدا» فضحكت عندئذ وبدأت تعمل باطمئنان أكبر. إن التحدث إليها مشكلة كاملة. فعليّ دائماً أن أكون في منتصف الطريق بين القسوة والثقة. نظرت إليها بطرف عيني أربع أو خمس مرات. من الواضح أنها فتاة طيبة. فيها ملامح محددة تنم عن شخصية وفية. عندما تندمج في العمل قليلاً يتشعث شعرها، وهذا أكثر ملاءمة لها. في التاسعة وعشر دقائق وجدنا الخطأ في الحسابات. سألتها إذا كانت ترغب في أن أرافقها. «لاياسيد سانتومي، لالزوم لذلك» ولكننا بينما كنا نمشي باتجاه الساحة تحدثنا عن شؤون العمل. ولم توافق كذلك على تناول قهوة معي. سألتها أين تسكن، ومع من. أب وأم.. خطيب؟ ولابد أنني أستثير قدراً أقل من الاحترام وأنا خارج المكتب، لأنها ردت عليّ مؤكدة بلهجة عادية أنها تعيش مع خطيبها. سألتها: «ومتى سنجتمع للفرح؟» وهو السؤال المعتاد في مثل هذه الحالات. «آوه، لقد تعرفنا منذ سنة واحدة فقط» وأظن أنها بعد أن أخبرتني بأن لديها خطيباً أصبحت تشعر بحماية أكبر، وتعاملت مع أسئلتي على أنها اهتمام شبه أبوي. ثم جمعت كل شجاعتها لتستفهم عما إذا كنت متزوجاً، واذا ماكان لي أبناء... الخ. واكتسى وجهها بملامح جدية حين علمت بترملي، وأظنها كانت تصارع نفسها بين تغيير الموضوع بسرعة أو مشاركتي المشاعر التي مضى عليها عشرون سنة. وانتصر الاتزان، فانتقلت إلى الحديث عن خطيبها، وماكتد أعرف عنه أكثر من أنه يعمل في البلدية حتى ظهرت حافلتها، فمدت يدها مودعة دون كلفة... ياللهول.

الجمعة ٥ نيسان

تلقيت رسالة من انيبال. لقد سئم سان باولو وسيرجع في نهاية الشهر. إنه خبر طيب بالنسبة إلي. لدي قلة من الأصدقاء وانيبال هو أفضلهم. فهو الوحيد على الأقل الذي أتحدث معه في بعض الموضوعات دون أن أشعر بأني مضحك. علينا أن نبحث يوماً عن القاعدة التي يستند إليها تآلفنا. فهو كاثوليكي، وأنا لست شيئاً، وهو زير نساء، وأنا أكتفي بما لابد منه، هو نشيط ومبدع وحازم، وأنا روتيني جداً ومتردد. والحقيقة أنه يدفعني في أحيان كثيرة إلى حسم أمري في اتخاذ قرار ما؛ وأكون أنا في أحيان أخرى من يكبح اندفاعه بشكوكي. عندما توفيت والدتي - في شهر آب تكون قد انقضت خمس عشرة سنة على ذلك- كنت محطماً. ولم يكن يسند كياني سوى غضب عارم على الرب والأقارب والآخرين. كلما تذكرت ذلك اليوم الذي لانهاية له، أشعر بالقرف. كان الحاضرون يومئذ ينقسمون إلى فئتين: فئة من يبدؤون البكاء منذ اجتيازهم الباب ثم يحتضنونني بين أذرعهم، وفئة من يأتون لمجرد اداء الواجب، فيمدون إليّ أيديهم بأسى مضجر، ثم يأخذون بعد عشر دقائق برواية النكات البذيئة. حينئذ حضر انيبال، اقترب مني، ولم يمد لي حتى يده، بل بدأ يتكلم بصورة طبيعية: عني، وعن نفسه، وعن أسرته، وكذلك عن أمي. وكان أسلوبه الطبيعي في الحديث أشبه بالبلسم، ونوعاً من العزاء الحقيقي؛ وقد اعتبرت ذلك أفضل تكريم يمكن لأحد أن يقدمه لأمي. هذه ليست إلا واقعة بسيطة، حادثة تكاد تكون دون معنى. . أعرف ذلك. ولكنها حدثت في لحظة من هذه اللحظات التي يجعل الألم فيها أحدنا قابلاً للتأثر بشدة.

السبت ٦ نيسان

حلم جنوني. رأيت نفسي أجتاز حديقة الحَلفاء بالبيجاما. وفجأة، على الطريق إلى بيت فخم مؤلف من طابقين، رأيت ابيبانيدا. اقتربت منها

دون تردد. كانت ترتدي فوق جسدها مباشرة ثوباً من لون واحد، دون زينة ولاحزام. وكانت تجلس على مقعد مطبخ وهي تقشر البطاطا بجوار شجرة أوكالبتوس. وفجأة، أدركتُ أن الوقت ليلاً، فدنوت منها وقلت: «يالرائحة الربيع الشهية» ويبدو أن عبارتي كانت كافية وحاسمة، لأني انهمكت مباشرة في مباضعتها، دون أن تبدي أي مقاومة.

وعندما ظهرت ابيبانيدا في المكتب صباح اليوم، وهي ترتدي فستاناً من لون واحد، دون زينة ولاحزام، لم أستطع كبح نفسي وقلت لها: «يالرائحة الربيع الشهية» فنظرت إلى بفزع حقيقي، تماماً مثلما ينظر الناس إلى معتوه أو مخمور. والأسوأ من ذلك أني حاولت أن أوضح لها بأنني كنت أتكلم وحيداً. لم أقنعها. وحين انصرفت، عند الظهيرة، كانت ماتزال تراقبني بشيء من الحذر. إنه دليل آخر على أنه يمكن للمرء أن يكون أكثر اقناعاً في الأحلام مما هو في الواقع.

الأحد ٧ نيسان

في كل أيام الآحاد تقريباً، أتغدى وأتعشى وحيداً، وأصاب بالكآبة حتماً. «ماذا فعلت بحياتي؟» إنه سؤال له رنة غارديل أو **الملحق النسائي** أو عنوان مقالة في **ريدرز دايجست**. ليس مهماً. اليوم يوم أحد، وأنا أشعر بأنني قد تجاوزت السخف وأستطيع أن أوجه لنفسي أسئلة من هذا النوع. لم تحدث في حياتي الخاصة تبدلات غير عقلانية، ولا انقلابات خارقة ومفاجئة. وأكثر أحداث حياتي غرابة كان موت ايزابيل. أيكون في هذا الموت السرُ الحقيقي لما أعتبره خيبتي؟ لاأظن. بل أنني كلما تعمقت في التقصي، كلما ازددت قناعة بأن تلك الميتة في ريعان الشباب هي مصيبة، ولنقل أنها مصيبة حالفها الحظ (رباه، ياللرنة المبتذلة والدنيئة. حتى أنا نفسي أرتاع منها) أريد أن أقول أنه في اللحظة التي اختفت فيها ايزابيل، كان عمري

ثمانية وعشرين عاما، وكانت هي في الخامسة والعشرين. لقد كنا في أوج الرغبة. وأظن أنها هي التي اكسبتني رغبتي الجسدية الشبقة. وربما هذا هو السبب في أنني عاجز حقاً عن استعادة وجه ايزابيل (وأعني استعادته مباشرة في مخيلتي وليس من خلال صور أو ذكريات لذكريات)، ولكنني أستطيع بالمقابل أن أحس في يدي، وكلما شئت، ملمس خصرها، بطنها، ربلتي ساقيها، نهديها. لماذا كانت ذاكرة يدي أكثر وفاء من ذاكرتي؟ يمكن استخلاص نتيجة من هذا كله: لو أن ايزابيل عاشت سنوات أطول مما عاشته وأصاب جسدها الترهل (مما كان جيداً فيها هو بشرتها الناعمة والمشدودة في كل أنحاء جسدها) وترهلت بالتالي قدرتي على اشتهائها، لما كنت أضمن أن علاقتنا ستكون مثالية. لأن كل انسجامنا، وهو انسجام حقيقي، كان مرتبط بالسرير حتماً، بسريرنا. ولست أعني بهذا أن علاقتنا خلال النهار كانت مثل علاقة الكلب والهر؛ بل على العكس من ذلك تماماً، فقد كان في حياتنا اليومية قدر لابأس به من الانسجام والوئام. ولكن، ماهو الكابح الذي كان يمنع وقوع الانفجارات بيننا، ويحول دون أن يطفح بنا الكيل؟ إنه ببساطة متعة الليل، وحضورها الحافظ من منغصات النهار. فإذا مامسنا الغضب يوماً وبدأنا الضغط على شفاهنا، يمر أمام ناظرينا حافز الليلة الفائتة، أو القادمة، فتلفنا عندئذ، وبشكل محتم، موجة من الرقة تُخمد كل براعم النفور. ولست أنكر في هذا الشأن أن زواجي كان حدثاً طيباً، وفترة سعيدة.

ولكن، ماذا سوى ذلك؟ فهناك الرأي الذي يكونه أحدنا حول نفسه، وهو أمرٌ علاقته ضئيلة إلى حد لايصدق بالغرور. وأعني بذلك الرأي الصريح بالنفس مئة بالمئة، الرأي الذي لايجرؤ أحدنا على الاعتراف به للمرآة التي يحلق ذقنه قبالتها. أذكر أنه في الفترة مابين السابعة عشرة والعشرين من عمري كان لي رأي طيب حول نفسي، ويمكن القول أنه كان

رأياً رائعاً. كنت أشعر بأن لدي الدافع اللازم للبدء في عمل «شيء عظيم» وانجازه، ولأن أكون ذا نفع للكثيرين في تقويم الأمور. ولايمكنني القول إن موقفي ذاك كان نوعاً من البلاهة الأنانية. فبالرغم من أنه ماكان ليزعجني أن أقابل بالاستحسان من الآخرين، بل وأن ألقى التصفيق منهم كذلك، إلا أن هدفي الأول لم يكن كما أظن استغلال الآخرين والاستفادة منهم وإنما في أن أكون مفيداً لهم. أعرف أن ذلك الشعور لم يكن مجرد احسان صاف ومسيحي؛ فضلاً عن أن المعنى المسيحي للاحسان لم يكن يهمني كثيراً. أذكر أنني لم أكن أتطلع إلى مساعدة المعوزين أو العاجزين أو البائسين (وإيماني يتضاءل أكثر فأكثر بالمساعدة الفوضوية). لقد كان ماأنويه أكثر تواضعاً؛ وكان يتمثل ببساطة في أن أكون ذا نفع لأمثالي، لمن يتمتعون بحق مفهوم أكثر من سواهم في الحاجة إليّ.

والحقيقة أن هذا الرأي الرائع حول نفسي قد تهاوى كثيراً. فأنا أشعر اليوم بأنني مبتذل ومجرد من الحماية أحياناً. وكان يمكن لي أن أتحمل بشكل أفضل أسلوبي في الحياة لو لم أكن أعي (ذهنياً فقط بالطبع) أنني فوق هذا الابتذال، وأنني أعلى – ليس كثيراً – من مهنتي المنهكة، ومن متعي القليلة، ومن ايقاع حواري؛ لأن معرفة كل ذلك لايساعدني في الحقيقة على الاطمئنان والراحة، بل يولّد لدي إحساساً أكبر بالاحباط وبأنني غير مؤهل لتجاوز الظروف المحيطة بي. والأسوأ من ذلك كله أنه لم تقع لي أحداث فظيعة تحاصرني (حسن، إن موت ايزابيل حدث شديد الوقع، لكنني لاأستطيع في نهاية المطاف أن أعتبره حدثاً فظيعاً. فهل هناك شيء أكثر طبيعية من مغادرة هذه الدنيا؟)، إنني أعني أحداثاً تكبح أفضل دوافعي، وتحرف تطوري، وتقيد روتين حياتي الناعس. فأنا من صنعت روتين حياتي بنفسي، وبأسهل الأساليب: أسلوب التراكم. وكان يقيني بأنني قادر على عمل أشياء أفضل قد أسلمني إلى التأجيل، وهذا سلاح رهيب وانتحاري في نهاية المطاف. ومن هنا كان روتيني بلا شخصية أو تحديد: فقد كان مؤقتاً

واتجاهاً غير ثابت على الدوام. . إنه اتجاه أمضي فيه خلال فترة التأجيل فقط، ولمجرد منح نفسي القدرة على تحمل واجب العمل اليومي خلال فترة الاعداد التي كنت أعتبرها كما يبدو ضرورية ولابد منها، قبل أن أنطلق نهائياً نحو قدري الحقيقي. ياللبلاهة، أليس كذلك؟ والنتيجة الآن أنه ليس لدي عيوب ذات شأن (فأنا قليل التدخين، ولاأشرب إلا قليلاً من البيرة حين أكون ضجراً بين الحين والآخر) ولكنني أظن أنني أصبحت غير قادر على الاقلاع عن التأجيل: وهذا هو، من ناحية أخرى، عيبي الكبير الذي لاشفاء منه. لأني لو قررت الآن بالذات أن أؤكد لنفسي، في نوع من القسم المتأخر: «سأصبح ماكنت أود أن أكونه بالضبط»، فان ذلك سيكون أشبه بأن أقذف بنفسي إلى شيخوخة مبكرة. إن ماأرغب فيه الآن هو أقل تواضعاً مما كنت أرغب فيه قبل ثلاثين سنة، خصوصاً وأني لم أعد أهتم كثيراً بالحصول عليه. فاحالتي على التقاعد مثلاً هي مطلب أتطلع إليه بالطبع، ولكنها مطلب على طريق الانحدار. وأنا أعرف أن موعد التقاعد سيصل، وأنه سيأتي وحده، وأعرف أنه لاحاجة بي لعمل أي شيء. وهكذا يصبح الأمر سهلاً، ويصبح جديراً بالاستسلام واتخاذ قرار.

الثلاثاء ٩ نيسان

اتصل بي صباح اليوم بيغنالي البلاطة. وقد طلبت أن يقولوا له أنني غير موجود، ولكن عندما عاود الاتصال بعد الظهر، وجدت نفسي مضطراً للرد عليه. إنني حاسم في هذا الشأن: فإذا كنتُ مرتبطاً بهذه العلاقة (التي لاأجرؤ على تسميتها صداقة) فربما لأني استحقها.

إنه يريد المجيء إلى بيتي. «أمر سري أيها العجوز. لاأستطيع أن أخبرك به على الهاتف، ولاأستطيع دعوتك إلى البيت لاطلاعك عليه» واتفقنا على اللقاء يوم الخميس. سيأتي إلى بيتي بعد العشاء.

الأربعاء ١٠ نيسان

هنالك في ابيانيدا شيء يجذبني إليها. هذا لاشك فيه. ولكن، ماهو؟

الخميس ١١ نيسان

مازال هناك نصف ساعة لتناول العشاء. الليلة سيأتي بيغنالي. سأكون وحيداً مع بلانكا، فابناي اختفيا من البيت فور علمهما بالزيارة. لست أدينهما. فأنا نفسي كنت سأهرب لو كنت مكانهما.

لقد طرأ تبدل على بلانكا. فقد اكتسب خداها لوناً جديداً، وهو ليس لوناً اصطناعياً؛ إنه يبقى بعد أن تغسل وجهها. وهي تنسى أحياناً أني موجود في البيت وتنطلق في الغناء. صوتها ليس جيداً، ولكنها تحسن التحكم به. إنني أبتهج بسماعها. ماذا يجول في رؤوس أولادي؟ أيكونون في آمال مرحلة الصعود؟

الجمعة ١٢ نيسان

جاء بيغنالي يوم أمس في الحادية عشرة، وانصرف في الثانية بعد منتصف الليل. ومشكلته تتلخص بكلمات قليلة: زوجة شقيق زوجته وقعت في حبه. رواية بيغنالي تستحق العرض، ولو بشكل تقريبي: «لاحظ أنهما يعيشان معنا منذ ست سنوات. وست سنوات ليست أربعة أيام. لن أدعي أنني لم أدقق في ألفيرا مطلقاً من قبل. أنت لاحظت أنها امرأة جيدة. ولو أنك رأيتها وهي في ملابس الاستحمام لسال لعابك. ولكن النظر شيء واستغلال الوضع شيء آخر. مارأيك؟ لقد أصبحت زوجتي بدينة جداً، ثم أنها مستنزفة في أعمال المنزل وتربية الأولاد. ويمكنك أن تتصور أنها لم تعد

تؤجج عواطفي بمجرد رؤيتها بعد خمسة عشر عاماً من الزواج. ثم أن حيضها يستمر نحو خمسة عشر يوماً، ولهذا أصبح من المستحيل أن تتطابق رغباتي مع استعدادها. والحقيقة أنني كثيراً ماأظل جائعاً والتهم بعيني ربلتي ساقي ألفيرا. وثالثة الأثافي، أن هذه الأخيرة تتجول داخل البيت دائماً **بالشورت**. وماحدث هو أن المرأة أساءت فهم نظراتي.. أو أنها في الواقع أحسنت فهمها، ولكنني لم أكن أفكر بالوصول إلى هذا الحد. والحقيقة الخالصة هي أنني لو كنت أعرف أن ألفيرا معجبة بي، لما كنت نظرت إليها، لأن الشيء الوحيد الذي لاأرغب فيه هو اشاعة التهاون في بيتي، وهذا أمر مقدس بالنسبة إليّ على الدوام. في البدء كانت مجرد نظرات، وكنت أتظاهر بالبلاهة، ولكنها قبل أيام شبكت ساقيها بساقي، وكانت **بالشورت**، ولم أجد مفراً من أن أقول لها: «حاذري». فردت علي: «لاأريد أن أحاذر»، وكانت تلك هي الضربة القاضية. بعد ذلك سألتني إذا ماكنت أعمى، وقالت إنني أعرف جيداً أنها تهتم بي، الخ، الخ. ومع أنني كنت أعرف أنه لاجدوى من النصائح، فقد ذكرتها بوجود زوجها، أي صهري، فهل تعرف بماذا ردت عليّ؟: «من؟ هذا العاجز؟» وكان هذا هو الأسوأ: فهي محقة، لأن فرانثيسكو هو عاجز فعلاً. وهذا مابرّد وساوسي. مالذي ستفعله لو أنك كنت مكاني؟».

لو أنني كنت مكانه لما كانت لدي مشكلة: فأولاً، ماكنت لأتزوج من زوجته الحمقاء، وثانياً، ماكنت سأنجذب مطلقاً إلى لحم المجربة الأخرى المترهل. ولكنني لم أستطع أن أقول له إلا مايقال بشكل عام في مثل هذه الأحوال: «عليك بالحذر. وانتبه إلى أنك لن تستطيع التخلص منها فيما بعد. إذا كنت تريد أن تقامر بوضعك العائلي كله، فواصل ماأنت فيه؛ أما إذا كان هذا الوضع الأسري يهمك أكثر من أي شيء آخر، فعليك ألا تغامر».

غـادرني وهو نادم وقلق ومتـردد. ولكنني أظن مع ذلك أن جـبهـة فرانثيسكو في خطر.

الأحد ١٤ نيسان

ركبت صباح اليوم الامنيبوس، ونزلت عند تقاطع شارعي اغراثيادا و١٩ نيسـان. منذ سنوات لم أذهب إلى ذلك المكان. وقد راودني وهم بأني أزور مدينة مجهولة. لقد انتبهت الآن فقط إلى أنني اعتدت العيش في شوارع دون أشجار. وهي شوارع يمكن لها أن تصبح باردة تماماً.

إن إحدى أعظم سعادات الحياة هي رؤية الشمس تتسرب من بين أوراق الشجر.

كان صباح هذا اليوم صباحاً طيباً. ولكنني نمت بعد الظهر قيلولة استمرت أربع ساعات، استيقظت بعدها معكر المزاج.

الثلاثاء ١٦ نيسان

مازلت أجهل الشيء الذي يجذبني إلى ابيبانيدا. لقد أمعننت النظر إليها اليوم. إنها تتحرك بشكل جيد، وتعقد شعرها بانسجام، وهناك على خديها زغب خفيف، مثل زغب الدراقن. مالذي تفعله مع خطيبها؟ أو، من الأفضل التساؤل، مالذي يفعله خطيبها معها؟ أيلعبان لعبة الثنائي الوقور أم أنهما يمارسان التحمية مثلما يفعل أي ابن جيران؟ سؤال مهم بالنسبة لخادمكم: أهو الحسد؟

الأربعاء ١٧ نيسان

يقول استيبان إنني إذا أردت احالتي على التقاعد في نهاية السنة فعلي أن أبدأ بالاجراءات منذ الآن. وهو يقول إنه سيساعدني في تحريك المعاملة، ولكنها ستحتاج لبعض الوقت مع ذلك. وقوله أنه سيساعدني في تحريكها قد يعني أنه سيرشو أحدهم. لايعجبني ذلك. إنني أعرف أن الآخر هو الأسوأ، ولكنني لن أكون بريئاً مع ذلك في مثل هذه الحال. نظرية استيبان تقول أنه لابد من سلوك الأسلوب الذي يستدعيه الجو العام. فما هو شريف، بكل بساطة، في أحد الأجواء؛ يمكن له أن يكون، وببساطة أيضاً، حماقة في أجواء أخرى. إنه محق إلى حد ما، وكونه على حق يصيبني بالخمود.

الخميس ١٨ نيسان

جاء المفتش. إنه شخص لطيف وذو شارب. لم يكن هناك بيننا من فكر بأنه سيكون متشدداً إلى هذا الحد. بدأ بطلب معلومات مفصلة عن الميزانية الأخيرة، وانتهى إلى المطالبة بتفصيل البنود المثبتة في لائحة الجرد البدائية. وأمضيت الوقت وأنا أجيء بسجلات قديمة مهلهلة منذ الصباح وحتى آخر ساعات المساء. لقد كان المفتش رجل أصول: فهو يبتسم، ويطلب المعذرة، ويقول «ألف شكراً». انه شخص فاتن. لماذا لايموت؟ في أول الأمر كنت أجتر غضبي، وأرد عليه وأنا أضغط على أسناني، وألعنه في ذهني. ثم انزاح الغضب بعد ذلك ليحل محله احساس آخر. فقد بدأت أشعر بأنني مسن. فهذه المعلومات الابتدائية التي ترجع إلى عام ١٩٢٩، كنت قد كتبتها بنفسي، وهذه القيود المثبتة في مسودة دفتر اليومية. كتبتها أنا؛ وهذه التنقلات المدونة بقلم رصاص في دفتر الصندوق، كتبتها أنا أيضاً. في ذلك الحين كنت مازال مساعد محاسب، ولكنهم كانوا يكلفونني بأعمال

مهمة، على الرغم من أن الأمجاد اليسيرة كانت من نصيب الرئيس دائماً، تماماً مثلما أكسب أنا الآن مجدي اليسير من الأمور المهمة التي يقوم بها كل من مونيوث وروبليدو، أشعر إلى حد ما بأنني مثل هيرودوس المؤسسة، مسجل ومدون تاريخها، والشاهد الباقي على قيد الحياة. خمس وعشرون سنة. خمس خمسات من السنوات. أو ربع قرن. لا. يبدو أنه من الأكثر مناسبة أن أقول بسعة واسترسال: خمس وعشرون سنة. لكم تبدل خطي! في عام ١٩٢٩، كان خطي متباعد الحروف، فحرف «t» لم يكن ينحني بالاتجاه نفسه الذي تنحني فيه حروف «b» أو «d» أو «h»، فتبدو حروفي وكأنها لم تتعرض لهبة الريح نفسها. وفي عام ١٩٣٩، كان النصف السفلي من حروف «f» و «g» و«j» يبدو وكأنه نوع غير مستقر من هداب الأثواب، الكبيرة، واستمتاعي بتنميقها بانحناءات واسعة واستعراضية وغير مجدية: فحرفا «M» و «H» كانا أشبه بعنكبوتين كبيرين، تحيط بهما شبكة وكل شيء. أما اليوم، فقد عاد خطي ليصبح متوافقاً، منتظماً، منضبطاً، واضحاً. وهو مايؤكد فقط أنني شخص متكلف، ذلك أنني أنا بالذات أصبحت معقداً، مشعثاً، فوضوياً، وغامضاً. وفجأة، عندما طلب مني المفتش معلومات تعود إلى عام ١٩٣٠. تعرفت على خطي. إنه خطي في مرحلة خاصة من حياتي. فبالخط نفسه الذي كتبت به «تفصيل الرواتب المدفوعة للموظفين عن شهر آب ١٩٣٠»، بهذا الخط بالذات، وفي تلك السنة نفسها، كنت أكتب مرتين في الأسبوع: «عزيزتي ايزابيل» لأن ايزابيل كانت تعيش حينئذ في ميلو، وكنت أكتب إليها كل ثلاثاء وجمعة بانتظام. هذا هو خطي في فترة الخطوبة إذن. ابتسمت وأنا أسحب نفسي من وسط الذكريات، وابتسم المتفش كذلك. ثم طلب مني بعد ذلك لائحة جرد أخرى.

السبت ٢١ نيسان

أيكون الجفاف قد أصابني؟ أعني الجفاف العاطفي.

الاثنين ٢٢ نيسان

اعترافات جديدة لسانتيني. وهي مرة أخرى حول أخته ذات السبعة عشر عاماً. قال لي أنها تأتي إلى غرفته عندما لايكون أبواه في البيت، وترقص أمامه وهي شبه عارية. «لديها ملابس استحمام من هذا النوع المؤلف من قطعتين، أتعرفه حضرتك؟ حسن، عندما تأتي لترقص في غرفتي تخلع الجزء العلوي» «ومالذي تفعله أنت عندئذ؟» «أنا... أصبح عصبياً». قلت له اذا كان الأمر يتوقف عند حدود الاحساس بالعصبية، فلا خطورة فيه. «ولكن، هذا سلوك غير اخلاقي ياسيدي»، قال ذلك وهو يهز معصمه الذي يحمل فيه سلسلة وميدالية «ومالأسباب التي تقدمها لتبرير مجيئها إلى غرفتك والرقص بمثل هذه الملابس القليلة؟». «لاحظ ياسيدي، أنها تقول أني لاأميل إلى النساء، وأنه ستشفيني من ذلك». «وهل هذا صحيح؟». «حسن، حتى ولو كان صحيحاً... ليس هناك مبرر لأن تفعل ذلك... من أجلها هي بالذات كما أعتقد» عندئذ انقدت لتوجيه السؤال الذي كان يبحث عنه منذ زمن: «وهل يعجبك الرجال؟» فهز السلسلة والميدالية مرة أخرى وقال: «ولكن هذا غير أخلاقي ياسيدي – وغمز إلي غمزة تعتبر منتصف الطريق مابين الشقاوة والقرف، ثم سألني قبل أن أتمكن من قول أي شيء: – ألا ترى حضرتك ذلك؟». طردته من أمامي، وكلفته بعمل من النوع الذي يتعفن المرء فيه. لديه الآن عمل لايتيح له أن يرفع رأسه خلال عشرة أيام. هذا ماكان ينقصني: مخنث في القسم. يبدو أنه شخص «موسوس». ياللتحفة. ومع ذلك، هناك أمر مؤكد تماماً: فاخته الصغرى فتاة خطيرة.

الأربعاء ٢٤ نيسان

اليوم، ومثل كل رابع وعشرين من نيسان، تعشينا معاً. مناسبة طيبة: أنه يوم ميلاد استيبان. أظن بأننا نشعر جميعاً باضطرارنا للظهور بمظهر

السعادة. حتى استيبان نفسه لم يكن يبدو أنه مهتم بالمناسبة؛ لقد روى بعض النكات، وتحمل واقفاً معانقاتنا له.

الوجبة التي أعدتها بلانكا كانت ذروة الليلة. وهذا يوفر الجو لطيب المزاج بالطبع. فليس من العبث أبداً أن فروجاً مطهواً على الطريقة البرتغالية يجعلني أكثر تفاؤلاً مما لو كانت الوجبة عجة بطاطا. ألم يخطر ببال أي سوسيولوجي أن يقوم بدراسة متأنية حول تأثير المطبخ على الثقافة والاقتصاد والسياسة في الأوروغواي؟ رباه، كم نأكل! في الفرح، في الألم، في الفزع، في اليأس. إن حساسيتنا مطبخية في اساسها. وميلنا الغريزي كديمقراطيين يستند إلى مُسلَّمة قديمة: «لابد لنا جميعاً من أن نأكل». ومتدينونا لايهتمون إلا قليلاً بأن يغفر لهم الله خطاياهم، ولكنهم بالمقابل يتوسلون إليه جاثين والدموع في عيونهم بألا يحرمنا خبرنا كفاف يومنا. وأنا واثق من أن خبزنا هذا ليس مجرد رمز: أنه خبز ألماني زنة كيلوغرام.

حسن، أكلنا جيداً، وشربنا نبيذاً أبيض ممتازاً، واحتفلنا باستيبان. وفي النهاية، بينما كنا نحرك القهوة بتمهل، أطلقت بلانكا خبراً: إن لديها خطيب. أحاطها خيمي بنظرة غريبة، مبهمة (ماهو خيمي؟ من هو خيمي؟ ماذا يريد خيمي؟) أما استيبان فسألها بمرح عن اسم «تعيس الحظ». وأظن أنني شعرت بالسعادة وأبديت ذلك الشعور. سألتها: «ومتى سنتعرف على هذا المحظوظ؟». «انظر يابابا، دييغو لن يقوم بهذا النوع من الزيارات البروتوكولية كل يوم اثنين وأربعاء وجمعة. اننا نلتقي في أي مكان. في مركز المدينة، في بيته، أو هنا» لابد أننا قطبنا جبيننا عندما قالت «في بيته»، لانها سارعت لتضيف: «إنه يعيش مع أمه، في شقة. وأنا لست خائفة» فسألها استيبان بشيء من الاستياء: «ألا تخرج أمه من البيت أبداً؟» فقالت له بلانكا: «لاتكن ثقيلاً»، ثم وجهت السؤال إليّ مباشرة: «بابا، أريد أن

أعرف إذا كنت تثق بي. إنه الرأي الوحيد الذي يهمني. هل تثق بي؟» عندما يسألونني هكذا، بشكل مفاجئ، يكون لدي رد واحد فقط. وابنتي تعرفه: «طبعاً أثق بك». واكتفى استيبان بابداء ريبته بنحنحة مدوية. بينما بقي خيمي صامتاً.

الجمعة ٢٦ نيسان

دعانا الوكيل إلى اجتماع آخر. لم يكن سواريث حاضراً، فهو مصاب بالزكام لحسن الحظ. وقد انتهز مارتينث الفرصة ليعلن بعض الحقائق. لقد كان جيداً. إنني أقدر فيه همته. أما أنا، فلا يهمني في الحقيقة شيء من المكتب والألقاب والمراتب والحماقات الأخرى. لم أشعر مطلقاً بأي ميل إلى المراتب الوظيفية. فشعاري السري هو: «كلما قلّت المرتبة، قلّت المسؤولية» والحقيقة أن المرء يعيش براحة أكبر إذا لم يكن في مرتبة وظيفية عالية. أما بالنسبة لمارتينيث، فقد كان ما فعله جيداً. فالوحيدون القادرون، بين جميع رؤساء الأقسام، على التطلع إلى منصب معاون الوكيل (وهو منصب لابد من شغله في نهاية السنة)، هم، وحسب ترتيب الأقدمية: أنا، ومارتينث، وسواريث. ومارتينث لايخشاني، لأنه يعرف أنني سأتقاعد. ولكنه بالمقابل يخشى سورايث (وهو محق)، فمنذ بدأ هذا الأخير علاقته بالبيردي، أصبح تقدمه ملحوظاً: فقد انتقل من مساعد أمين صندوق إلى موظف من الدرجة الأولى في منتصف السنة الماضية، ومن موظف درجة أولى إلى رئيس قسم الصادر قبل أقل من أربعة أشهر. ومارتينيث يعلم جيداً أن الطريقة الوحيدة لحماية نفسه من سواريث هي في الحط من قيمته تماماً. والحقيقة أنه لايحتاج في هذا المجال إلى عصر مخيلته كثيراً، لأن سواريث هو مصيبة فيما يتعلق بقيامه بأعماله، لأنه يعرف أنه يتمتع بوضع استثنائي، ويعرف أنه مكروه، ولكن وخز الضمير لم يكن من اختصاصه على الاطلاق.

كان لابد من رؤية وجه الوكيل عندما أفرغ مارتينث كل مافي احشائه. فقد سأله مباشرة إذا ما «كان السيد الوكيل يعرف عضواً آخر في مجلس الادارة لديه ابنة جاهزة ترغب في مضاجعة أحد رؤساء الأقسام»، وأضاف أنه سيكون «تحت تصرفها». فسأله الوكيل عما يعنيه بهذا الكلام، وهل يريد أن يصرفوه من العمل. فأوضح له مارتينث: «أبداً. ماأبحث عنه هو الترفيع. فقد علمت أن هذا هو الأسلوب المتبع» بدا الوكيل في وضع يرثى له. فهو يعرف أن مارتينث على حق، ولكنه يعرف أنه لايستطيع عمل أي شيء. لأنه لايمكن المس بسواريث، في الوقت الراهن على الأقل.

الأحد ٢٨ نسيان

لقد وصل انيبال، وقد ذهبت لاستقباله في المطار. إنه أكثر نحولاً وهرماً وأشد استنزافاً مما كان عليه. ولكنني سعدت على أي حال لرؤيته من جديد. تحدثنا قليلاً، لأن شقيقاته الثلاث كن حاضرات، ولم أكن على علاقة حسنة بهاتيك الببغاوات. وقد اتفقت معه على اللقاء قريباً. سيتصل بي في المكتب لتحديد الموعد.

الاثنين ٢٩ نيسان

كان القسم مقفراً اليوم. لقد تغيب ثلاثة موظفين. وخرج مونيوث إلى الشارع، وذهب روبليدو لمراجعة البطاقات مع موظفي قسم المبيعات. لحسن الحظ أن العمل قليل في مثل هذا الوقت من الشهر. فالجلبة تأتي عادة بعد اليوم الأول من كل شهر. انتهزت فرصة الوحدة وقلة العمل لأتحدث قليلاً مع ابيبانيدا. فمنذ عدة أيام أراها منطفئة، وشبه حزينة. أجل، فحزنها

يمكن الاحساس به. أنه يبرز ملامحها، ويجعل عينيها كئيبتين، ويجعلها أكثر شباباً مما هي عليه. إنني معجب بابيبانيدا. وأظن أني كتبت هذا في إحدى المرات. سألتها عما بها. فدنت من طاولتي، وابتسمت لي (إنها تجيد الابتسام)، ولم تقل شيئاً. فقلت لها: «منذ بضعة أيام أراك منطفئة، وشبه حزينة– ولكي يكون تعليقي مزوداً بكلمات أفكاري نفسها، أضفت: أجل، فحزنك يمكن الاحساس به» ولم تأخذ الأمر على أنه مغازلة. بل بدت السعادة على عينيها الكئيبتين فقط، وقالت: «أنت طيب جداً ياسيدي سانتومي» ولماذا«سيد سانتومي» هذه ياربي؟ لقد كان للجملة الأولى من كلامها وقع طيب. . . أما «سيد سانتومي» فقد ذكرتني بسنوات عمري التي تقترب من الخمسين، وأطفأت حرارتي دون رحمة، ولم يبق لدى من القوة إلا مايكفي لأن أسألها بنبرة أبوية غير موفقة: «أهو خطيبك؟» فامتلأت عينا ابيبانيدا المسكينة بالدموع، وهزت رأسها بحركة يبدو أنها مؤكدة لما قلت، ثم تلعثمت بكلمة «آسفة» وخرجت راكضة نحو الحمام. بقيت أمام أوراقي لبعض الوقت لاأعرف ماذا أفعل، وأظن أني كنت متأثراً. شعرت بهيجان داخلي لم أشعر بمثله منذ زمن. ولم يكن ذلك هو الاحساس العادي لشخص يرى امرأة تبكي أو توشك على البكاء. فهيجاني كان بسببٍ مني، ومني أنا فقط؛ وليس بسبب ادراكي لتأثري. وفجأة أضاء نور ساطع دماغي: إنني لست جافاً إذن! عندما رجعت ابيبانيدا، بلا دموع وخجلة بعض الشيء، كنت ماأزال استمتع بأنانية باكتشافي الجديد. لست جافاً. عندئذ تطلعت إليها بامتنان، ولأن مونيوث وروبليدو كانا قد رجعا، فقد انصرفنا كلانا، أنا وهي، إلى العمل وكأننا ننصاع لاتفاق سري فيما بيننا.

الثلاثاء ٣٠ نيسان

فلنر. ماذا حدث لي؟ ان رأسي مشغول بجملة واحدة، وكأنها شعار دعائي يتكرر بالحاح: «لقد اختلفت مع خطيبها إذن». ويلي ذلك انتظام

بهيج في ايقاع تنفسي. في اليوم نفسه الذي اكتشفت فيه أنني لست جافاً، أشعر بالمقابل، وبشكل مثير للقلق، أنني أناني. لابأس، وعلى الرغم من ذلك كله، أظن أن هذا يعني خطوة إلى الأمام.

الأربعاء ١ أيار

يوم العمال العالمي الأكثر ضجراً في التاريخ العالمي. والأسوأ من ذلك كله أنه جاء يوماً رمادياً، ماطراً، وشتائياً مبكراً. الشوارع خالية من الناس، ومن حافلات الاومنيبوس، ومن كل شيء. وأنا في غرفتي، على سريري الضيق الذي يتسع لشخص واحد، وسط هذا الصمت القاتم والثقيل للساعة السابعة والنصف صباحاً. ليت الساعة تكون التاسعة وأكون وراء مكتبي، أتطلع بين الفينة والأخرى إلى يساري لأجد ذلك الوجه الحزين، الملبد، والأعزل.

الخميس ٢ أيار

لم أرغب في تبادل الحديث مع ابييانيدا. أولاً، لأنني لاأريد أن أخيفها؛ وثانياً، لأنني لاأعرف في الواقع ماأقول لها. عليّ أن أعرف قبل ذلك مالذي يحدث لي. لايمكن، بعد كل هذه الحياة، أن تظهر فجأة هذه الفتاة، وهي ليست باهرة الجمال، وتتحول إلى مركز اهتمامي. صحيح أنني أصبحت عصبياً مثل مراهق؛ ولكنني عندما انظر إلى بشرتي التي بدأت تتهدل، وعندما أرى التجاعيدالتي تحيط بعيني، وهذه الأوردة المحتقنة عند رسغي، وعندما أشعر في الصباح بسعالي الشيخوخي، وهي عدة سعلات ضرورية لكي تبدأ قصباتي الهوائية يومها، فانني أفقد احساسي بالمراهقة عندئذ، وأشعر أنني رجل مضحك.

لقد توقفت آلية أحاسيسي كلها منذ عشرين سنة، عندما ماتت ايزابيل. فقد بدأ الأمر باحساس بالألم، ثم بعدم المبالاة، وبعد ذلك الحرية، وأخيراً الضجر. ضجر طويل ومقفر ومتماثل. آه، وخلال جميع هذه المراحل بقي الجنس فعالاً. ولكن تقنيته أصبحت مثل نقر الدجاج: فاليوم برنامج في الامنيبوس، وغداً المحاسبة التي جاءت للتفتيش، وبعده أمينة الصندوق في شركة ادغاردو لاماس المغفلة. ولا وجود للقاء ثانٍ مع المرأة نفسها على الاطلاق. إن ذلك أشبه بدفاع غير واعٍ ضد الالتزام وضد تنظيم مستقبلي في علاقة طبيعية ذات أساس دائم. لماذا كل ذلك؟ وعم كنت أدافع؟ أكنت أدافع عن صورة ايزابيل؟ لاأظن ذلك. فأنا لاأشعر بأنني ضحية مثل هذا الالتزام المأساوي، كما أنني، من جهة أخرى، لاأقبل به على الاطلاق. أكنت أدافع عن حريتي؟ ممكن. فحريتي هي التسمية الأخرى لحالة الركون التي أعيشها. ثم إن الحديث عن مضاجعة امرأة اليوم، وأخرى غيرها غداً؛ ليس إلا كلاماً يقال، فالأمر يقتصر على مرة واحدة في الأسبوع تقريباً. أي ماتقتضيه الحاجة الطبيعية فقط؛ مثل الطعام، والاستحمام، ومثل التغوط. أما مع ايزابيل فقد كان الأمر مختلفاً. كان هناك نوع من المشاركة؛ وعندما كنا نمارس الحب، كان يبدو لي أن كل عظمة صلبة في جسدي تلتقي بعظمة لينة في جسدها، وأن كل حركة مني يقابلها، وبشكل حسابي، صدى منها. كان كل منا يتمم الآخر مثل اعتياد المرء على الرقص مع شخص معين. تكون استجابة كل منهما، في أول الأمر، لكل حركة محدودة؛ ثم تصبح الاستجابة بعد ذلك للفكرة التي ترد إلى ذهن أحدهما. فأحدهما فقط هو الذي يفكر، لكن الجسدين يصنعان معاً التشكيل المنشود.

السبت ٤ أيار

اتصل بي انيبال هاتفياً. سنلتقي غداً.

ابيبانيدا تغيبت عن المكتب. خيمي طلب مني نقوداً. لم يفعل شيئاً كهذا مطلقاً من قبل. سألته لماذا يريد النقود. «لاأستطيع، ولاأريد أن أخبرك بذلك. إذا كنت ترغب فسلّفني المبلغ، واذا كنت لاترغب فاحتفظ بالنقود لنفسك. سيان عندي». «سيان؟» «نعم، سيان، لانه إذا كان علي أن أفتح أمامك حياتي الخاصة، وقلبي، واحشائي.. الخ، كثمن مشين لذلك، فانني أفضل اقتراض النقود من أي مكان آخر، حيث يتقاضون مني فائدة فقط» أعطيته النقود التي طلبها بالطبع. ولكن، ماسبب كل هذه الثورة؟ فمجرد سؤال عابر لايعني ثمناً مشيناً. وأسوأ مافي الأمر، وأكثر مايغيظني هو أنني أوجه مثل هذه الأسئلة عموماً وأنا ساه، فآخر ماأبتغيه هو التدخل في شؤون الآخرين الخاصة، وخصوصاً شؤون أبنائي. لكن خيمي، وكذلك استيبان، لديهما استعداد مسبق للدخول في خلاف معي. لقد أصبحا يميلان إلى الخصام بشكل رهيب. فليتدبرا أمورهما كما يريدان إذن.

الأحد ٥ أيار

لم يعد انيبال هو نفسه. لقد راودني على الدوام احساس غامض بأنه سيبقى شاباً إلى الأبد. ولكن الأبد قد حان كما يبدو، لأني لم أجده شاباً. لقد انحط جسدياً (إنه نحيل، عظامه بارزة أكثر من السابق، وملابسه فضفاضة على جسده، ويبدو كأن شعرات كثيرة قد استلت من شاربه، ولكن الأمر لم يكن يتوقف عند هذا الحد. فهناك نبرة صوته الذي بدا لي أكثر كآبة من الصوت الذي أذكره؛ وحتى حركة يديه التي فقدت خفتها؛ ونظرته التي بدت لي خامدة للوهلة الأولى، ولكنني مالبثت أن أدركت أنه خائب الأمل فقط. وحتى موضوعات أحاديثه التي كانت شيقة فيما مضى،

هي الآن رمادية بشكل غير معقول. كل شيء يتلخص في نتيجة واحدة: لقد فقد انيبال متعته في العيش.

لم يقل تقريباً أي شيء عن نفسه، أعني أنه تكلم عن نفسه بشكل عابر فقط. يبدو أنه قد جمع بعض المال. وهو يريد أن يستقر هنا ويقيم مشروعاً تجارياً، ولكنه لم يحدد الفرع الذي سيعمل فيه بعد. وهناك شيء بقي فيه كالسابق، فهو مازال يهتم بالسياسية.

ليس هذا ميلي الأساسي. وقد انتبهت إلى ذلك عندما بدأ يوجه إلي أسئلة متزايدة الحدة، وكأنه يبحث عن تفسيرات لأمور لاأستطيع فهمها. وقد انتبهت إلى أنها الموضوعات التافهة التي يتداولها أحدنا أحياناً في أحاديث المكتب أو المقهى، أو التي يفكر فيها بشكل مبهم وعارض وهو يقرأ الجريدة أثناء تناول الفطور، وانتبهت إلى أنني لاأملك رأياً حقيقياً محدداً فيها. لقد اجبرني انيبال على الخوض فيها، وأظن أنني رحت أترسخ مع تتالي الاجابات. سألني إذا كنت أرى أن الأمور قد تحسنت أم ساءت عما كانت عليه قبل خمس سنوات، عندما غادر البلاد. وردت خلاياي كلها بالاجماع: «ساءت». ولكن، كان علي أن أوضح السبب فيما بعد. آوه! ياللمهمة الشاقة.

فالرشوات كانت موجودة دوماً، وكذلك المراتب، ومجالس الادارة وماشابه ذلك. ماهو الأسوأ إذن؟ وبعد أن عصرت دماغي كثيراً توصلت إلى القناعة بأن ماهو أسوأ هو الاذعان. فالمتمردون تحولوا إلى أشباه متمردين، وأشباه المتمردين إلى مذعنين. وأظن أن الفئتين اللتين حققتا تقدماً كبيراً خلال الفترة الأخيرة في مونتيفيديو المنيرة هما المخنثون والمذعنون. «لايمكن عمل أي شيء»، هذا مايقوله الناس عادة. في السابق، كان مقدمو الرشوات هم من يريدون الحصول على شيء غير مشروع. ولكنه زمن انقضى. فمن يريد الحصول على شيء مشروع الآن عليه أن يقدم رشوة. وهذا يعني منتهى التسيب.

ولكن الاذعان ليس هو الحقيقة كلها. ففي البدء كان الاذعان؛ ثم تلاه انعدام الضمير؛ وتبع ذلك فيما بعد التواطؤ الجماعي. لقد كان مذعناً سابقاً ذاك الذي أطلق العبارة الشهيرة: «إذا كان الذين في الأعلى يبتلعون، فأنا أيضاً سأبتلع» والمذعن السابق لديه الذريعة التي تبرر تخليه عن النزاهة بالطبع، وهذا هو الأسلوب الوحيد الذي يحول دون نيل الآخرين منه. فهو يقول إنه وجد نفسه مضطراً للدخول في اللعبة، لأن قيمة دخله كانت تتضاءل، ولأن السبل السوية كانت مسدودة أمامه. وهو مايزال يحمل حقداً ثأرياً ونابضاً على أولئك الرواد الذين دفعوه للسير في هذا الطريق. وربما يكون أكبر المنافقين، لأنه لايعمل شيئاً للافلات من ذلك الوضع. وربما يكون أكبر اللصوص أيضاً، لأنه يعرف جيداً أن أحداً لن يموت بسبب النزاهة.

المسألة هي أنني غير معتاد على التفكير في كل هذه الأمور! لقد ذهب انيبال عند الفجر وبقيت أنا في حالة قلق شديد، حتى أنني لم أشأ معها التفكير بابييانيدا.

الثلاثاء ٧ أيار

هناك طريقتان للتقرب من ابييانيدا: آ) الصراحة، بأن أقول لها تقريباً: «أنت تعجبينني، ودعينا نرى مايمكن أن يحدث»، ب) التزلف، بأن أقول لها تقريباً: «انظري ياصبية، لدي تجربتي، ويمكنني أن أكون بمقام أبيك، فاستمعي إلى نصائحي» وربما كان الأسلوب الثاني هو المناسب لي، حتى ولو بدا ذلك غير قابل للتصديق. لأنني في الأسلوب الأول سأجازف كثيراً بالرغم من أن كل الأمور مازالت غير ناضجة. أظن أنها ترى فيّ مديراً لطيفاً إلى حد ما، ولاشيء أكثر. ومع ذلك، فهي ليست صغيرة جداً، فأربع وعشرون سنة ليست أربع عشرة سنة. إنها إحدى سنوات العمر التي

يفضلن فيها الرجال الناضجين. ولكن خطيبها كان شاباً مع ذلك. حسن، لقد انتهت علاقتها به. وربما ستدفعها ردة الفعل الآن للمضي في الاتجاه المعاكس. وفي الاتجاه المعاكس قد أكون أنا بالذات: سيد ناضج، مجرب، أشيب، رصين، تسع وأربعون سنة، دون أمراض ذات شأن، راتب جيد. ولن أذكر الأبناء الثلاثة في بطاقة التعريف؛ فهذا غير مشجع. ولكنها تعرف على أي حال أن لدي أبناء.

والآن، حسن (ولنقل ذلك بتعابير امرأة الحي الفضولية) ماهي نواياي؟ الحقيقة أنني لم أحسم أمري للتفكير بعلاقة دائمة، من نوع «إلى أن يفرق الموت بيننا» (ماإن كتبت كلمة «موت» حتى ظهرت لي ايزابيل. ولكن ايزابيل كانت شيئاً آخر، أظن أن اهتمامي بالجانب الجنسي في علاقتي بابييانيدا أقل شأناً، أو ربما أن الجنس في التاسعة والأربعين يصبح أقل أهمية مما كان عليه في الثامنة والأربعين)، ولكنني لم أحسم أمري بالبقاء دون ابييانيدا كذلك. أما الوضع المثالي الذي توصلت إليه فسيكون بالحفاظ على العلاقة بابييانيدا دون الاضطرار إلى جعلها علاقة دائمة. ولكن هذا كثير. ومع ذلك، لابأس من المحاولة.

لايمكنني أن أعرف شيئاً قبل أن أتحدث إليها. فكل شيء مجرد حكايات انسجها لنفسي. صحيح أنني، بعد هذا العمر، أصبحت أمل المواعيد السرية، واللقاءات في الشقق المفروشة، لأنها تتم دائماً في جو مخلخل وباحساس بالآنية، وبأن الأمر مستعجل، مما يفسد أي نوع من الحوار يمكن أن أقيمه مع أي نوع من النساء. لأن أهم شيء في نظري حتى لحظة مضاجعتها، ولتكن من تكون، هو مضاجعتها؛ وبعد الانتهاء من ممارسة الحب، يكون أهم شيء هو انصرافنا، عودة كل منا إلى سريره الخاص، ونسيان أحدنا الآخر إلى الأبد. وبعد سنوات وسنوات من هذه اللعبة، لست أذكر حواراً واحداً مشجعاً، ولاعبارة واحدة مؤثرة (مني أو

منهن)، عبارة من تلك التي تعود للظهور فيما بعد، في لحظة تشوش، لنحسم بها تردداً ما، ونقرر اتخاذ موقف يحتاج إلى جرعة دنيا من الشجاعة. حسن، هذا ليس صحيح تماماً. ففي شقة مفروشة في شارع ريفيرا، قبل نحو ست أو سبع سنوات، قالت لي امرأة هذه العبارة الشهيرة: «أنت تمارس الحب بوجه موظف».

الأربعاء ٨ أيار

بيغنالي مرة أخرى. إنه ينتظرني عند مخرج المكتب. ولم أجد بداً من الموافقة على دعوته لتناول فنجان من القهوة، كمقدمة لابد منها لساعة من البوح بالاسرار.

إنه متألق. يبدو أن زوجة شقيق امرأته قد نجحت في هجومها الغرامي، واذا صح ذلك فهو في أوج غرامياته الآن. «لقد توغلت معي بشكل يشبه الكذب»، قال ذلك وهو يداعب ربطة عنق شبابية جداً ذات لون فاتح ومزركشة بمعينات صغيرة زرقاء، وهي تعني في الحقيقة تطوراً ملحوظاً بالمقارنة مع ربطات العنق المجعدة ذات اللون البني القاتم غير المحدد التي كان يستخدمها في عهده كزوج فقط، زوج وفي. «إنها امرأة بكل معنى الكلمة ياصديقي... ولديها جوع مزمن».

انني اتخيل جوع الفيرا البدينة المزمن، ولاأريد مجرد التفكير بما سيؤول إليه حال بيغنالي المسكين بعد ستة أشهر. ولكنه يشع الآن سعادة من جميع مسامات جسده. أعتقد، وبكل صراحة، أن ماأغواها فيه هو شكله كذكر. وهو لم ينتبه إلى أنه لايمثل أمام «جوعها المزمن» إلا الرجل المقبول إلى حد ما والامكانية المتاحة للتغيير.

«وزوجتك؟» سألته بمزاح مترصد. فقال: «هادئة. أتعرف ماقالته لي

قبل أيام؟ قالت إن مزاجي قد تحسن كثيراً في المدة الأخيرة. وهي محقة في ذلك. فحتى كبدي صار يقوم بوظائفه جيداً».

الخميس ٨ أيار

لايمكنني أن أتحدث إليها في المكتب. يجب أن أفعل ذلك في مكان آخر. إنني أرصد الطريق الذي تسلكه. غالباً ماتبقى في مركز المدينة لتناول وجبة الغداء. وهي تأكل بصحبة صديقة لها، فتاة بدينة تعمل في شركة «لندن باريس». ولكنهما تفترقان بعد ذلك، وتذهب هي لتتناول شيئاً في المقهى الذي عند تقاطع الشارع الخامس والعشرين وشارع ميسيونيس. يجب أن يكون اللقاء صدفة، فهذا أفضل.

الجمعة ١٠ أيار

لقد تعرفت على دييغو، صهر المستقبل. انطباعي الأول عنه:

انه يعجبني. في نظرته تصميم، وهو يتكلم بنوع من الاعتداد بالنفس يبدو لي أنه اعتداد غير مجاني، أعني أنه يستند إلى شيء في ذاته. لقد عاملني باحترام، ولكن دون أن يتملقني. كان هناك شيء يعجبني في كل تصرفاته، وأظنه أرضى غروري أيضاً. لقد كان مستعداً تماماً للتعامل معي، وهذا أمر لاشك فيه. ولكن كيف يكون لديه هذا الاستعداد المسبق من مصدر آخر غير أحاديثه مع بلانكا؟ سأكون سعيداً حقاً، في هذا المجال على الأقل، إذا عرفت أن لدى ابنتي انطباع جيد عني. هذا غريب، فأنا لاأهتم مثلاً بانطباع استبيان عني. ولكنني أهتم بالمقابل اهتماماً كبيراً، بانطباع خيمي وبلانكا. وربما كان السبب الذي أطلت البحث عنه يتلخص في أنني، بالرغم من أن الثلاثة يمثلون الكثير بالنسبة إلي، وبالرغم من أنني أرى في

الثلاثة انعكاساً لكثير من دوافعي واحباطاتي، ألاحظ في استيبان فضلاً عن ذلك نوعاً من العداوة الخفية، شكلاً من أشكال الكراهية التي لايتجرأ على البوح بها لنفسه. لست أدري من كان البادئ، أهو صدوده أم صدودي، ولكن الأمر المؤكد كذلك هو أنني لاأحبه مثل أخويه، فقد كنت أشعر على الدوام بأني بعيد عن هذا الابن الذي لايستقر في البيت، والذي يكلمني وكأنه مجبر على ذلك، ويجعلنا نشعر جميعاً بأننا «غرباء»في «اسرته» المؤلفة منه، ومنه وحده. خيمي لايشعر كذلك بميل إلى التواصل معي، ولكني لاألمس منه ذاك النوع من الصدود المندفع. إن خيمي، بطبيعته، شخص متوحد لاسبيل إلى اصلاحه، والآخرون، جميع الآخرين، يأتون في نظره ليدفعوا ثمن الأطباق المهشمة.

أعود ثانية إلى دييغو: يسعدني أنه شاب ذو شخصية متميزة، فهذا سيكون جيداً بالنسبة لبلانكا. إنه يصغرها بسنة واحدة، ولكنه يبدو أكبر منها بأربع أو خمس سنوات. المهم أنها ستشعر بالحماية. وبلانكا من جهتها وفية ومخلصة، وهي لن تغبنه. إنني أحب خروجهما معاً وحيدين، دون ابنة عم أو أخت صغيرة ترافقهما. فالزمالة مرحلة جميلة من مراحل الحياة، لايمكن الاستعاضة عنها، ولايمكن استبدالها. وهذا مالن أغفره أبداً لوالدة ايزابيل؛ فقد كانت خلال فترة خطوبتنا دائمة الالتصاق بنا مثل رقعة. كانت تراقبنا بصرامة وغيرة تدفع أحدنا، حتى ولو كان في ذروة الطهارة، إلى استحضار كل الأفكار الخاطئة التي في متناول يده. وحتى في تلك المناسبات التي كانت تتغيب فيها - وهي نادرة في الحقيقة-، لم نكن نشعر بأننا وحيدين؛ فقد كانت تسيطر علينا القناعة بأن هناك نوعاً من الشبح المتلفع بشال يرصد كل حركاتنا. فاذا تبادلنا القبل يوماً فعلنا ذلك ونحن متوترين، ومتيقظين لالتقاط أي اشارة لظهورها في أي ركن من أركان غرفة المعيشة الأربعة، حتى أن القبلة كانت تأتي دائماً كملامسة عابرة تماماً، فيها شيء من الجنس، وشيء أقل من الحنان، ولكن فيها بالمقابل الكثير من الخوف، من الماس

الكهربائي، من تمزق الأعصاب. إنها ماتزال على قيد الحياة؛ وقد رأيتها في مساء أحد الأيام الماضية في شارع ساراندي، طويلة، حازمة، صلبة، وهي ترافق في نوبة حراسة أصغر بناتها الست وشاباً تعيس الحظ، له وجه خطيب. ولم يكن العريس المرشح والفتاة يمسك أحدهما بذراع الآخر، بل كان بينهما فاصل يبلغ اتساعه نحو عشرين سنتمتراً. من الواضح أن العجوز لم تتنازل بعد عن شعارها الشهير: «تأبط الذراع إلى مابعد الزواج».

ولكنني ابتعدت ثانية عن موضوع دييغو. يقول انه يعمل في مكتب، وأنه عمل مؤقت فقط. «لاأستطيع الرضا بمستقبل أرى فيه نفسي على الدوام هناك، محبوساً، استنشق رائحة الشيخوخة فوق الدفاتر والسجلات. إنني واثق بأني سأصبح، وسأفعل، شيئاً آخر» كانت هناك حقبة من حياتي كنت أفكر فيها بهذه الطريقة أيضاً. ومع ذلك، مع ذلك... يبدو أن هذا الشاب أكثر حزماً مني.

السبت ١١ أيار

في إحدى المرات سمعتها تقول إنها تلتقي في معظم أيام السبت ظهراً مع ابنة عم لها عند تقاطع الشارع الثامن عشر وشارع باراغواي. يجب أن أكلمها. انتظرت ساعة في ذلك التقاطع، ولكنها لم تحضر. لاأريد الاتفاق معها على موعد. يجب أن يبدو الأمر صدفة.

الأحد ١٢ أيار

سمعتها تقول كذلك أنها تذهب في أيام الآحاد إلى المعرض. يجب أن أكلمها، ولهذا ذهبت إلى المعرض. وخيل إلي مرتين أو ثلاث مرات إنني

وجدتها. فقد كنت أرى، فجأة، في الزحام، ووسط الرؤوس الكثيرة، جزءاً من عنق أو تسريحة أو كتف يشبه عنقها أو تسريحتها أو كتفها، ولكن ماأن أرى الشخص كاملاً حتى يتكامل ذلك الجزء الذي رأيته مع صاحبه ويفقد تشابهه بها. وكنت أرى أحياناً امرأة من الخلف، لها مثل مشيتها، ومثل مؤخرتها، ومثل رقبتها. ولكن ماأن تلتفت حتى يصبح التشابه مستحيلاً. الشيء الوحيد الذي لايمكن أن يكون خادعاً (كملمح منفصل) هو النظرة. ولكنني لم أجد عينيها في أي جهة. ومع ذلك (وهذا خطر لي الآن فقط) فانني لاأعرف كنه عينيها، لاأعرف لونهما. رجعت منهوكاً ومضطرباً ومكدراً وضجراً. ولكن هناك كلمة واحدة أكثر ايجازاً وصواباً: رجعت وحيداً.

الاثنين ١٣ أيار

ذهبت إلى مقهى تقاطع الشارع الخامس والعشرين وشارع مسيونيس. وبقيت هناك منذ الساعة الثانية عشرة والنصف وحتى الثانية. قمت بتجربة: فكرت «يجب أن أتحدث إليها، وعليها بالتالي أن تحضر» بدأت أراها في كل امرأة تقترب آتية من الشارع الخامس والعشرين. ولم أعد أهتم الآن بعدم رؤيتي في هذه المرأة أو تلك أي تفصيل يذكرني بها. فقد كنت «أراها». إنها لعبة سحرية (أو حمقاء، وكل شيء يعتمد على الزاوية التي نراها منها). وعندما تصبح المرأة التي أتطلع إليها على بعد عدة خطوات، أقوم بتراجع ذهني مباغت وأتوقف عن رؤيتها، فأستبدل رؤية الصورة المنشودة بالواقع غير المرغوب. وبقيت هكذا إلي أن تحققت المعجزة فجأة. فقد ظهرت فتاة عند الناصية، ورأيت فيها على الفور ابيبانيدا، صورة ابيبانيدا. ولكنني

عندما أردت القيام بالتراجع الذهني المعتاد، وجدت أن الواقع هو ابيبانيدا أيضاً. أي قفزة يارب! أحسست وكأن قلبي قد استقر في صدغي. كانت على بعد خطوتين، قريبة من النافذة التي أجلس بجوارها. قلت لها: «كيف الحال؟ ماذا تفعلين هنا؟» كانت نبرة صوتي طبيعية، وشبه روتينية، نظرت إلي مذهولة، وأظن أن ذهولها كان لطيفاً. «آه، سيد سانتومي، لقد أخفتني» ولم أقم إلا بحركة فاترة من يدي اليمنى، أرفقتها بدعوة لاتأكيد فيها: «قهوة؟» «لا، لاأستطيع، ياللأسف. والدي ينتظرني في المصرف لاجراء معاملة هناك» إنها القهوة الثانية التي ترفض دعوتي إليها، ولكنها قالت هذه المرة: «ياللأسف» لو لم تقل ذلك لكنت، على ماأعتقد، قذفت كأساً إلى الأرض أو كنت قضمت شفتي السفلى أو غرست أظفاري في رؤوس أصابعي. لا. حماقات، مجرد مبالغات؛ ماكنت لأفعل شيئاً. باختصار، كنت سأفقد الأمل وأبقى خاوياً ومتقاطع الساقين، بينما أسناني مطبقة بشدة، و عيناي تؤلماني من شدة التحديق بالفنجان نفسه. ولكنها قالت: «ياللأسف»، بل إنها سألتني كذلك قبل أن تنصرف: «هل تكون حضرتك هنا دائماً في مثل هذه الساعة؟» وقلت كاذباً «بالطبع» «فلنؤجل الدعوة إذن ليوم آخر» فقلت باصرار: «حسن. لاتنسي ذلك». وانصرفت. وبعد نحو خمس دقائق، جاء النادل، وأحضر لي فنجان قهوة آخر، وقال وهو ينظر إلى الشارع: «ياجمال الشمس اليوم. أليس كذلك؟ إن المرء يشعر بأنه انسان جديد. وتراود أحدنا الرغبة في الغناء وكل شيء» عندئذ فقط سمعت صوتي. فدون وعي مني، ومثل غراموفون عتيق يضعون فيه اسطوانة وينسونه، كنت قد وصلت، دون أن أشعر، إلى المقطع الثاني من أغنية «رايتي».

الخميس ١٦ أيار

«أراهن أنك لن تعرف مع من التقيت؟» هكذا جاءني صوت بيغنالي في الهاتف. ولابد أن صمتي كان استفزازياً لدرجة أنه لم ينتظر ولو ثلاث ثوان ليقدم لي جواب اللغز: «مع اسكايولا، لاحظ ذلك» ولاحظت ذلك. اسكايولا؟ غريب أن أعود إلى سماع هذا الأسم، إنه كنية قديمة، من هذا النوع الذي لم يعد مستخدماً. «غير ممكن، وكيف حاله؟».

«لقد أصبح دلفيناً، وزنه ٩٨ كيلو» حسن. لقد علم اسكايولا من بيغنالي بأن هذا الأخير قد وجدني و - بالطبع - تم تثبيت عشاء في البرنامج.

اسكايولا هو أيضاً من رفاق فترة العيش في شارع براندثين. ولكن هذا شخص مازلت أذكره. كان فتى نحيلاً، طويلاً، عصبياً. وكان لديه تعليق ساخر سريع على أي شيء، وقد كان حديثه ساراً بشكل عام. ففي مقهى الغاليسي الفاريث، كان اسكايولا هو النجم. ومما لاشك فيه أنه كان لدينا جميعاً استعداد مسبق للضحك؛ لأن اسكايولا كان يقول أي شيء (ليس مهماً أن يكون فيه ظرف) فننفجر ضاحكين. أذكر أننا كنا نضحك ونحن نمسك ببطوننا لمجرد أنه صرخ. وأعتقد أن السر يكمن في أنه يمارس الظرافة بكل جدية: شخصية من طراز بوستير كياتون. لابأس في اللقاء به ثانية.

الجمعة ١٧ أيار

أخيراً وقعت الواقعة. كنت جالساً إلى جوار النافذة في المقهى. ولم أكن أنتظر شيئاً هذه المرة، لم أكن أرصد وأراقب. أظن أنني كنت أحسب أرقاماً، في محاولة غير مجدية للموازنة بين نفقات ودخل شهر أيار الهادئ والخريفي، والمغرق بالديون حقاً. رفعت عيني ووجدتها هناك. مثل رؤيا أو

شبح، أو ببساطة - وهو الأفضل بكثير- مثل ابيبانيدا. قالت: «جئت لأطالب بقهوة اليوم الفائت» نهضت واقفاً، فتعثرت بالكرسي، وانزلقت ملعقة قهوتي عن الطاولة مصدرة ضجة بدت وكأنها صادرة عن مغرفة. تطلع إلينا النُدل. وجلست هي على الكرسي. فالتقطت الملعقة عن الأرض، ولكن قبل أن استطيع الجلوس، علقت سترتي في تلك الحافة اللعينة التي توجد في مسند كل كرسي. ولم أكن قد وضعت بالاعتبار في تصوري العام لهذا اللقاء المنشود، مشهداً بمثل هذه الحيوية. قالت وهي تضحك بانطلاق: «يبدو انني قد اخفتك» فاعترفت لها: «حسن، بعض الشيء» وقد أنقذني ذلك الإعتراف. فقد استعدنا وضعنا الطبيعي. تحدثنا عن المكتب، وعن بعض الزملاء، ورويت لها عدة نوادر من الأزمنة الماضية. وكانت تضحك. إنها ترتدي سترة خضراء قاتمة فوق بلوزة بيضاء. وشعرها غير مسرح، ولكن في نصفه الأيمن فقط، وكأن ريحاً قد صفعت هذا الجانب وحده. وأعجبني أن مزاجها المرح يصل إلى حد السخرية من نفسها. عندئذ قلت لها: «أتعرفين أنك السبب في إحدى أكبر الأزمات في حياتي؟» فسألتني: «أهي أزمة اقتصادية؟»، وكانت ماتزال تضحك. وأجبتها: «لا، إنها عاطفية»، فانتقلت إلى الجد وقالت: «ياللهول»، وانتظرت مني أن أكمل. وأكملت: «انظري ياابيبانيدا، من المحتمل جداً أن يبدو لك ماسأقوله ضرباً من الجنون. فإذا كان كذلك، فأخبريني فقط. لكنني لاأريد أن أدخل في عملية لف ودوران: أظن أنني مغرم بك» ثم توقفت هنيهة. لم تنطق بكلمة واحدة. كانت تنظر بثبات إلى حقيبتها. وأظن أنها احمرت حياء إلى حد ما. ولم أحاول أن أحدد إذا كان ذلك الحياء هو حياء التألق أم الخجل. وتابعت قائلاً: «في مثل سني وسنك، كان المنطق يقتضي أن أطبق فمي وأصمت؛ ولكنني أظن على أي حال أن ماقلته هو تكريم أدين به لك. لن أطالب بشيء. إذا ماقلت لي اليوم أو غداً أو في أي

وقت: «كفى»، فإنه لن يكون هناك مزيد من الحديث في هذا الموضوع وسنبقى صديقين. لاتخافي على عملك في المكتب، على الطمأنينة في عملك؛ فأنا أحسن التصرف، لاتقلقي» وانتظرت مرة أخرى. كانت هناك أمامي عزلاء، هذا يعني أنني كنت أدافع عنها بنفسي ضد نفسي. أي شيء ستقوله، أي موقف ستتخذه، سيعني: «هذا هو لون مستقبلك» لم أعد قادراً على الانتظار، فقلت لها: «ماذا؟» وأجبرت نفسي على الابتسام قليلاً، وأضفت بصوت مرتعش لايتناسب مع النكتة التي كنت أود قولها: «هل لديك شيء تودين الاعتراف به؟» توقفت عن النظر إلى محفظتها. وعندما رفعت عينيها، أحسست أن اللحظة الأسوأ قد انقضت. قالت: «كنت أعرف ذلك. ولهذا جئت لتناول القهوة».

السبت ١٨ أيار

توقفتُ أمس عن الكتابة بعد أن سجلت ماقالته لي. لم أواصل لأنني أردت ليومي المكتوب أن ينتهي هكذا، بخفقة الأمل تلك. لم تقل «كفى»، ولم تتوقف كذلك عند عدم قول: «كفى»، بل قالت أيضاً «لهذا جئت لتناول القهوة» ثم طلبت مني أن أمنحها يوماً، أو بضع ساعات على الأقل، لكي تفكر. «كنت أعرف ذلك، ولكنني فوجئت على أي حال؛ لابد لي من التفكير بالأمر» يوم غد الأحد ستتغدى معاً في مركز المدينة. مالعمل الآن؟ الحقيقة أنني لم أتمكن من مجرد البدء بالقاء خطبتي التي كنت قد أعددتها وضمنتها شرحاً مطولاً. صحيح أنني لم أكن واثقاً تماماً بأن تلك الوسيلة ستكون هي الأكثر اقناعاً. ولكنني كنت قد فكرت بامكانية تقديم نفسي كناصح لها، وبأن أضع تجربة سنوات حياتي تحت تصرفها. ولكنني عندما خرجت من حساباتي، ووجدتها أمامي وسط كل تلك الحركات الخرقاء التي

صدرت عني، أحسست على الأقل بأن المخرج الوحيد للهروب المثمر من وضعي المضحك هو قول مايمليه إلهام تلك اللحظة وحسب، فنسيت الخطب الجاهزة والتشعبات المسبقة. ولست نادماً على انقيادي لذلك الدافع الآني.

لقد جاءت الخطبة قصيرة و- الأهم من ذلك- بسيطة، وأظن أنه يمكن للبساطة أن تكون ورقة رابحة في مواجهتها. تريد أن تفكر بالأمر، هذا حسن. ولكنني أقول لنفسي: إذا كانت عارفة بمشاعري، فكيف لايكون لديها رأي مسبق، وكيف تتردد بشأن الموقف الذي ستتخذه؟ ويمكن للتفسيرات أن تكون كثيرة: فربما كانت قد قررت في الواقع، مثلاً، أن تقول لي كلمة «كفى» الرهيبة، ولكنها وجدت أن قول ذلك مباشرة وبهذا الشكل سيكون قاسياً جداً. وهناك تفسير آخر: أن تكون قد عرفت (وعرفت، في هذه الحالة تعني أنها حدست) ماأشعر به نحوها، ولكنها مع ذلك لم تتصور أن تبلغ بي الجرأة حد الإعراب عن تلك المشاعر بالكلام، وبعرض محدد. ومن هنا كان ترددها. ولكنها جاءت «لهذا» كي تتناول القهوة. مامعنى هذا الكلام؟ أكانت تريدني أن أطرح عليها السؤال، وبالتالي، الشكوك؟ عندما يرغب شخص في أن يُطرح عليه سؤال من هذا النوع، فإن تلك الرغبة تعني، على العموم، أن رده سيكون ايجابياً. ولكن، ربما كانت ترغب في دفعي إلى طرح السؤال أخيراً، كي لاتواصل انتظارها المتوتر والقلق، وتكون في وضع يمكنها من أن تقول «لا» حاسمة وتستعيد توازنها. ثم أن هناك خطيبها، أو خطيبها سابقاً. مامكانه في كل هذا؟ ليس في وقائع ماحدث (فالوقائع تشير دون ريب إلى توقف علاقتهما)، وإنما في تفكيرها بالذات. أأكون أنا، في نهاية المطاف، الحافز الذي تحتاجه، والدفعه الصغيرة التي كانت شكوكها تنتظرها لكي تعود إليه؟ كما أن هناك الفارق في السن، ووضعي كأرمل، وأبنائي الثلاثة... الخ. وهناك قراري حول شكل العلاقة التي أود حقاً أن أقيمها معها. وهذا الأمر الأخير أكثر تعقيداً مما يبدو عليه.

ولو كان هناك قارئ آخر سواي لهذه المذكرات، لأنهى اليوم على طريقة الروايات المتسلسلة: «إذا أردت أن تعرف الاجابة على هذه الأسئلة المحرجة، فاقرأ عددنا القادم».

الأحد ١٩ أيار

انتظرتها عند تقاطع ميرثيدس وريو برانكو. جاءت متأخرة عشر دقائق فقط. وكانت ملابس يوم الأحد تجعلها أفضل بكثير، مع أنه من المحتمل أنه كان لدي استعداد خاص لأجدها أفضل، دائماً أفضل. لقد كانت اليوم عصبية فعلاً. الثوب هو فأل حسن (انها تريد ترك انطباع طيب)؛ أما الأعصاب، فليست كذلك. أحسست بشحوب وجنتيها وشفتيها تحت أصبغة التجميل. وفي المطعم، اختارت طاولة منزوية في أقصى القاعة، تكاد تكون غير مرئية. ففكرت: «انها لاتريد أن يراها أحد معي، وهذا فأل سيء». وماكادت تجلس حتى فتحت حقيبتها، وأخرجت منها المرآة، ونظرت إلى نفسها. «انها تراقب مظهرها، فأل جيد» مضى ربع ساعة هذه المرة (طلبنا في أثنائه الطعام والنبيذ، وطلبنا الخبز الأسمر بالزبدة) كان موضوع حديثنا خلاله عاماً. وفجأة، قالت: «أرجوك، لاتلاحقني بهذه النظرات المترقبة» فأجبتها كأحمق«ليس لديّ سواها» فأضافت: «حضرتك تريد أن تعرف ردي.. وردي هو سؤال آخر» قلت: «اسألي». «مالذي يعنيه هذا الذي قلته عن أنك مغرم بي؟» لم يخطر ببالي مطلقاً أن لهذا السؤال وجود، ولكن هاهو ذا أمامي. «أرجوك ياابيبانيدا، لاتجعليني أبدو مضحكاً أكثر مما أنا عليه. أتريدين أن أحدد لك، مثل مراهق، معنى كون المرء مغرماً؟». «لا، على الاطلاق». «إذن؟». الحقيقة أنني كنت أقوم بدور الممثل؛ فأنا أعرف جيداً في داخلي ما الذي كانت تعنيه، عندئذ قالت: «حسن. حضرتك لاتريد أن تبدو مضحكاً، ولكن ليس لديك مانع بالمقابل

في أن أبدو كـذلك . أنت تعرف مـالذي أعنيـه . فكون المرء مغـرمـاً يمكن أن يعني، وخـصـوصـاً في لغة الرجال، أشياء كثيرة مختلفة» . «معك حق . ضعي إذن أفضل هذه المعاني الكثيرة . فهذا هو ماعنيته أمس عندما قلت لك ذلك» لم يكن حواراً غرامياً، ياللأمل . فالايقاع بدأ وكأنه إيقاع محادثة بين تجار أو بين اساتذة أكاديميين، أو بين سياسيين، أو بين خصمين متكافئين . فتابعت قائلاً بشيء من الحماس : «انتبهي جيداً، هنالك مايسمى الواقع وهناك مايسمى الأوهام» . «آه»، قالت ذلك دون أن يبدو عليها أنها تسخر . «وأنا أحب حضرتك بهذه الطريقة التي تسمى واقعاً، ولكن المشاكل تظهر عندما أفكر بهذا الذي يسمى الأوهام» فسألتني : «أي مشاكل؟» . وأظن أنها كانت مستسلمة هذه المرة . «لاتجعليني أقول لك أنه يمكن لي أن أكون بمقام أبيك، أو أنك قد تكونين في عمر أحد أبنائي . لاتجعليني أقول ذلك، لأن هذا هو السر في كل المشاكل، ولأنني سأشعر عندئذ بشيء من التعاسة» . لم تجب بشيء . كان ذلك جيداً . إنه الأسلوب الذي ينطوي على أقل قدر من المجازفة، ثم سألتها، دون أن أنتظر جواباً : «هل تفهمينني إذن؟ إن مطلبي هو، إلى جانب الرغبة الواضحة في الاحساس بالسعادة أو ماهو قريب منها، أن تكوني أنت سعيدة أيضاً . وهنا تكمن الصعوبة . فأنت تملكين كل الشروط التي تمكنك من اسعادي؛ أما أنا، فلا أملك إلا شروطاً قليلة لاسعادك . ولاتظني أنني أريد نقل المبادرة إليك . ففي ظروف أخرى (وأعني في سن أخرى) يكون أصوب طريق هو أن أعرض عليك خطوبة جدية، جدية تماماً، مع وعد بالزواج خلال مهلة قصيرة . ولكنني إذا عرضت عليك شيئاً مماثلاً الآن، فانني أرى في ذلك أنانية كبيرة، لأني لن أفكر في هذه الحالة إلا بنفسي، وما أريده الآن ليس التفكير بنفسي، وانما بحضرتك . أنا لاأستطيع أن أنسى – ولاأنت كذلك – أنني سأصبح في الستين خلال عشر سنوات . أي «عجوز إلى حد ما» كما يمكن لمتفائل أو منافق أن يقول، ولكن

لاأهمية لمثل هذا التفصيل الآن. إنني أريد الحفاظ على شرفي بالقول لك إنني لن أتمكن الآن أو بعد بضعة أشهر، أن استجمع مايكفي من القوة للتحدث عن الزواج. ولكن، ودائماً هناك ولكن، عم سنتحدث إذن؟ أنا أعرف، مهما كان ادراك حضرتك للأمر، أنه من الصعب مع ذلك القبول بطرح آخر. لأن هناك طرحاً آخر دون شك. وفي هذا الطرح الآخر يوجد متسع للحب، ولكن ليس للزواج» رفعت عينيها، ولكنها لم تكن تستفهم. ربما أنها أرادت أن ترى وجهي فقط وأنا أقول ذلك. ولكنني بعد أن وصلت إلى هذا الحد، كنت مصمماً على عدم التوقف: «هذا الطرح الآخر هو ماتطلق عليه المخيلة الشعبية، التي تفتقر إلى التسميات عادة، اسم «مغامرة» أو «برنامج»، ومن المنطقي جداً أن تشعري ببعض الذعر. ولكي أكون صادقاً، فإنني مذعور أيضاً، وليس ذلك إلا لخوفي من أن تظني أني أعرض عليك مغامرة. وقد لاأبتعد ميلمتراً واحداً عن مركز صراحتي إذا قلت لك إن ماأبحث عنه بشجاعة هو اتفاق، نوع من الاتفاقية بين حبي وحريتك. أعرف، أعرف أنك تفكرين الآن بأن الواقع هو عكس ذلك تماماً، إن ماأبحث عنه هو حبك وحريتي تحديداً. ولديك كل الحق بأن تفكري هكذا، ولكنني أعترف بأن لي الحق بدوري في أن أقامر بكل شيء في ورقة واحدة. وهذه الورقة هي الثقة التي يمكنك أن تمنحيني إياها» في هذه اللحظة كنا ننتظر مجيء الحلوى. وقد أحضر النادل أخيراً لذائذ السماء، وانتهزت الفرصة لأطلب قائمة الحساب. وبعد اللقمة الأخيرة مباشرة، مسحت ابيبانيدا فمها بشدة بالفوطة، ثم نظرت إلى مبتسمة. وقد شكلت الابتسامة خطوطاً تجتمع أطرافها عند جانبي فمها. وقالت: «حضرتك تعجبني».

الاثنين ٢٠ أيار

الخطة التي اتفقنا عليها هي الحرية المطلقة. أن يتعرف كل منا على الآخر ونرى مايمكن أن يحدث، أن نسمح للوقت بالمرور ثم نقوم بالمراجعة. ليست هناك قيود، ولاالتزامات. إنها رائعة.

الثلاثاء ٢١ أيار

لقد قالت لي بلانكا عند الظهر:

«هناك تحسن في نبرة صوتك. وأنت أشد حماسة، وأكثر سعادة».

الجمعة ٢٤ أيار

إن مايحدث في المكتب الآن هو نوع من اللعب. لعبة الرئيس ومعاونته. والشعار هو عدم الخروج عن الايقاع العام، عن المعاملة العادية، عن الروتين. في التاسعة صباحاً أوزع العمل على مونيوث، وروبليدو، وابييانيدا، وسانتيني. وابييانيدا هي واحدة في القائمة، مجرد واحدة من هؤلاء الذين يمدون أيديهم مقابل طاولتي لأسلمهم الاستمارات. هاهي ذي يد مونيوث، طويلة، مجعدة، بأظفارها التي تشبه المخالب؛ ويد روبيليدو، قصيرة حتى تكاد تكون مربعة؛ ويد سانتيني ذات الأصابع الرفيعة المزينة بخاتمين؛ وإلى جانبها، يدها هي، بأصابعها الشبيهة بأصابع سانتيني، والفارق بينهما هو أنها أصابع أنثوية وليست مخنثة. لقد أخبرتها من قبل بأنها كلما اقتربت مع الآخرين، ومدت يدها، سأضع (ذهنياً بالطبع) قبلة جنتلمان على فقرات أصابعها الرقيقة الحساسة. وهي تقول إنها لاتلمح ذلك على وجهي المتحجر. وأحياناً تضرب على يدها محاولة أن تنقل إليّ عدوى

رغبتها في الضحك. ولكنني أحافظ على تماسكي. وأتماسك إلى حد دفع مونيوث للاقتراب مني مساء اليوم ليسألني إذا ماكان قد حدث لي شيء، لأنه يلاحظ عليّ القلق منذ عدة أيام. «أيكون السبب هو اقتراب موعد انجاز الميزانية؟ كن مطمئناً أيها الرئيس. فالسجلات ستكون جاهزة بسرعة. لقد كنا نتأخر في السنوات الماضية أكثر مما نحن عليه اليوم بكثير» وماتهمني الميزانية! كدت أضحك منه في وجهه. ولكن عليّ أن أتكلف: «هل تظن حقاً ياسيد مونيوث أننا سننتهي في الوقت المناسب؟ لاحظ أن أقساط الأرباح ستأتي بعد ذلك، وأن هؤلاء الثقلاء سيرفضون مرتين أو ثلاث مرات الاقرارات المحلَّفة، ونصل عندئذ بالطبع إلى زنقة في العمل. يجب العمل سريعاً يامونيوث، لاحظ أنها آخر ميزانية لي وأريدها أن تخرج في الوقت المحدد. أخبر الشباب بذلك، آية؟».

الأحد ٢٦ أيار

تعيشت اليوم مع بيغنالي واسكايولا. إنني ماأزال متأثراً حتى الآن من ذلك اللقاء. فأنا لم أشعر من قبل بصرامة مرور الزمن مثلما شعرت به اليوم عندما التقيت باسكايولا، بعد نحو ثلاثين سنة من البعاد، ومن عدم معرفة أي شيء عنه. لقد تحول ذلك المراهق الطويل العصبي الممازح إلى مسخ ذي كرش، ومؤخرة مذهلة، وشفتين ممتلئتين ولينتين، وصلعة بها لطخات تبدو وكأنه لطخات قهوة تتصبب، وزوائد رهيبة تتدلى أسفل عينيه وتهتز عندما يضحك. لأن اسكايولا صار يضحك الآن. فعندما كان يعيش في شارع براندثين، كان مفعول نكاته يتركز تحديداً في أنه يرويها بجدية. كنا نغرق جميعنا في الضحك، بينما يبقى هو غير متأثر. وفي أثناء العشاء اليوم، حاول بعض المزاح، فروى حكاية بذيئة أعرفها مذ كنت أذهب إلى المدرسة، وقص بعض النوادر اللاذعة المبطنة، وهي مستخلصة من عمله كموزع نماذج

تجارية جوال. وكان أقصى مااستطاع الوصول إليه هو أنه جعلني ابتسم بتواضع، وجعل بيغنالي (وهو شخص امعة فعلاً) يطلق قهقهة مفتعلة بدت أقرب إلى النحنحة. ولم أستطع كبح نفسي عن القول له: «فضلاً عن الكيلوغرامات التي ازدادها وزنك، فان أكثر مايثير استغرابي فيك الآن هو أنك تضحك بقوة. كنت فيما مضى تروي أشد النوادر اجراماً بوجه حدادي مؤثر» لمحت وميض غيظ، أو ربما عجز، في عيني اسكايولا. ثم بدأ يوضح لي الأمور فوراً: «أتعرف مالذي حدث؟ كنت أروي النكات دائماً بجدية كبيرة. أنت محق في هذا. كم تتذكر! ولكنني انتبهت في أحد الأيام إلى أنني لم أعد أجد موضوعاً للنوادر. فأنا لم أكن أحب إعادة النوادر التي يرويها الآخرون. أنت تعلم أني كنت مبدعاً. فالنكتة التي أرويها لم يسمع بها أحد من قبل. كنت أخترع نكاتي، بل وكنت أحاول أحياناً إبداع مسلسلات حقيقية من النكات، تكون لها شخصية رئيسية مثل الروايات المتسلسلة، وكنت استمر فيها اسبوعين أو ثلاثة. حسن، بعد أن انتبهت إلى أنه لم تعد لدي موضوعات (لست أدري مالذي حدث لي؛ ربما فرغت جعبتي) لم أشأ الاعتزال في الوقت المناسب، مثلما يفعل أي رياضي جيد، وعندئذ بدأت أكرر نكات الآخرين. وكنت أقوم بالانتقاء في أول الأمر، ولكنني مالبثت أن استنزفت تلك المختارات، فشرعت باضافة أي شيء إلى مجموعتي. وبدأ الناس، الشبان (فقد كان لي معيتي على الدوام) بعدم الضحك، ولم يعودوا يجدون أي طرافة فيما أرويه. إنهم محقون. ولكنني لم أعتزل حينئذ أيضاً. بل اخترعت ملاذاً آخر: أن أضحك أنا بالذات عندما أروي، وذلك للتأثير على مستمعي واقناعه بأن النكتة ظريفة فعلاً. وقد كانوا يجارونني في الضحك أول الأمر، لكنهم سرعان مابدؤوا يشعرون بالغبن، ويعرفون أن ضحكي ليس اشارة إلى وجود كوميديا مؤكدة. وقد كانوا محقين في هذا أيضاً. أما أنا، فلم يعد بمقدوري أن أتخلى عن

الضحك. وهاأنذا، كما رأيتني، وقد تحولت إلى شخص ثقيل الظل. أتريد نصيحة مني؟ إذا أردت الحفاظ على صداقتي فحدثني في أمور مأساوية».

الثلاثاء ٢٨ أيار

إنها تأتي كل يوم تقريباً لتناول القهوة معي: والفحوى العامة لاحاديثنا هي الصداقة دائماً. أو بشكل أدق، الصداقة وأشياء أخرى. ولكنني أخذت أتقدم في هذه «الأشياء الأخرى». فنحن نتحدث أحياناً عن علاقتنا. وعلاقتنا هي هذه العلاقة غير المحددة التي تربط بيننا الآن. ولكننا عندما نذكرها، نفعل ذلك بشكل خارجي فقط. وسأوضح ماأعنيه: فنحن نقول، مثلاً، إنه «لم ينتبه أحد في المكتب حتى الآن إلى علاقتنا» أو أن هذا الأمر أو ذاك قد حدث قبل بدء علاقتنا. ولكن، ماهي علاقتنا هذه في نهاية المطاف؟ إنها إلى الآن، على الأقل، نوع من التواطؤ في مواجهة الآخرين.. سر مشترك.. اتفاق احادي الجانب. وهذا بالطبع ليس مغامرة، وليس برنامجاً، كما أنه ليس خطوبة بأي حال من الأحوال. ولكنه مع ذلك شيء أكثر من الصداقة. وأسوأ مافي الأمر (أوربما أفضل مافيه) هو أنها راضية بحالة عدم التحديد هذه. إنها تتحدث إلي بكل ثقة، وبكل ظرف، بل وبشيء من المودة أيضاً كما أظن. إن لديها رؤية خاصة جداً وشديدة التهكم لكل مايحيط بها. فهي لاتحب سماع القيل والقال في المكتب، ولكن لديها بالمقابل تصنيف للجميع. وهي تنظر أحياناً حولها، في المقهى، وتطلق تعليقاً صائباً ودقيقاً ولاوجود لما هو أفضل منه في وصف الحالة المعنيّة. فاليوم مثلاً، كانت هناك طاولة حولها أربع أو خمس نساء، جميعهن في حوالي الثلاثين أو الخامسة والثلاثين من العمر. وقد تطلعت إليهن بتمعن ثم سألتني: «إنهن كاتبات عموميات، أليس كذلك؟» وقد كن

كاتبات عموميات فعلاً. فأنا أعرف بعضهن منذ سنوات بوجوههن على الأقل. سألتها: «أتعرفينهن؟» «لا. لم أرهن مطلقاً من قبل». «وكيف حرزت مهنتهن إذن؟». «لست أدري؛ دائماً يمكن التعرف على النساء اللواتي يعملن كاتبات عموميات. إن لهن ملامح وعادات خاصة جداً، لاتتكرر في مهن أخرى. فإما انهن يطلين شفاههن بخط واحد قاس، كمن يكتب على سبورة، أو أن في أصواتهن بُحَّة أبدية لكثرة مايقرأن من العرائض الرسمية، أو انهن لايعرفن كيف يحملن حقائبهن النسائية لكثرة مايحملنه من الملفات. وهن يتحدثن مترويات، وكأنهن لايردن قول شيء قد يتناقض مع القوانين، ولا تراهن ينظرن إلى أنفسهن في مرآة أبداً. تأمل تلك، الثانية إلى اليسار، إن لديها ربلتي ساقين جدير تين بنائبة بطلة رياضية. وتلك التي إلى جانبها، لها وجه من لاتعرف كيف تطهو ولو بيضة مقلية. إنهن يسببن لي الحمى. وأنت، ماذا تشعر نحوهن؟» لا، أنا لايسببن لي الحمى (بل وأكثر من ذلك، أذكر كاتبة عمومية هي صاحبة أجمل جسد في هذا الكون ومحيطه)، ولكنني استمتع بالاستماع إليها عندما تتحمس لشيء أو ضد شيء. أما الكاتبات العموميات المسكينات، المسترجلات، النشيطات، العضليات، فقد واصلن حوارهن، دون أن يعرفن شيئاً عن النقد الماحق الذي كان يضيف، على بعد طاولة واحدة منهن، مثالب أخرى لمظهرهن، لوضعهن، لموقفهن ولحديثهن.

الخميس ٣٠ أيار

شخص فريد صديق استيبان هذا. سيتقاضى مني خمسين بالمئة من مكافأة التقاعد. ولكنه يؤكد لي أنني لن أعمل يوماً واحداً زائداً. الاغراء كبير. حسن، كان كبيراً. لاني سقطت. لقد خفّض المبلغ إلى أربعين بالمئة، ونصحني بأن أوافق قبل أن يندم ويتراجع، وأنه لايفعل مثل هذا مع أحد،

وأنه لايتقاضى أقل من خمسين بالمئة مطلقاً، ويمكنني أن أسأل عن ذلك، «لأن في مهنتي مستغلين كثيرين وأناساً بلا ضمير»، وأنه يقدم لي هذا السعر الخاص لأني والد استيبان، «فأنا أحب النحيل مثل أخي. لقد لعبنا البلياردو معاً أربع سنوات. وهذا يوحد ياسيدي» تذكرت انيبال، وحديثنا يوم الأحد، الخامس من الشهر، عندما قلت له: «من يريد الحصول على شيء مشروع الآن عليه أن يقدم رشوة أيضاً. وهذا يعني منتهى التسيب».

الجمعة ٣١ أيار

الحادي والثلاثون من أيار هو يوم ميلاد ايزابيل. كم هي بعيدة. في إحدى المرات، اشتريت لها في عيد ميلادها دمية. كانت دمية ألمانية، تحرك عينيها وتمشي. حملتها إلى البيت في علبة طويلة مصنوعة من ورق مقوى شديد المتانة. وضعتها على السرير، وطلبت أن تحزر مافي العلبة. فقالت: «دمية». لن أغفر لها ذلك أبداً.

لم يتذكر أي من الأولاد المناسبة؛ أو أنهم لم يتحدثوا إلي عن ذلك على الأقل. لقد راحوا ينؤون تدريجياً عن عبادة أمهم. أظن أن بلانكا هي الوحيدة التي تشتاق إليها فعلاً، فهي الوحيدة التي تأتي على ذكرها بشكل طبيعي على الأقل. أأكون أنا المذنب؟ في الفترة الأولى لم أكن أكثر من التحدث عنها، وذلك لأن الحديث عنها كان يسبب لي الألم فقط. وأنا الآن لاأتحدث عنها كثيراً أيضاً، لأنني أخشى أن أخطئ، أخشى أن أتحدث عن شخصية أخرى لاعلاقة لها بزوجتي.

هل سيصل الأمر بابيانيدا إلى نسياني هكذا؟ وهنا يكمن السر: فقبل أن يبدأ أحدنا بالنسيان، عليه أن يتذكر البدء بالتذكُّر.

الأحد ٢ حزيران

الزمن يمضي. إنني أفكر أحياناً بأنه عليّ أن أعيش متعجلاً، وأن أستخلص من هذه السنوات المتبقية أقصى ماأستطيعه من فائدة. اليوم، يمكن لأي كان أن يقول لي، بعد أن يمعن النظر في تجاعيد وجهي: «ولكنك ماتزال شاباً». ماتزال. وكم سنة ستدوم هذه الـ«ماتزال»؟ أفكر في ذلك فتداخلني العجلة، يراودني احساس ضاغط بأن الحياة تفلت مني، وكأن شراييني قد انفتحت وأنا عاجز عن وقف دمي من التسرب. لأن الحياة أشياء كثيرة (عمل، مال، حظ، صداقة، صحة، تعقيدات) ولكن أحداً لن يعترض على أننا عندما نفكر بكلمة **حياة**، عندما نقول مثلاً: «اننا نتمسك بالحياة»، فاننا نطابق بينها وبين كلمة أخرى أكثر تحديداً، وأكثر جاذبية، وأكثر أهمية بكل تأكيد: نطابق بينها وبين **المتعة**. أفكر بالمتعة (بأي شكل من أشكال المتعة) وأكون واثقاً من أنها حياة. من هنا يأتي التعجل، التعجل المأساوي لهذه السنوات الخميسن التي يطؤها كعباي. ومازالت لدي، كما آمل، بضع سنوات من الصداقة، ومن الصحة المقبولة، والاندفاع الروتيني، ومن الرجاء أمام الحظ. ولكن، كم سنة من المتعة بقيت لدي؟ كان عمري عشرين سنة وكنت شاباً؛ وأربعين سنة وكنت شاباً. وأنا الآن في الخمسين «ومازلت شاباً». **ومازلت** تعني: انتهى.

وهذا هو الجانب السخيف من اتفاقنا: نقول اننا سننهيه بهدوء، واننا سنترك الوقت يمر، واننا سنراجع الوضع فيما بعد. لكن الوقت يمر، سواء أتركناه أم لم نتركه، الوقت يمر ويجعلها كل يوم شهية أكثر، ناضجة أكثر، بائعة أكثر، امرأة أكثر، أما أنا بالمقابل فإن كل يوم يشرق عليّ يجعلني أكثر هرماً، وأكثر استنفاداً، وأقل شجاعة، وأقل حيوية. علينا أن نسرع نحو اللقاء، لأن المستقبل في حالة كحالتنا هو خيبة أمل محتمة. فجميع صفات أكثر لديها تقابلها أقل لدي، وجميع صفات أقل لديها تقابلها أكثر لدي.

أدرك أنه مما يشد امرأة شابة ويجذبها معرفتها أن هذا الشخص قد عاش طويلاً، وأنه استبدل البراءة منذ زمن طويل بالتجربة، وأنه يفكر ورأسه ثابت فوق كتفيه. صحيح أن هذا قد يكون جذاباً، ولكن لوقت قصير فقط. ذلك أن التجربة تكون جيدة عندما تكون اليد قادرة؛ أما بعد ذلك، عندما تذهب المقدرة، فإن أحدنا يتحول إلى قطعة ديكور متحفية، قيمته الوحيدة في كونه ذكرى لما كان عليه. والتجربة والقدرة تتلاقيان معاً لوقت قصير فقط. وأنا أعيش الآن هذا الوقت القصير. ولكنه ليس بالحظ الذي أُحسد عليه.

الثلاثاء ٤ حزيران

أمر هائل. لقد تشاجرت بالبيردي مع سواريث. المكتب بأسره هائج مائج. وجه مارتينث كان نشيداً؛ فهذه القطيعة تعني بالنسبة له أن الطريق أضحى ممهداً وسالكاً لمنصب نائب الوكيل. سواريث لم يحضر إلى المكتب صباحاً. وعندما جاء بعد الظهر، كانت هناك كدمة في جبهته، وكانت تبدو على وجهه آثار السهر. استدعاه الوكيل ووجه إليه بضع صرخات. هذا يعني أن الأمر ليس مجرد اشاعة، بل هو رواية رسمية ومأذونة فعلاَ.

الجمعة ٧ حزيران

لقد ذهبنا معاً إلى السينما مرتين حتى الآن، ولكنها صارت تذهب إليها وحدها بعد ذلك. أما اليوم، فقد رافقتها إلى بيتها. كانت ودودة جداً، وزميلة جداً. ففي منتصف الفيلم، عندما بدأت أليدا فالي تعاني كثيراً مع السفيه فارلي غرانجر، أحسست فجأة بيدها تستند إلى ذراعي. أظن أنها كانت حركة انعكاسية، ولكن القضية هي أنها لم تسحب يدها بعد ذلك. هنالك في داخلي سيد يرغب في استباق الأحداث؛ ولكن هناك سيد آخر في الوقت ذاته تسيطر على عقله فكرة التعجل.

نزلنا في شارع ٨ أكتوبر، ومشينا على أقدامنا الكوادرات الثلاث. كانت العتمة مخيمة، لكنها كانت عتمة الليل الصافية دون زيادة أو نقصان. فشركة يو. تي. ي، شركة يو. تي. ي العجوز والغاوتشية، أهدت إلي هذا الانقطاع المفاجئ في التيار الكهربائي. كانت تسير بعيدة عني، تفصل مابيننا مسافة متر تقريباً. ولكن ما أن اقتربنا من أحد المنعطفات (منعطف فيه متجر، وعلى طاولة بداخله شمعة)، حتى انفصل شبح أحدهم ببطء عن شبح شجرة. فضاقت مسافة المتر التي كانت تفصل بيننا، وقبل أن أنتبه لما يجري، كانت قد أمسكت بذراعي. ذاك الشبح كان رجلاً مخموراً. سكير مسالم وأعزل يتمتم: «يحيا فقراء الروح والحزب الوطني!) شعرت بأنها قد كتمت ضحكة خافتة، وأن توتر أصابعها بدأ يتراخى. بيتها هو الرقم ٢٦٨ في شارع يحمل اسماً وكنية لهما ايقاع رامون ب. غوتييرث أو ادواردو ز. دومينغث، لاأذكر جيداً. وللبيت شرفات ومدخل ضيق يشبه الدهليز. كان الباب الخارجي مقفلاً، لكنها أخبرتني أن هناك باباً صغيراً ضمن الباب الرئيسي مصنوعاً من شيء يحاول التشبه بفسيفساء الزجاج الملون. «يقال أن صاحب البيت أراد تقليد فسيفساء الزجاج الملون في نوتردام، لكنني أؤكد لك أن فيه رسماً للقديس سيباستيان يشبه غارديل».

لم تفتح الباب فوراً، بل استندت إليه بتراخ. وفكرت بأن قبضة الباب تحتك الآن بعمودها الفقري. لكنها لم تكن متضايقة من ذلك. عندئذ قالت لي: «أنت طيب جداً. أعني أنك تتصرف بطريقة حسنة جداً» وأنا الذي أعرف نفسي، كذبت مثل قديس: «أنا طيب جداً بالطبع. ولكنني لست متأكداً من أنني أتصرف بطريقة حسنة جداً» فقالت: «لاتكن مغروراً، ألم يعلموك وأنت صغير، أنه يجب على المرء إذا أحسن التصرف ألا يعلن ذلك؟» وكانت تلك هي اللحظة المناسبة، والتي كانت تنتظرها هي أيضاً،

فقلت لها: «عندما كنت صغيراً علموني أنه كلما أحسن أحدنا التصرف، مُنحت له مكافأة. أو لست أستحق المكافأة؟» مرت لحظة صمت. لم أكن أرى وجهها، لأن شجرة صنوبر لعينة من أشجار البلدية كانت تحجب ضوء القمر. وسمعتها تقول: «بلى، أنك تستحقها» عندئذ ظهر ذراعاها من العتمة، واستندا إلى كتفي. لابد أنها رأت هذه المقدمة التمهيدية في فيلم أرجنتيني. أما القبلة التي تلت ذلك، فإنني واثق من أنها لم ترها في أي فيلم. تعجبني شفتيها، أعني مذاقهما، طريقتهما في الالتحام، وفي الانفتاح، وفي الهروب، ليست المرة الأولى التي تُقبِّل فيها. وماهذا؟ على الرغم من كل شيء، من الممتع أن يعود المرء إلى التقبيل من الفم بثقة ومحبة. لست أدري كيف، ولست أدري أي خطوةٍ غريبة قد خطونا، ولكن المؤكد هو أنني أحسست فجأة بأن قبضة الباب البرونزية تنغرس في عمودي الفقري. بقيت نصف ساعة عند باب البيت رقم ٣٦٨. ياللتقدم الذي أحرزته ياربي. لم يقل أي منا نحن الاثنين ذلك، ولكن شيئاً واحد مؤكداً بقي بعد ذلك الفصل. غداً سأفكر. إنني مرهق الآن. ويمكنني أن أقول إنني سعيد كذلك. ولكنني حذر جداً، إلى حد لاأشعر معه بالسعادة الكاملة. حذر من نفسي، ومن الحظ، ومن هذا المستقبل الوحيد الملموس الذي يدعى غداً. وحذر تعني: غير واثق.

الأحد ٩ حزيران

ربما كنت مهووساً بتوازن الأبعاد. ففي أي مشكلة تعترضني، لاأميل مطلقاً إلى الحلول المتطرفة. وربما كان هذا هو أصل خيبتي. ولكن هنالك أمر جلي: فإذا كانت التصرفات المتطرفة تثير الحماس، وتجرف الآخرين، وتكون مؤشراً للقوة، فإن التصرفات المتوازنة بالمقابل، تكون شاقة في معظم الأحيان، وفظة في أحيان أخرى، ولاتبدو بطولية على الاطلاق تقريباً.

ولكن الاحتفاظ بالتوازن يتطلب، عموماً، قدراً كبيراً من الشجاعة (وهي شجاعة من نوع خاص)، ولكن لاسبيل للحؤول دون رؤية الآخرين فيه دليلاً على الجُبن. ثم إن التوازن ممل. والملل عيب كبير في هذه الأيام لايغفره الناس عموماً.

ماالهدف من هذا كله؟ آه، أجل، فالتوازن الذي أبحث عنه الآن له علاقة (أليس له علاقة بحياتي الحالية؟) بابيبانيدا. لاأريد أن أسبب لها الأذى، ولاأريد أن أؤذي نفسي (التوازن الأول)؛ لاأريد لعلاقتنا أن تجرفنا إلى خطوبة سخيفة تتجه نحو الزواج، ولاأريد لها أن تتخذ طابع برنامج مبتذل وتافه (التوازن الثاني)؛ ولاأريد أن يدينني المستقبل باعتباري شيخاً تحتقره امرأة في أوج مشاعرها، ولاأن يبقيني خوفي من هذا المستقبل على هامش حاضر كهذا الحاضر الجذاب الذي لايمكن التفريط به (التوازن الثالث)؛ ولاأريد (وهذا هو التوازن الرابع والأخير) أن نبدأ في التدحرج من شقة مفروشة إلى أخرى بدلاً من أن نؤسس بيتاً مستقراً.

والحلول؟ أولاً: استئجار شقة. دون أن أهجر بيتي بالطبع. حسن، أولاً ويكفي. لاتوجد حلول أخرى.

الاثنين ١٠ حزيران

برد ورياح. ياللوباء. أظن أنني كنت أحب الشتاء وأنا في الخامسة عشرة من عمري. أما الآن فانني أبدأ بالعطاس ثم أضيع عدد العطسات التي أطلقها. يراودني الاحساس أحياناً بأنه لدي بدل الأنف حبة بندورة ناضجة، ذلك النضوج الذي تصل إليه البندورة قبل عشر دقائق من تعفنها. وعندما أصل إلى العطسة الخامسة والثلاثين، لاأستطيع منع نفسي من الشعور بأنني كائن أدنى من بقية أفراد الجنس البشري. إنني أقدر أنوف القديسين، تلك الأنوف المرهفة الطليقة مثلما هي أنوف قديسي غريكو مثلاً. أقدر أنوف

القديسين، لأن هؤلاء (وهذا لاريب فيه) لم يعرفوا الزكام مطلقاً، ولم ينهكهم مثل هذا العطاس المتتالي في سلسلة. مطلقاً. فلو أنهم عطسوا عشرين أو ثلاثين عطسة متوالية، لما استطاعوا الحؤول دون استسلامهم لاطلاق الألفاظ البذيئة، بالنطق بها أو بالتفكير فيها ذهنياً. ومن يطلق البذاءات - حتى في أدنى أفكاره الخبيثة - تغلق أمامه أبواب الفردوس.

الثلاثاء ١١ حزيران

لم أقل لها شيئاً، لكنني بدأت البحث عن شقة. هناك واحدة، مثالية، في ذهني. ولكن ياللأسف، فالشقق المثالية لاسبيل إلى الوصول إليها، فهي غالية على الدوام.

الجمعة ١٤ حزيران

منذ نحو شهر لم أدخل مع خيمي أو استيبان في حوار يزيد على خمس دقائق. إنهما يأتيان إلى البيت مدمدمين، ويغلقان على نفسيهما بابي غرفتيهما، ويأكلان صامتين وهما يقرآن الصحيفة، ويخرجان مجدفين، ويرجعان عند الفجر. أما بلانكا فهي، بالمقابل، لطيفة وسعيدة ومحبة للحديث. إنني أرى دييغو أحياناً، وأتعرف على حضوره في وجه بلانكا. لست مخطئاً: إنه شخص طيب. أعرف أن استيبان قد حصل على ترقية أخرى. ولكنني أشعر مع ذلك بأنه بدأ يندم لأنه سمح لهم بان يورطوه تماماً. لابد أنه سينفجر يوماً، إنني ألمح ذلك، وسيلقي بكل شيء إلى الشيطان. عسى أن يفعل ذلك قريباً. لاأحب رؤيته متورطاً في أمر يتناقض مع قناعاته القديمة. لاأحب رؤيته متكالباً وغير مبال بالآخرين، وواحداً من أولئك المتكالبين الذين ماأن تحين ساعة اللوم حتى يبدؤون بالاعتذار: «إنها الطريقة

الوحيدة للتقدم، وليكون المرء شيئاً ذا قيمة» أما خيمي فهو يشتغل، ويشتغل جيداً؛ وهم يحبونه في عمله. ولكن مشكلته في شيء آخر. وأسوأ مافي الأمر هو أنني لاأعرف حقيقتها. فهو عصبي دائماً وغير راض عن أي شيء. إنه يبدو في الظاهر ذا شخصية متميزة، ولكنني أجد نفسي غير متأكد أحياناً مما إذا كان ذلك تميزاً في شخصيته أم هو مجرد نزوة. وأنا لاأحب أصدقاءه. إن فيهم شيئاً من الضعف والخفة، فهم يأتون من حي بوثيتوس الراقي، وربما كانوا يحتقرونه في أعماقهم. إنهم يستغلونه، لأن خيمي ماهر في الأعمال اليدوية، وهو دائماً مشغول بصنع شيء طلبوه منه. مجاناً بالطبع. وهم جميعهم لايشتغلون، فهم أبناء مدللون. وأنا أسمعهم يحتجون أحياناً: «ياللعنة شغلك هذا. لايمكن الوثوق من اللقاء بك أبداً» وينطقون كلمة «شغل» كمن قام بمأثرة، مثل محسن يقترب من متسول سكران، متخطياً القرف والشفقة، ويلمسه بطرف حذائه. إنهم يلفظون كلمة «شغل» وكأن عليهم أن يتطهروا بعد النطق بها.

السبت ١٥ حزيران

لقد وجدت شقة. إنها شبيهة إلى حد ما بالشقة التي تخيلتها. وهي رخيصة إلى حد لايُصدق. ولكن علي أن أضغط الميزانية في كل الأحوال، وآمل أن تكون كافية. الشقة على بعد خمس كوادرات من تقاطع الشارع الثامن عشر وشارع اندريس. وهي تتميز، فضلاً عن ذلك، بأنه يمكن فرشها بمبلغ زهيد. هذا يعني أنه لابد لي من انفاق مبلغ الـ٧٩, ٢٤٦٥ بيزو الذي أملكه في هيبوتيكاريو. الليلة سأخرج معها. ولكنني لاأفكر في أن أخبرها بشيء.

الأحد ١٦ حزيران

ومع ذلك، فقد أخبرتها. كنا نقطع الكوادرات الثلاث، من شارع ٨ أكتوبر إلى بيتها، ولم يكن التيار الكهربائي مقطوعاً هذه المرة. وأظن أنني تلعثمت ببعض الأمور، ذكرت خطتنا في الحرية المطلقة، وفي تعرف كل منا على الآخر وانتظار مايحدث، وفي أن نترك الوقت يمضي ثم نراجع حساباتنا. إنني متأكد من أنني تلعثمت. لقد انقضى شهر على دخولها إلى مقهى تقاطع الشارع الخامس والعشرين وشارع مسيونيس لتطالب بقهوتها. قلت لها: «أريد أن أعرض عليك أمراً». إنني أخاطبها دون كلفة منذ يوم الخميس، السابع من الشهر، أما هي فلم تفعل ذلك بعد. وفكرت في أنها سترد: «أعرفه»، وكان هذا سيعني راحة عظيمة بالنسبة لي. ولكنها لم تقل ذلك. تركتني أتحمل ثقل العرض كله. إنها لم تحزر هذه المرة، أو إنها لم تشأ أن تحزر. وأنا لست خبيراً في المقدمات على الاطلاق، لذلك فانني قلت لها مالابد منه: «لقد استأجرت شقة.. لنا» من المؤسف أن التيار الكهربائي لم يكن مقطوعاً، لأنني ماكنت سأرى نظرتها آنئذ. ربما كانت نظرة حزينة. وماأدراني بذلك. فأنا لم أكن متأكداً يوماً مما تريد النساء قوله عندما ينظرن إلي. أفكر أحياناً بأنهن يسألنني، ثم ماألبث أن أنتبه، بعد مرور بعض الوقت، إلى أنهن يحملن الاجابة في نظراتهن تلك. وهكذا، فقد طفت، للحظة، بيننا نحن الاثنين كلمة أشبه بسحابة، ومثل سحابة راحت تنزاح. فكلانا كنا نفكر بكلمة زواج، وكلانا أدركنا أن السحابة آخذة بالانزياح، وأن السماء ستكون صافية في الغد. سألتني: «دون أن تستشيرني؟». وأجبتها بحركة من رأسي أي نعم. والحقيقة أنني لم أستطع الكلام لأنه كانت هناك عقدة في حلقي. قالت وهي تحاول أن تبتسم: «لابأس. يجب معاملتي هكذا، باسلوب فرض الأمر الواقع». وصلنا إلى مدخل بيتها،

وكان الباب مفتوحاً هذه المرة، لأن الوقت كان أبكر بكثير من المرة الماضية. وكان ثمة أضواء مشعة هنا وهناك. ولم يكن هناك مكان للأسرار، اللهم إلا هذا الشيء الآخر الذي يسمى الصمت. بدأت أدرك أن عرضي لم يحقق نجاحاً مدوياً. ولكن، لايمكن كذلك لمن بلغ الخمسين أن يطمح في الوصول إلى نجاحات مدوية. وماذا لو أنني كنت قد أجبتها بـ«لا»؟ فقد أحسست بأنني أدفع ثمن عدم استخدامي للنفي في الرد على سؤالها، وهذا الثمن هو الموقف الثقيل، واللحظة المزعجة وشبه المؤلمة، برؤيتها صامتة قبالتي، ومائلة قليلاً في سترتها القائمة، وبوجه يبدو وكأنه يقول وداعاً لأشياء عديدة. لم تقبلني. ولم أبادر أنا كذلك إلى تقبيلها. كان وجهها محتقناً ومتيبساً. وفجأة، ودون سابق انذار، بدا وكأن كل نوابضها قد أفلتت، وكما لو أنها قد نزعت قناعاً لم تعد تطيقه. وفي وضعها ذاك، حيث كانت تتطلع إلى أعلى، ومؤخرة عنقها مستندة إلى البوابة، أجهشت بالبكاء. ولم يكن بكاؤها هو بكاء السعادة الشهير، بل ذلك البكاء الذي يداهم أحدنا حين يشعر بتعاسة كئيبة. فحين يشعر المرء بتعاسة باهرة الوضوح، يصبح الموقف جديراً فعلاً ببكاء تصاحبه الاختلاجات والتشنجات، وهذا النوع من البكاء يتطلب بشكل خاص وجود جمهور. أما عندما يشعر أحدنا بأنه مكتئب، فضلاً عن التعاسة، فانه لايجد عندئذ متسعاً للتمرد أو التضحية أو البطولة، ولابد في هذه الحالة من البكاء دون ضجة، لأن أحداً لايستطيع مد يد المساعدة، ولأن المرء نفسه يدرك أن هذا الوضع سينجلي وأنه سيستعيد توازنه وحالته الطبيعية في النهاية. هكذا كان بكاؤها. ولايمكن لأحد أن يخدعني في هذا المجال. ولكنني قلت لها مع ذلك: «أيمكنني مساعدتك؟ هل أستطيع علاج هذا الوضع؟» ولكنها أسئلة غير مجدية، أتبعتها باخراج سؤال آخر، من أعمق أعماق شكوكي: «ماذا حدث؟ أترغبين في أن نتزوج؟» ولكن السحابة كانت قد ابتعدت. فقالت: «لا. أبكي لأن كل

شيء مؤسف» وهذا صحيح تماماً. كل شيء مؤسف: عدم انقطاع التيار الكهربائي، وبلوغي الخمسين من العمر، وكونها فتاة طيبة، ووجود أبنائي الثلاثة، وخطيبها السابق، والشقة. . . أخرجت منديلي ومسحت الدموع عن عينيها. «هل انقضى كل شيء؟» وردت: «نعم، انقضى كل شيء» وكان ذلك كذباً، ولكننا كنا ندرك أنه من المستحسن الكذب في مثل هذه الأحوال. وقد تابعت تقول، بينما نظرتها ماتزال ناقهة: «لاتظنني حمقاء دائماً» لقد قالت «لاتظنني» دون أن تقول حضرتك، إنني واثق من أنها قالت «لاتظنني». لقد بدأت تكلمني دون تكلف إذن.

الخميس ٢٠ حزيران

لم أكتب شيئاً منذ أربعة أيام. فقد انشغلت بصورة رهيبة في اجراءات استئجار الشقة، وقبول التأمين، وسحب مبلغ الـ٧٩,٢٤٦٥بيزو، وشراء بعض الأثاث. غداً سيسلمونني الشقة. وبعد ظهر السبت سينتقلون إليها الأثاث.

الجمعة ٢١ حزيران

لقد فصلوا سواريث من العمل، إنه أمر لايكاد يصدق، ولكنهم فصلوه فعلاً. وقد تداول العاملون الاشاعة القائلة أن ابنة بالبيردي قد ضغطت لفصله من العمل. والمفاجئ في الأمر هو أن سبب الفصل لم يكن أقل من ذلك. فقد أرسل قسم الصادر طردين خاطئين، دون أن يكون لسواريث مجرد علم بأمر هاتين الارساليتين، ولابد أن من فعل ذلك هو أحد الشبان الجدد الذي يتولون مهمة التعليب. منذ زمن بعيد كان سواريث

يمارس أنواعاً لاحصر لها من القذارة، ولم يكن هناك من يقول له شيئاً. ومما لاشك فيه أنه كانت لدى الوكيل، منذ نحو ثلاثة أو أربعة أيام، أوامر محددة تقضي بطرد هذا العاشق المنكوب؛ ولكن سواريث الذي كان مدركاً لما سيحل به، أخذ يتصرف مثل طفل مثالي. فهو يصل إلى المكتب في الموعد المحدد لبدء العمل، بل ويعمل في بعض الأيام بضع ساعات اضافية؛ وقد أصبح لطيفاً، وذليلاً، ومنضبطاً. ولكن ذلك كله لم يفده في شيء. ولو لم يقع ذلك الخطأ في الصادر، فانني متأكد من أنهم كانوا سيطردونه، ربما لأنه يكثر من التدخين أو لأنه لم يلمع حذاءه جيداً. ويؤكد أحد المطلعين من جهة أخرى، بأن الصندوقين قد أرسلا إلى عنوان خاطئ بأمر محدد وسري من الوكيل. وهذا لايثير فيّ الدهشة والاستغراب.

عندما أطلعوا سواريث على نبأ فصله، كانت رؤيته تدعو إلى الرثاء. ذهب إلى الصندوق، وقبض تعويضه، ثم رجع إلى طاولته وبدأ يفرغ الأدراج بصمت، دون أن يدنو منه أحد ليسأله عما حدث أو ليقدم له نصيحة ما، أو ليعرض عليه أي مساعدة. وخلال نصف ساعة فقط، أصبح شخصاً غير مرغوب فيه. أنا لاأكلمه منذ سنوات (منذ أن لاحظت أنه يستخرج أرقاماً سرية من الحسابات ويقدمها إلى أحد أعضاء مجلس الادارة ليستثيره ضد الآخرين)، ولكنني أقسم أني شعرت اليوم برغبة في الاقتراب منه وتطييب خاطره بكلمة تعاطف ومواساة. ولم أفعل ذلك لأنه شخص قذر، ولأنه لايستحق المواساة. ولكنني لم أستطع تجنب الاحساس بشيء من القرف نحو هذا التحول التام والمفاجئ (والذي شارك فيه الجميع، ابتداء من رئيس مجلس الادارة وحتى أصغر العاملين)، وهو تحول تسبب فيه انقطاع العلاقة مابين سواريث وابنة بالبيردي. وبالرغم من أن الأمر قد يبدو غريباً إلا أن أجواء هذه المؤسسة التجارية تسير، إلى حد كبير، بنظام الأهواء الخاصة.

السبت ٢٢ حزيران

لم أذهب اليوم إلى المكتب. فقد انتهزت فرصة فوضى البهجة التي عمت المكتب أمس، وطلبت من الوكيل الأذن اللازم للغياب صباح اليوم. وقد وافق على طلبي مبتسماً، بل واتبع ذلك بتعليق مشجع ومرح بأنه لايعرف كيف سيتمكنون من تدبر الأمور دون وجود رجل المكتب الأساسي. أيريدون الصاق ابنة بالبيردي بي؟ ياه.

تلقيت الاثاث في الشقة، وعملت في ترتيبه مثل عبد. بدت الشقة حسنة الترتيب. ليس هناك أي شيء يثير الغيظ. فأنا لاأحب تلك المقاعد الوظيفية، ذات القوائم المثيرة للضحك بعدم استقرارها، والتي تتحطم بمجرد القاء نظرة غاضبة عليها. ولاأحب تلك المساند التي تبدو وكأنها صنعت لاسناد ظهر شخص من مقاس آخر. ولاأحب تلك المصابيح التي تضيء دائماً المكان الذي لانريد أن نراه أو نريه لأحد، المكان الذي توجد فيه عناكب أو صراصير مثلاً.

أظن أنها المرة الأولى التي أرتب فيها جواً على هواي. فعندما تزوجت أهدت إلينا أسرتي غرفة النوم، وساهمت أسرة ايزابيل بغرفة الطعام. وكانت كل منهما تركل الأخرى، ولكن ليس مهماً. فبعد ذلك كانت تأتي حماتي وتفتي: «يلزمكما لوحة في غرفة المعيشة» ولاتعيد قول ذلك مرتين. ففي صباح اليوم التالي، تظهر في الغرفة لوحة طبيعة صامتة، فيها سجق وجبن ناشف وشمامة وخبز بيتي وزجاجات بيرة. وباختصار: شيء يسدّ شهيتي ستة شهور. وفي أحيان أخرى، وغالباً مايكون ذلك في المناسبات، يرسل إلينا عمٌ مالوحة فيها نوارس لنعلقها على جدار غرفة النوم أو مزهريتين فخاريتين مزركشتين برسوم غلمان مخنثين، وتكون أقرب إلى اثارة الاشمئزار منها لأي شيء آخر. وبعد موت ايزابيل، واشتراك الزمن وسهوي وانشغالي بالأعمال المنزلية في اتلاف الطبيعة الصامتة والنوارس

والغلمان، راح خيمي يملأ البيت بهذا التهريج الذي يتطلب تفسيراً دورياً. إنني أراه أحياناً مع اصدقائه وهم يقفزون مشدوهين أمام جرة لها أجنحة، أو قصاصات صحف مختلطة، أو رسم باب وخصيات، وأسمعهم يعلقون: «ياله من رسم هائل!» فلا أفهم ولاأرغب في أن أفهم، لأن اعجابهم ليس إلا نفاقاً في الواقع. فقد سألتهم يوماً: «ولماذا لاتأتون مرة بصورة لاحدى لوحات غوغان أو مونيه أو رينوار؟ هل هؤلاء سيئون؟» عندئذ تنطح لي دانيليتو غوميث فيرنادو، وهو مدلل ينام كل يوم في الخامسة صباحاً، لأن «ساعات الليل هي الأكثر أصالة»، ورقيق إلى حد لايدخل معه مطعماً مرة أخرى إذا رأى فيه أحداً يستخدم عوداً في تنظيف أسنانه. هذا الفتى بالذات، هو الذي ردّ علي قائلاً: «ولكن ياسيد، نحن من مؤيدي التجريد» هو نفسه، بالمقابل، لايتضمن أي تجريد بوجهه الضئيل الخالي من الحاجبين وملامحه الأبدية التي تشبه ملامح قطة حبلى.

الأحد ٢٣ حزيران

فتحتُ الباب ووقفت جانباً كي أفسح لها طريق الدخول. فتقدمت إلى الداخل بخطوات قصيرة وهي تتأمل كل شيء باهتمام غريب، وكأنها تريد أن تمتص بتمهل الضوء واللون والأجواء. مرت بيدها على رف الكتب، ثم على قماش الأريكة، ولكنها لم تلق ولو نظرة واحدة باتجاه غرفة النوم. جلست. أردات أن تبتسم ولم تستطع. بدا لي أن ساقيها ترتعشان. تطلعت إلى صور اللوحات المعلقة على الجدار، وقالت مخطئة: «بوتشيلي». وكانت اللوحة المعنية لفيليبو ليبي. سيكون لدي متسع من الوقت لأوضح لها هذا الخطأ. بدأت تسأل عن النوعية، وعن الأسعار، وعن الأثاث. وقالت ثلاث أو أربع مرات: «إنه يعجبني».

كانت الساعة السادسة مساء؛ وكانت الشمس تحول لون ورق الجدران

الأبيض الشاحب إلى برتقالي. جلست إلى جانبها فتيبست. ورأيت أنها لم تترك حتى حقيبتها، فقلت لها: «أتذكرين أنك لست زائرة وإنما سيدة البيت»». عندئذ بذلت جهدها، وطوحت شعرها قليلاً، ثم خلعت سترتها، ومدت ساقيها بعصبية. فسألتها: «ماذا هنالك؟ أأنت خائفة؟» وردت علي بسؤال: «وهل يبدو على وجهي أنني خائفة؟». «بصراحة، نعم». «ممكن، ولكنني خائفة من اللحظة» بدا لي أنها قد اطمأنت. ولاحظت أن هناك شيئاً مؤكداً: فهي لم تكن تتكلف. فالشحوب يعني أن الخوف حقيقي. ولم يكن سلوكها مثل سلوك أمينات الصندوق، أولئك اللواتي يوافقن على الذهاب إلى الشقق المفروشة، ولكنهن يُصبن بنوبة هستيرية في اللحظة التي تتوقف فيها سيارة الأجرة أمام الشقة، ويصرخن مناديات على الماما. لا، ليس فيهاأي شيء مسرحي. لقد كانت مرتبكة، وأنا لم أكن أرغب- وربما لم يكن يناسبني - في أن اتقصى كثيراً حول أسباب ذلك الارتباك. قالت: «كل مافي الأمر أنه علي أن أعتاد على الفكرة» وربما قالت ذلك لكي أكتفي به. وقد انتبهت هي نفسها إلى أنني أفتقد الحماسة إلى حد ما. «إن احدانا تتخيل هذه الأشياء دوماً بطريقة مختلفة قليلاً عما ستكون عليه في الواقع. ولكن عليّ أن أعترف بشيء وأن أشكرك عليه. فهذا الذي أعددته لايختلف كثيراً عن كل ماتخيلته». «ومنذ متى بدأت بتخيله؟». «مذ كنت أذهب إلى المدرسة وأغرمت باستاذ الرياضيات». كانت المائدة جاهزة، عليها تلك الأطباق الصفراء التي اختارتها لي عاملة المحل (وهذا ليس صحيحاً تماماً، لأن الأطباق أعجبتني أنا أيضاً) سكبت المأكولات الباردة، وأديت دور المضيف بكل وقار. لقد أبدت اعجابها بكل شيء،لكن توتر الأعصاب لم يتح لها الاستمتاع بشيء. وعندما حانت لحظة فتح زجاجة الشمبانيا، كان الشحوب قد فارقها، فسألتها: «إلى أي ساعة تستطيعين البقاء؟». «إلى وقت متأخر». «وأمك؟» «أمي تعرف بعلاقتنا».

ضربة تحت الحزام دون ريب. هذا لاينفع. أحسست بأنني عارٍ، بهذا النوع من عـري الأحلام اليائس الذي يرى المرء نفسه فيه يتمشى بسرواله الداخلي في منطقة ساراندي والناس يتابعونه من شارع إلى آخر. ولكنني تجرأت على سؤالها: «ولماذا فعلت ذلك؟». «أمي تعرف كل شيء عني». «وأبوك؟». «أبي يعيش خارج هذه الدنيا. إنه خياط. مرعب. لاتفكر أبداً في صنع بدلة عنده. إنه يصنع جميع البدلات على مقاس تمثال المانيكان نفسه. ولكنه صوفي، وفوضوي كذلك. إنه لايسأل عن أي شيء مطلقاً. وهو يجتمع كل يوم اثنين مع أصدقائه الصوفيين وينهمك في تفسير بلافاتسكي حتى الفجر؛ وفي أيام الخميس، يأتي أصدقاؤه الفوضويون إلى البيت ويتناقشون بأعلى صوتهم حول باكونين وكروبوتكين. وفيما عدا ذلك، فانه رجل رقيق مسالم، يتطلع إلي أحياناً بصبر عذب ويقول لي أشياء نافعة، بل أكثر الأشياء النافعة التي سمعتها على الاطلاق» يعجبني أن تتحدث عن أسرتها، ولكن حديثها اليوم أعجبني أكثر. بدا لي ذلك وكأنه فأل حسن لافتتاح مقر علاقتنا الجديد. «وماذا تقول أمك عني؟» إن صدمتي النفسية آتية من أم ايزابيل. «عنك؟ لاشيء. إنه تقول عني» اجهزت على الشمبانيا المتبقية في كأسها ثم مسحت شفتيها بالمنديل الورقي. لم يبق على وجهها أي شيء من الأصباغ: «تقول عني أنني لاأعرف السكينة» «وهل تعني بذلك علاقتنا أم كل شيء؟». «كل شيء. إن نظريتها، نظرية حياتها العظمى، التي ترى أنها صالحة دوماً، تتلخص في أن السعادة، السعادة الحقيقية، هي حالة أقل ملائكية بكثير، بل وأقل لطفاً مما يميل أحدنا دائماً إلي الحلم بها. وهي تقول إن الناس ينتهون إلي الاحساس بالتعاسة لمجرد أنهم ظنوا أن السعادة هي شعور دائم وغير محدود بالرخاء، حالة من الغيبوبة الممتعة، مهرجان دائم. ولكنها تقول لا، فالسعادة أقل من ذلك بكثير (أو ربما هي أكثر بكثير، لكنها شيء آخر على كل حال) وهي متأكدة من أن

بعض مدعي التعاسة هم سعداء في الواقع، ولكنهم لايدركون ذلك، لايقبلون به، لأنهم يعتقدون أنهم بعيدون جداً عن الحد الأقصى من الرخاء. إنه شيء مشابه لما يحدث لواهمين **بالمغارة الزرقاء**. فالمغارة التي تصوروها هي مغارة حوريات؛ وعندما يصلون إليها يجدون أن كل المعجزة تتلخص في أن المرء يضع يديه في الماء فيراهما زرقاوين ومضيئتين بعض الشيء» مما لاشك فيه أنها تسعد برواية آراء أمها. وأعتقد أنها ترويها كقناعات لايمكن لها الوصول إليها، ولكنها ترغب في الوقت ذاته بحماس في امتلاكها. سألتها: «وأنت، كيف تشعرين؟ أتشعرين وكأنك ترين يديك زرقاوين ومضيئتين بعض الشيء؟» فأعادتها مقاطعتي هذه إلى الأرض، إلى اللحظة الخاصة التي يمثلها هذا اليوم. قالت: «لم أضعهما في الماء بعد»، ولكنها ابتسمت على الفور. لأن قولها قد يفهم على أنه دعوة بالطبع، حتى ولو نطقت به في تسرع لم تكن تقصده. لم يكن الذنب ذنبي، ولكن خسارتي المفاجئة كانت جاهزة. فقد نهضت واقفة، واستندت إلى الجدار، ثم سألتني بلهجة أرادت لها أن تكون لطيفة، ولكنها كانت رادعة بشكل ظاهر: «هل أستطيع أن أطلب منك أول معروف؟» فأجبتها وقد بدأت المخاوف تراودني: «يمكنك». «أتتركني أذهب اليوم، هكذا، دون أي شيء آخر؟ اليوم، فقط اليوم. وأعدك أن يكون كل شيء على مايرام غداً» أحسست بأنني خائب وأحمق ومتفهم: «اتركك طبعاً. هذا أقل مايمكن» ولكنه لم يكن أقل مايمكن. وكيف له أن يكون كذلك.

الاثنين ٢٤ حزيران

استيبان مريض. والطبيب يقول إن حالته قد تكون خطيرة، ونأمل ألا تكون كذلك. وإنه مصاب بالتهاب غشاء الرئة أو شيء من هذا القبيل. وهو

لايعرف. متى سيعرف الأطباء؟ دخلت إلى غرفته بعد الغداء لأرى كيف أصبحت حالته. كان يقرأ، وكان المذياع مفتوحاً. عندما رآني أدخل، أطبق الكتاب بعد أن طوى الزاوية العليا للصفحة التي كان يقرؤها، ثم أطفأ المذياع وكأنه يريد أن يقول: «حسن، لقد انتهت حياتي الخاصة» تظاهرت بأنني لم أنتبه إلى ذلك. ولم أكن أعرف ما يمكنني أن أتحدث فيه معه. لاأعرف على الأطلاق في أي أمر أتحدث مع استيبان. فأي موضوع نتحدث فيه، تكون نهاينه المحتمة هي الدخول في جدال صاخب. سألني كيف تمضي مسألة تقاعدي. أظن أنها تسير بشكل جيد. والواقع أنها لايمكن أن تكون شديدة التعقيد. فمنذ زمن أعددت كل مايلزم، ودفعت كل رسوم المعاملات المستحقة، ونظمت اضبارتي. «حسب ماقاله صديقك، فان القضية لن تكون طويلة» موضوع تقاعدي هو أحد أكثر المواضيع تواتراً في أحاديثي مع استيبان. ثمة اتفاق مضمر فيما بيننا على متابعته دائماً. ومع ذلك، فقد قمت اليوم بمبادرة: «حسن، حدثني قليلاً عن شؤونك، فنحن لانتحدث في ذلك أبداً». «صحيح. لابد أننا، أنت وأنا، لدينا شغل كثير دائماً». «يبدو أن الأمر كذلك. ولكن، هل صحيح أن لديك شغلاً كثيراً في مكتبك؟» سؤال أحمق وعابر. وكان الجواب متوقعاً، إلا أنني لم أتوقعه: «ماذا تعني؟ أتعني أننا نحن الموظفين الحكوميين جميعنا كسالى؟ أهذا ماتعنيه؟ طبعاً، فانتم الذي تعملون في المؤسسات التجارية وحدكم من تتمتعون بامتياز الكفاءة والقدرة على العمل». أحسست بغضب مزدوج، لأني كنت مذنباً بالتحدث إليه. «انظر، لاتغال كثيراً. لم أعنِ شيئاً من هذا الذي تقوله، وحتى أنني لم أفكر فيه. إنك نزق مثل عانس. أو أنك تشعر في قرارة نفسك بأن ماقلته صحيح» وعلى خلاف ماتوقعت، فأنه لم يقل شيئاً مهيناً، فقد وصل به الأمر إلى حد الاعتذار: «ربما كنت محقاً. إنني معكر المزاج دائماً. لاأدري. أشعر بعدم ارتياح من نفسي» إن اعتبار هذا الكلام مُسارّة، ومن جانب استيبان، هو أمر مبالغ فيه تقريباً. أما النظر إليه كنقد ذاتي، فأرى أنه قريب من الحقيقة. منذ زمن وأنا أشعر أن منهج استيبان لايتوافق مع

ضميره. «مارأيك في أن أتخلى عن الوظيفة الحكومية؟». «الآن؟» «حسن، ليس الآن. عندما أشفى، إذا كنت سأشفى. فقد قال الطبيب أنني قد أحتاج إلى بضعة أشهر». «وماسبب هذا التحول المفاجئ؟». «لاتسألني كثيراً. ألا يكفيك أنني أريد التغيير؟» «نعم، يكفيني. إنك تسعدني بهذا. الشيء الوحيد الذي يقلقني هو أنك إذا طلبت اجازة مرضية، فان الحصول عليها أسهل حيث أنت الآن» «وأنت، هل طردوك من عملك عندما أصبت بالتيفوس؟ أليس صحيحاً أنهم لم يفعلوا ذلك؟ وقد تغيبت عن العمل حينئذ ستة شهور» الحقيقة انني كنت أعارضه لأزيد من تشبثه بموقفه. «الشيء الأساسي الآن هو أن تشفى. وبعد ذلك سنرى». عندئذ بدأ حديثاً مطولاً عن نفسه، وعن العوائق التي تحد من تطلعاته، وعن آماله. وكان عرضاً طويلاً جداً حتى انني وصلت إلى المكتب في الثالثة والربع، وكان عليّ أن أعتذر من الوكيل على ذلك التأخير. لقد كنت فاقد الصبر. ولكنني شعرت بأنه لاحق لي في مقاطعته. فقد كانت المرة الأولى التي يقدم فيها استيبان اعترافاته، ولم أستطع أن أخيب أمله. وبعد أن انتهى من كلامه، تحدثت أنا. قدمت له بعض النصائح، ولكن بشكل فضفاض جداً، ودون تحديد. لم أشأ أن أخيفه. وأظن أنني لم أخفه. وعندما هممت بالانصراف ربت على ركبته التي كانت يثنيها تحت اللحاف. وقد ابتسم لي. رباه، لقد بدا لي وجهه كوجه انسان غريب. أيكون ذلك ممكناً؟ وكان من جهة أخرى غريباً يفيض باللطف. مع أنه ابني. ياللروعة.

كان علي أن أتأخر في المكتب، وأن أؤخر بالتالي «شهر عسلي».

الثلاثاء ٢٥ حزيران

عمل كثير. سأكمله غداً

الأربعاء ٢٦ حزيران

كان علي أن أعمل حتى العاشرة ليلاً. سأنفجر تماماً.

الخميس ٢٧ حزيران

أظن أن اليوم هو آخر أيام العمل المكثف. لم أر في حياتي مطلقاً طلب تقارير معقدة وعديمة الجدوى مثلما رأيت اليوم. ثم إنه لابد من انجاز الميزانية.

لحسن الحظ أن استيبان أمضى اليوم دون ارتفاع في الحرارة.

الجمعة ٢٨ حزيران

أخيراً استطعت الخروج من المكتب في السابعة والنصف، وذهبت إلى الشقة فوراً. كانت قد سبقتني إلى هناك، وقد فتحت الباب بمفتاحها وجلست تنتظرني. عندما وصلت استقبلتني بسعادة، دون عوائق، وبقبلة مرة أخرى. أكلنا. تحدثنا. ضحكنا. مارسنا الحب. كل شيء على مايرام، لدرجة أنه لايستحق أن أكتب عنه. إنني أصلي: «فليستمر هذا الوضع» ولكي أضغط على الرب، سألمس خشباً لاقوائم له.

السبت ٢٩ حزيران

يبدو أن حالة استيبان ليست خطيرة جداً. فالصورة الشعاعية والتحاليل قد كذبت الطبيب وفأله السيء. إنه شخص يحب الترويع، والاعلان على الأقل عن اقتراب تعقيدات بالغة وأخطار مبهمة وحتمية. وفيما بعد، إذا كان الواقع مخالفاً لتلك الصورة الرهيبة، يسود شعور بالفرج. ومشاعر الفرج الأسرية هي عادة أفضل الأجواء الممكنة لدفع فاتورة باهظة دون مضايقات، بل وبامتنان أيضاً. فعندما يسأل أحدنا الطبيب، بمسكنة وبما يشبه الخجل، وبشعور واضح بالحرج لتعرضه لموضوع مبتذل وتافه أمام من يضحي بحياته ووقته من أجل صحة الآخرين: «كم يادكتور؟»، يجيب الطبيب دائماً، مرفقاً كلماته بحركة ضيق سخية ومتفهمة: «أرجوك ياصديقي، سيكون لدينا متسع للحديث في هذا الشأن.

لاتتسرع، فلن تجد أي مشكلة معي على الاطلاق» ولكي ينقذ الوقار الانساني من تلك الحفرة الموحلة، فانه يسارع إلى تغيير الموضوع، ويمضي في تقديم شرح اكاديمي حول الحساء الذي يجب أن يتناوله الناقة غداً. وعندما يحين، أخيراً، وقت الحديث في هذا الشأن، تأتي فاتورة حساب مثقلة وحدها في البريد، ويصاب المرء بالذهول وهو يرى الرقم، وربما لأن الابتسامة البشوشة والأبوية والفرنسيسكانية لشهيد العلم المتقشف ذاك، لاتكون حاضرة.

الأحد ٣٠ حزيران

يوم كامل لنا، منذ الفطور وحتى آخر النهار. لقد جئت جزعاً لأتحقق وأتأكد من كل شيء. مافعلناه يوم الجمعة كان حدثاً وحيداً، ولكنه كان جارفاً. مرّ كل شيء بسرعة كبيرة، وتلقائية، وسعادة، حتى أنني لم أستطع الاحتفاظ منه بأي ملاحظة ذهنية. فعندما يكون المرء في بؤرة الحياة، يصعب عليه أن يفكر برصانة. وأنا أريد أن أفكر، وأن أقوم هذا الشيء الغريب الذي يحدث لي، بأكثر شكل تقريبي ممكن، وأن أتعرف على ملامحي الخاصة، وأن أعوض عما عانيته من نقص في شبابي بسبب مبالغتي في مسألة الضمير. ومن بين التفاصيل التي أود التأكد منها هناك نبرة صوتها، تلاوين صوتها، ابتداء من أقصى الصراحة وحتى التكلف الساذج؛ وهنالك جسدها الذي لم أره بشكل فعلي، ولم استطع استكشافه، لأني فضلت متعمداً أن أدع هذا الثمن مقابل أن أشعر بتراخي التوتر، وأن يتراجع تحفز أعصابها مفسحاً المجال للحواس؛ فضلت أن تكون العتمة مطبقة فعلاً، وتحريت لذلك عن كل فجوة يتسلل منها الضوء، لعلّ كل ارتعاشة خجل أو خوف أو أي شيء آخر لديها تتحول تدريجياً إلى ارتعاشات من نوع آخر، أكثر دفئاً، وأكثر طبيعية، وأكثر توافقاً من الاستسلام. لقد قالت لي اليوم: «إنني سعيدة لأن كل شيء قد مضى» وكانت تبدو، من اندفاع كلماتها وبريق عينيها، انها تشير إلى امتحان، أو إلى مخاض، أو إلى هجوم، أو إلى أي

شيء آخر أكثر مجازفة ومسؤولية من عملية المضاجعة البسيطة والعادية واليومية بين رجل وامرأته؛ وهي عملية أكثر بساطة وعادية ويومية من اضطجاع رجل وامرأة. «بل وأقول لك أنني لاأشعر بالذنب، وبأنني طاهرة من الخطيئة» ولابد أنني قمت بحركة تنم عن نفاذ الصبر، لأنها أوضحت في الحال: «أنا أعرف أنك لن تستطيع فهم هذا، لأنه شيء لاتتسع له عقول الرجال الراجحة. فممارسة الحب بالنسبة إليك هو مجرد معاملة عادية، شيء أشبه بقضاء حاجة صحية، ونادراً ماتكون مسألة ضمير. إنكم تحسدون على قدرتكم على عزل هذا التفصيل الذي يسمى الجنس عن كل الأشياء الجوهرية الأخرى، عن كل مناطق الحياء الأخرى. وأنتم أنفسكم من اخترعتم تلك البدعة القائلة إن الجنس هو كل شيء في المرأة. ابتدعتموها ثم شوهتموها، حولتموها إلى صورة كاريكاتورية لما تعنيه في الواقع. وعندما تقولونها تفكرون بأن المرأة طالبة متعة متمادية. فالجنس كل شيء في المرأة يعني: حياة المرأة كلها، بتبرجها، وبفنونها في المكيدة، وبورنيشها الثقافي، ودموعها الجاهزة، بكل أجهزة اغوائها لمهاجمة الرجل وتحويله إلى متعهد اشباع حياتها الجنسية، ومتطلباتها الجنسية، وشعائرها الجنسية» كانت تتكلم بحماس، وحتى أنها بدت غاضبة مني. فقد كانت تنظر إلي بسخرية فيها شدة اعتداد بالنفس، تجعلها تبدو وكأنها القيمة على كل الكرامة الأنثوية في الدنيا. سألتها: «أليس هناك ماهو صحيح في هذا؟»، وكان سؤالي لمجرد استفزازها، لأنها كانت تبدو شديدة الجمال وهي في وضع عدواني. «هنالك شيء صحيح، أحياناً صحيح. وأعرف أن هناك نساء هكذا، ولسن إلا هكذا. ولكن هناك أخريات، الأغلبية، وهن لسن كذلك؛ وأخريات كثيرات، بالرغم من أنهن كذلك، إلا أنهن أشياء أخرى أيضاً، إنهن كائن بشري معقد، أناني، ومتطرف في حساسيته. ربما كان صحيحاً أن الأنانية الأنثوية هي مرادف للجنس، ولكن لابد من معرفة أن الجنس لدى المرأة يتطابق مع الضمير. وهنا يمكن أن تكون الخطيئة الكبرى، والسعادة الفضلى، والمشكلة العويصة. إنها كائن مختلف جداً بالنسبة لحضراتكم.

قارن، إذا شئت، بين حالة عانس وحالة أعزب متقدم في السن، وهما حالتان يمكن اعتبارهما ظاهرياً غيريتين متشابهتين، حالتا احباط متوازيتان. ماهي ردود فعل كل منهما؟» أخذت نفساً ثم تابعت:

«بينما تتحول العانس إلى امرأة ضجرة، وأقل أنوثة يوماً بعد يوم، ومهووسة، وهستيرية، ومهزوزة الشخصية؛ يتجه العازب كبير السن بالمقابل نحو الخارج، فيجعل من نفسه ظريفاً، صاخباً، وعجوزاً متصابياً. كلاهما يعانيان الوحدة، ولكن الوحدة بالنسبة للعازب هي مجرد مشكلة حضور بيتي، وسرير فردي؛ أما بالنسبة للعانس، فالوحدة هي ضربة هراوة على الرقبة». كان تصرفاً في غير محله من جانبي، ولكنني ضحكت في تلك اللحظة. فأوقفت خطبتها ونظرت إلي بفضول. قلت لها: «أشعر بظرافة الأمر وأنا أسمعك تدافعين عن العوانس. إنني معجب، ومذهول في الوقت نفسه، لرؤيتك مشغولة هكذا في صياغة نظريتك. لابد أنك ورثت هذا عن أمك. هي لديها نظريتها عن السعادة؛ وأنت أيضاً لديك نظريتك، وربما يمكن تسميتها «نظرية العلاقة بين الجنس والضمير لدى المرأة العادية». أما الآن، فأخبريني من أين جئت بقولك إن الرجال يفكرون بهذه الطريقة، وإن الرجال هم الذين ابتدعوا هذه الحماقة الصحية بان الجنس هو كل شيء في المرأة؟» بدا على وجهها الاحساس بالخجل لادراكها بأنها محاصرة: «وماأدراني. هناك من قال لي ذلك. لستُ عالمة. ولكن إذا لم يكن من ابتدع ذلك رجل، فانه جدير بأن يبتدعه رجل» لقد عدت أتعرف عليها الآن بهذا التملص الذي يشبه تهرب صبي وجد نفسه مكشوفاً فلجأ إلى التفافة ظاهرها السذاجة لكي يعتذر فقط. إن احتدامها الانثوي لايهمني كثيراً في نهاية المطاف. لقد قالت كل ذلك لكي تفسر لي السبب في عدم شعورها بالذنب. حسن، هذا هو المهم، ألاترى نفسها مذنبة، وأن يتراخى توترها، وأن تشعر بالطمأنينة بين ذراعي، وماسوى ذلك ليس إلا زخرفاً وتبريرات؛ من الممكن ذكرها أو عدم ذكرها، وهذا سيّان لدي. فاذا كانت راغبة في الاحساس بأن لديها مبرارتها، وإذا أرادت أن تحول ذلك كله إلى مسألة

ضمير جدية، وأرادت الحديث عنها، وأرادتني أن أتحمل، وأن أسمعها وهي تقول ذلك، فلا مانع لدي، فلتقل ماتشاء وسأستمع إليها. إنّ إتقاد وجنتيها بالحماس يجعلها جميلة جداً. كما انه ليس صحيحاً أن المسألة ليست مسألة ضمير بالنسبة لي أيضاً. لاأذكر في أي يوم قلت ذلك، ولكنني متأكد من أنني قد كتبت شيئاً عن ترددي، وهل التردد إلا أحد الأشكال المواربة للضمير؟

لكنها عظيمة. فقد صمتت فجأة، وتركت نضالها كله جانباً، ونظرت إلى المرآة، ليس بغنج وإنما كمن تسخر من نفسها، ثم جلست على السرير ونادتني: «تعال، اجلس هنا، إنني حمقاء أضيع الوقت بمثل هذه الخطبة، مع أنني أعرف أنك مختلف عن الآخرين. وأعرف أنك تفهمني، وأنك تدرك الأسباب التي تجعل الأمر في نظري مسألة ضمير» وكان عليّ أن أكذب وأقول: «طبعاً أدرك ذلك» ولكنها كانت بين ذراعي حينئذ، وكانت هناك أشياء أخرى للتفكير بها، ومشاريع قديمة لتنفيذها، ومداعبات جديدة نقوم بها. إن لقضايا الضمير جانبها الرقيق أيضاً.

الأربعاء ٣ تموز

لاأكاد أصدق، ولكنني لم ألتق آنيبال منذ عودته من البرازيل، في بداية أيار. لقد اتصل بي وأفرحني بذلك. إنني بحاجة للحديث مع أحد، للثقة بأحد. فقد انتبهت عندئذ فقط إلى أن موضوع ابيبانيدا كله قد احتفظت به لنفسي، ولم أتكلم عنه إلى أحد. وهذا يمكن تفسيره. فمع من يمكنني أن أتحدث فيه؟ مع أبنائي؟ إن مجرد تخيل ذلك يبعث القشعريرة في جسدي. هل أتحدث فيه مع بيغنالي؟ إنني أتصور غمزة الخبث التي سيوجهها إلي، وتربيته على كتفي، وابتسامة التواطؤ التي سيبتسمها، ثم سيصبح محافظاً في التعامل معي على الفور. هل أتحدث في ذلك مع زملائي في العمل؟ إن الإقدام على ذلك سيكون خطوة مرعبة في الطريق غير الصحيح، وسيؤدي بكل تأكيد إلى ترك ابيبانيدا العمل في المكتب. وحتى لو لم تكن تعمل معنا،

فلست أظن أن لدي القدرة للتحدث عن نفسي في هذه الأحوال. ففي المكاتب لاوجود للأصدقاء؛ هناك أشخاص يتقابلون كل يوم، ويتميزون غيظاً معاً أو على انفراد، ويروون النكات ويحتفلون بها، ويتبادلون شكواهم وينقلون سخطهم إلى بعضهم البعض، ويتهامسون عن مجلس الادارة بشكل عام، ولكنهم يتملقون كل مدير على انفراد. هذا كله يسمى تعايش، ولكن التعايش قد يصل إلى الظهور بمظهر الصداقة بصورة سرابية فقط. وأعترف بأن ابيبانيدا هي حالة التعاطف الحقيقي الأولى التي أحسست بها خلال سنوات حياتي المكتبية الطويلة. وماسوى ذلك كان محكوماً بنقيصة العلاقة غير المختارة، والرابطة التي تفرضها الظروف. فما هو الشيء المشترك الذي يجمعني بمونيوث أو مينديث أو روبليدو؟ ومع ذلك، فاننا نضحك معاً أحياناً، وقد نتناول كأساً معاً أيضاً، ونتعامل بلطف فيما بيننا. ولكن كل واحد منا، في العمق، مجهول من جانب الآخرين، لأن الحديث في مثل هذا النوع من العلاقات السطحية يدور عن أشياء كثيرة، ولكنه لايتناول الأشياء الحيوية مطلقاً، ولايتعرض أبداً للأشياء المهمة والحاسمة فعلاً. وأظن أن العمل هو الذي يحول دون قيام نوع آخر من الثقة؛ العمل، هذا النوع من الطرق المتواصل، أو من المورفين أو الغاز الخانق. قد يقترب مني أحد العاملين معي أحياناً (مونيوث بشكل خاص) ليبدأ حديثاً صريحاً حقاً. وقد يبدأ الحديث، يبدأ بإجمال الخطوط البارزة في شخصيته بصراحة، يبدأ بتلخيص حدود مأساته، تلك المأساة اليسيرة، الراهنة، المحيرة التي تثقل حياة كل واحد منا. ولكن هناك دائماً من ينادي من وراء الحاجز الخشبي. ويكون على الموظف أن يشرح لزبون متأخر في الدفع عدم ملاءمة ذلك، ويوضح له عقوبة التأخر، ويناقشه، ويصرخ قليلاً، ولابد أنه يشعر بالمذلة. وعندما ينتهي ويرجع إلى طاولتي، ينظر إلي، ولايقول شيئاً. يقوم بالجهد العضلي اللازم للابتسام، ولكن جانبي فمه يميلان إلى أسفل. عندئذ يتناول استمارة قديمة، ويكورها في قبضته بدقة، ثم يلقي بها إلى سلة المهملات. هذه هي المُسارّة. أجل، العمل يكمم فم الثقة، ولكن هناك

السخرية أيضاً. جميعنا اختصاصيون في السخرية. فلابد من طريقة ما لتصريف الاستعداد المسبق للاهتمام بالآخرين؛ وإذا لم نفعل ذلك، فاننا نتكلس ونصاب بالكآبة والعصاب ولست أدري بأي أشياء أخرى. ولأننا لانملك الشجاعة الكافية، ولاالصراحة الكافية للاهتمام بمودة بالآخر (ولست أعني الآخر الغامض، التوراتي الذي لاملامح له؛ وإنما الآخر الذي له اسم وكنية، الآخر القريب منا، من يكتب على الطاولة المقابلة لطاولتي ويمد لي صحيفة حسابات الفوائد لأراجعها وأوقع عليها الموافقة بالحروف الأولى)، وبما اننا نرفض الصداقة بارادتنا، فلابأس إذن بأن نهتم، ساخرين، بهذا الجار الذي يبقى أمامنا ثماني ساعات يومياً. ثم إن السخرية تضفي نوعاً من التضامن. فالمرشح للسخرية اليوم هو هذا الشخص، وغداً ذاك، وبعده أنا. والشخص المختار يلعن بصمت، ولكنه مايلبث أن يخضع لقدره، فهو يعرف أن هذا الحال هو جزء من اللعبة، وأنه في المستقبل القريب، ربما بعد ساعة أو ساعتين، قد يختار طريقة الثأر التي تتناسب مع ميوله. أما الساخرون من جهتهم، فانهم يشعرون بالتضامن والحماس والظرف. وكلما أضاف أحدهم توابل جديدة، احتفل به الآخرون، وتبادلوا الاشارات، وأحسوا بشبق التواطؤ، ولم يعد ينقصهم إلا أن يعانق بعضهم بعضاً ويطلقوا صيحات النصر. وكم هو مريح الضحك، حتى عندما يضطر أحدنا إلى كبح ضحكة لأن الوكيل قد ظهر من الجهة الأخرى بوجهه الأحمر مثل بطيخة. فالضحك هو ثأر من الروتين، ومن أوراق المعاملات، ومن هذا القدر المحتوم بالبقاء ثماني ساعات متورطاً في شيء لاأهمية له، في شيء يضخم الحسابات المصرفية لأولئك الناس الذين لانفع فيهم، ممن يرتكبون الخطايا لمجرد العيش، لمجرد البقاء أحياء، أولئك التافهين الذين يثقون بالرب لأنهم يجهلون أن الرب قد تخلى عن الثقة بهم منذ زمن بعيد. السخرية والعمل. ومالفرق بينهما في نهاية المطاف؟ بالسخرية هذا العمل، وياله من نكتة سيئة.

الخميس ٤ تموز

تحدثت مطولاً مع آنيبال. إنها المرة الأولى التي أذكر فيها اسمُ ابيبيانيدا أمام أحد، أعني المرة الأولى التي أذكره فيها بالمعنى الذي يمثله هذا الاسم لي. وفي إحدى اللحظات، بينما كنت أروي قصة علاقتي بها، بدا لي وكأنني أرى القضية كلها من الخارج، مثل مراقب مهتم بعمق. وقد استمع إليّ آنيبال باهتمام ديني. «ولماذا لاتتزوجان؟ لاأفهم جيداً حقيقة هذا التردد الذي يساورك» وبدا لي عدم فهمه ضرباً من الكذب، فكل شيء واضح تماماً. فأعود إلى الشرح، إلى كليشيه الشرح التي أقدمها منذ البداية: سني، وسنها؛ ماسأكونه بعد عشر سنوات، وماستكونه هي بعد عشر سنوات؛ سعيي إلى عدم الحاق الضرر بها، وسعيي من جهة أخرى إلى عدم الظهور بمظهرٍ مضحك؛ متعة الحاضر؛ أبنائي الثلاثة.. الخ. «وهل تظن أنك لاتضر بها هكذا؟»طبعاً، هذا لامفر منه، ولكنه ضرر أقل مما لو كانت مقيدة. «ومااللذي تقوله هي؟ أهي موافقة؟» هذا مايمكن تسميته بالسؤال غير المريح. لاأعرف إذا كانت موافقة. لقد قالت نعم في البداية، ولكنني لاأعرف في الحقيقة إذا كانت موافقة. ألا يمكن أنها تفضل الوضع المستقر، الوضع الرسمي المستقر والموثق؟ أأدعي أنني أفعل ذلك من أجلها وأنا أفعله في الواقع من أجلي أنا بالذات؟ «هل ماتخشاه هو الظهور بمظهر المضحك أم شيء آخر؟» لاشك في أنه يريد وضع أصبعه في الجرح. «ما الذي تعنيه بهذا؟». «طلبت مني أن أكون صريحاً، أليس كذلك؟ وماأعنيه هو أن المشكلة كلها كما يبدو لي واضحة تماماً: فكل مافي الأمر هو أنك تخشى أن تضع لك قروناً بعد عشر سنوات» يالقباحة مواجهة أحدنا بالحقيقة، وخصوصاً إذا كانت من الحقائق التي يتفادى المرء قولها لنفسه في مناجياته الصباحية مع نفسه، عندما يستيقظ ويدمدم بحماقات فريدة وشديدة القسوة ومثقلة بالحقد على النفس، وهي حماقات لابد من التخلص منها واستبعادها قبل الاستيقاظ التام واستبدالها بالقناع المعتاد الذي سيرانا فيه الآخرون

وسنرى من خلاله الآخرين طول النهار. أأخاف إذن من أن تضع لي قروناً بعد عشر سنوات؟ لقد رددت علي آنيبال بكلمة بذيئة. ولكن ماهو رد الفعل الذكري التقليدي عندما يعامل الناس أحدهم كذي قرون، حتى ولو كان ذلك بعيد المدى. لقد واصل الشك عمله في رأسي، وحتى في هذه اللحظة، وأنا أكتب، لاأستطيع التخلص من الإحساس بأنني أقل شرفاً، وأقل توازناً وأكثر بذاءة وجفاء مما كنت عليه.

السبت ٦ تموز

هطل المطر مدراراً بعد ظهر اليوم. وقفنا عشرين دقيقة في أحد الأركان ننتظر توقف المطر، وكنا نتأمل الناس الراكضين بخمود. ولكنا أخذنا نشعر بالبرد، ورحت أعطس بانتظام متوعد. كان الحصول على سيارة أجرة ضرباً من المستحيل. وكنا على بعد كوادرتين من الشقة، فقررنا الذهاب سيراً على الأقدام. والحقيقة أننا ركضنا أيضاً وكأن مساً قد أصابنا، ووصلنا إلى الشقة في ثلاث دقائق مبللة. بقيت منهوكاً لبعض الوقت، ملقى كشيء غير ذي قيمة على السرير. ولكنني استجمعت قبل ذلك مايكفي من القوة لأبحث عن دثار وألفها فيه. كانت قد خلعت سترتها التي كان الماء يقطر منها، وكذلك تنورتها التي أصبحت في حالة يرثى لها. وشيئاً فشيئاً بدأت أستريح، ثم سرى الدفء في أوصالي بعد نصف ساعة. فذهبت إلى المطبخ، وأشعلت موقد البريموس لأسخن عليه ماء. نادتني من غرفة النوم. كانت قد نهضت، هكذا، وهي ملفوفة بالدثار، ووقفت إلى جانب النافذة تراقب هطول المطر. دنوت منها، ونظرت أنا أيضاً إلى المطر، لم نقل شيئاً للحظة. وأدركت فجأة أن تلك اللحظة، تلك البرهة من الحياة اليومية، هي أقصى درجات الرخاء، وأنها منتهى السعادة. فأنا لم أشعر بالسعادة الغامرة في حياتي مثلما شعرت بها في تلك اللحظة، ولكن تملكني

في الوقت ذاته احساس جارح بأنني لن أعود إلى الشعور بها مطلقاً، بمثل هذه القوة وهذه الكثافة على الأقل. لقد كانت تلك هي الذروة، والذروة هي هكذا بالطبع فأنا واثق من أن الذروة هي ثانية واحدة، لحظة قصيرة، وميض عابر، وليس لأحدنا الحق في اطالة أمدها. كان في الأسفل ثمة كلب يمشي دون اسراع وعلى عينيه غمامة، وفجأة، رفع إحدى قوائمه مستجيباً لإلهام غريب، ثم واصل بعد ذلك مشيه الهادئ. الحقيقة أنه بدا في توقفه وكأنه يريد التأكد من استمرار هطول المطر. نظر كل منا إلى الآخر في اللحظة نفسها وانفجرنا بالضحك. فأحسست أن السحر قد انفك، وأن الذروة الشهيرة قد مرت. ولكنها كانت معي، أستطيع الشعور بوجودها، بملامستها، بتقبيلها. ويمكنني أن أقول لها بكل بساطة: «ابيبانيدا» و«ابيبانيدا» هي عالم من الكلمات. فأنا أتعلم حقن هذا الأسم بمئات المعاني، وتتعلم هي أيضاً التعرف على تلك المعاني. إنها لعبة نمارسها معاً. فعندما أقول: «ابيبانيدا» في الصباح، يكون المعنى: «صباح الخير» وهناك «ابيباندا» للعتاب، وأخرى للتنبيه، وغيرها للاعتذار. ولكنها تتعمد عدم فهم المعنى المقصود أحياناً لتغضبني. فعندما أقول كلمة «ابيبانيدا» التي تعني: «فلنمارس الحب»، ترد هي بتجبر: «أترى أنه علي أن أذهب الآن؟ ولكن الوقت مازال مبكراً!» آه، ياللأزمنة القديمة التي لم تكن فيها «ابيبانيدا» إلا مجرد كنية، كنية المعاونة الجديدة (قبل خمسة شهور فقط كنت قد دونت في هذه المذكرات: «لايبدو أن لدى الفتاة رغبة كبيرة في العمل، لكنها تفهم مايشرحه لها أحدنا على الأقل»، والبطاقة التي تحدد تلك الشخصية ذات الجبهة العريضة والفم الكبير التي كانت تنظر إلي باحترام بالغ. هاهي ذي الآن قبالتي، ملفوفة في دثارها. لست أذكر كيف كانت عندما بدت لي عديمة الفائدة، مكبوتة، ولطيفة فقط. إنني أتذكر كيف هي الآن وحسب: امرأة صغيرة شهية تجتذبني، وتبهج قلبي بشكل غير معقول، وتغزوني. طرفت عيني بوعي، حتى لاأتيح لشيء أن يعكر علينا. فأحاطتها عيناي

عندئذ احاطة أفضل من الدثار؛ والحقيقة أن تلك النظرة لم تكن مستقلة عن صوتي الذي كان قد بدأ بنطق: «ابيبانيدا». وقد فهمتني تماماً هذه المرة.

الأحد ٧ تموز

يوم مشمس رائع، يكاد يكون خريفياً. ذهبنا إلى كاراسكو. كان الشاطئ مقفراً، ربما لأن الناس، في عز تموز، لايتحمسون لاظهار حسن الظن بالطقس. جلسنا على الرمل. إن الأمواج تصبح هائلة عندما يكون الشاطئ مقفراً، لأنها هي التي تتحكم عندئذ بالمشهد العام. وأنا أعترف، متحسراً بأن هذا الجو يجعلني وديعاً ومطواعاً. إنني أرى هذا البحر المدمر الذي لايهدأ، المتباهي بأمواجه وسطوته، والذي لاتكاد تدنسه إلا بعض النوارس الساذجة التي تكاد تكون غير واقعية، فألتجئ فوراً إلى تقدير لامبالاة فيه. وبعد ذلك مباشرة تقريباً، يتلاشى ذلك التقدير ليحل محله احساس بأني أعزل مثل محار، أو مثل حصاة متدحرجة. هذا البحر هو شكل من أشكال الأبدية. فعندما كنت طفلاً، كانت أمواجه تتلاطم وتتلاطم، ولكنها كانت تتلاطم أيضاً عندما كان جدي طفلاً، وكذلك عندما كان جد جدي طفلاً. إنه حضور متحرك إنما دون حياة. حضور أمواج قاتمة لااحساس فيها. شاهد على التاريخ. وإذا تبين أن البحر هو الرب؟ سيبقى شاهداً لاأحساس فيه، وحضوراً متحركاً دون حياة. إن ابيبانيدا تتطلع إليه أيضاً، دون أن ترمش تقريباً، بينما شعرها يتطاير مع الهواء. «هل تؤمن بوجود الرب؟»، قالت ذلك وكأنها تواصل الحوار الذي كنت قد بدأته في ذهني. «لاأعرف، أنا أرغب في أن يكون للرب وجود. ولكنني لست متأكداً من وجوده. ولست متأكداً أيضاً مما إذا كان الرب، في حال وجوده، سيرضى بإيماننا الذي ينطلق من بعض المعطيات المتفرقة وغير المكتملة».

«لكن الأمر واضح جداً، أنت تعقد الأمور لأنك تريد رباً ذا وجه، ويدين، وقلب. الرب هو اسم عام. ويمكننا أن نسميه أيضاً المطلق. فالرب هو هذا الحجر، وهو حذائي، وهو ذلك النورس، وسروالك، وتلك الغيمة، إنه كل شيء» «وهل هذا شيء يجتذبك؟ هل يقنعك؟» «إنه يلهمني على الأقل، يلهمني الاحترام» «أما أنا فلا. لأنني لاأستطيع أن أتصور الرب على أنه شركة مغفلة ضخمة».

الاثنين ٨ تموز

لقد صار استيبان قادراً على النهوض. لكن مرضه خلف لنا رصيداً طيباً، سواء له أو لي أنا. فقد أتيح لنا أن نتبادل الحديث الصريح مرتين أو ثلاث مرات، وكانت أحاديث صحية فعلاً. وقد تحدثنا في العموميات في إحدى المرات، ولكن بتلقائية، ودون أن يفرض الحنق المتبادل الردود علينا.

الثلاثاء ٩ تموز

أأنا خائف إذن من أن تضع لي قروناً بعد عشر سنوات؟

الأربعاء ١٠ تموز

بيغنالي. لقد التقيت به في ساراندي. ولم أجد مفراً من الاستماع إليه. لم يكن سعيداً. وأنا كنت مستعجلاً، ولهذا تناولنا قهوة على طاولة الكونتوار. وهناك روى لي بتلك المناجاة الصاخبة التي يمارسها، الفصل الجديد من غرامياته: «ياللسوء الحظ ياصديقي. لقد أمسكت بنا زوجتي، هل تلاحظ ذلك؟ لم تمسك بنا متلبسين كما يقال. كنا نتبادل القبلات فقط.

ويمكنك أن تتصور الفضيحة التي أثارتها البدينة وهي تصرخ أن ذلك يحدث في بيتها، وتحت سقفها، ونحن نأكل خبزها. وأنا، زوجها بالذات، أحسست وكأنني صرصار. أما الفيرا فقد عاملتها بحزم، وخرجت بنظرية العصر القائلة: إننا، هي وإنا، عشنا على الدوام كأخوين، وإن مارأته زوجتي هو تعبير عن ذلك بالضبط، مجرد قبلة أخوية. فأحسست حينئذ بأنني أعظم مرتكب للفحشاء في المحارم، وأثارت البدينة شجاراً فظيعاً، وقالت: «ستكونان مخطئين إذا تخيلتما أنني سأبقى صامتة مثل فرانثيسكو الأبله» وأخبرت حماتي، والجيران، والبقال. وخلال ساعتين كان الحي كله يعرف أن تلك المجنونة أرادت خطف زوجها. أما ألفيرا، فقد تحدثت بدورها إلى فرانثيسكو وقالت له إنهم يهينونها، وإنها لن تبقى دقيقة واحدة في هذا البيت. وقد بقيت مع ذلك نحو ثلاث ساعات، جعلتني في أثنائها أبدو قبيحاً جداً، بكل مايعنيه القبح من معنى. وكان فرانثيسكو يرد على كل ماتقوله بنعم، لم يكن بالشخص الخطر على الاطلاق. لكن البدينة كانت تلح وتصرخ، وقد ألقت بنفسها مرتين أو ثلاث مرات على الفيرا. وفي إحدى لحظات الرعب تلك، قالت لها الفيرا... أراهن أنك لاتعرف ماالذي قالته لها؟ قالت أي عقل يصدق أنها ستلتفت إلى رجل تافه مثلي. هل تلاحظ؟ والأدهى هو أنها استطاعت اقناع الأخرى بحجتها تلك، وجعلت البدينة تهدأ. هل تلاحظ؟ أقسم لك أنني لن أغفر ذلك لالفيرا. فلتذهب وحسب، هي وقوادها. فهي في الواقع ليست جميلة إلى الحد الذي كنت أظنه. ثم أنني الآن، وبعد أن لم أعد زوجاً وفياً، توصلت إلى أنه يمكن أن تكون لي بعض البرامج الصغيرة الشبابية والطازجة. ولكن على ألا تكون لها علاقة بالبيت الأسري، فهو مكان مقدس على الدوام في نظري. وهكذا لايخامر الشك البدينة أيضاً».

السبت ١٣ تموز

إنها نائمة إلى جانبي. وأنا أكتب على ورقة منفصلة سأعيد نسخها ليلاً في الدفتر. الساعة الآن الرابعة بعد الظهر، نهاية القيلولة. لقد بدأت التفكير في إحدى المقارنات وانتهيت إلى مقارنة أخرى. هاهو ذا جسدها بجانبي. الجو بارد في الخارج، لكن الحرارة هنا لطيفة، بل وأقرب إلى الحر. يكاد جسدها أن يكون مكشوفاً، فالحرام والشرشف قد انزلقا نحو خاصرتها. رغبت في المقارنة بين هذا الجسد وذكرياتي عن جسد ايزابيل. لقد كانت تلك أزمنة أخرى دون شك. لم تكن ايزابيل نحيفة، وكان لنهديها حجمهما، ولهذا كانا يتهدلان قليلاً. وكانت سرتها غائرة، كبيرة، قاتمة، وذات حواف غليظة. وكان ردفاها على أحسن مايرام، فهما أكثر ماكان يجتذبني فيها؛ ومازالت لدي ذكرى حسية من ردفيها. وكان ذراعاها ممتلئين، لهما بياض متورد. أما ساقاها فكانتا مهددتين بالدوالي، ولكنهما جميلتين، مسكوبتين. ليس في هذا الجسد الذي إلى جواري أي ملمح مشترك مع ذاك. فابيانيدا نحيلة، صدرها يثير فيّ الشفقة، وذراعاها يغطيهما النمش، وسرتها طفولية وصغيرة، أما ردفاها فهما على أحسن مايرام (أم إن الأرداف تستثيرني دائماً؟)، وساقاها نحيلتان، ولكنهما جيدتان. ومع ذلك، فقد اجتذبني ذلك الجسد مثلما يجتذبني هذا الجسد. لقد كان لايزابيل في عريها قوة ملهمة، فحين كنت أتأملها، كان كياني كله يتحول إلى جنس، ولم يكن هناك مايجعلني أفكر بشيء آخر. أما عري ابيانيدا ففيه تواضع صريح ولطيف وأعزل، فيه انكشاف مؤثر. إنه يجتذبني بعمق، ولكن الجنس هنا هو جزء من الإيحاء فقط.. من النداء. لقد كان عريْ ايزابيل عرياً شاملاً، وربما أكثر نقاء. أما جسد ابيانيدا فهو عري مرفق بموقف. فمن أجل حب ايزابيل كان يكفي الاحساس بالانجذاب نحو جسدها. أما حب ابيانيدا فيستدعي محبة العري- الموقف، لأن هذا الأخير هو نصف جاذبيتها على الأقل. لقد كان احتضان جسد ايزابيل يعني احتضان جسد متحسس لكل الانعكاسات البدنية وقادر أيضاً على الاتيان بكل الحوافز

المباحة. أما احتضان جسد ابيبانيدا النحيل فيعني، فضلاً عن احتضان ابتسامتها، احتضان نظرتها واسلوبها في الكلام، ومعجم رقتها، وتمنعها عن الاستسلام التام واعتذارها عن هذا التمنع. هذه هي المقارنة الأولى. ولكن جاءت بعدها المقارنة الأخرى، وهي التي جعلتني أشحب وأفقد حماستي. إنها المقارنة بين جسدي أيام ايزابيل وجسدي مع ابيبانيدا. ياللأسى! صحيح أنني لم أكن رياضياً في يوم من الأيام، ولينجني الله من ذلك. ولكن كانت هناك بعض العضلات، وبعض القوة، وكان ثمة جلد ناعم، مشدود. ولم يكن هناك وجود لأشياء كثيرة أصبحت موجودة الآن للأسف، ابتداء من الصلع غير المتوازن (فالجانب الأيسر من رأسي هو الأكثر اقفاراً)، والأنف الذي ازداد ضخامة، والرقبة المترهلة، وحتى الصدر الذي أصبحت فيه جُزر من الشعر المائل إلى الاحمرار، والبطن المنتفخ، والكاحلين الممتلئين بأوردة مصابة بالدوالي، وفطور القدمين المزعجة التي لاشفاء منها. وهذا كله لايقلقني أمام ابيبانيدا، فقد عرفتني وأنا على هذه الحال، وهي لاتعرف كيف كنت في السابق. ولكنني أقلق له أمام نفسي، أقلق من التعرف على نفسي كشبح لشبابي، أو كصورة كاريكاتيرية لنفسي. وربما كان هناك مايعوضني: إنه رأسي، وقلبي كذلك. وبكلمة جامعة، ربما كنت أنا نفسي - ككائن روحي - أفضل قليلاً مما كنت عليه في أيام ايزابيل ولياليها. أفضل قليلاً فقط، فمن غير المناسب أن أبالغ في التفاؤل. علينا أن نكون متزنين وموضوعيين، وأن نكون صريحين، أليس كذلك. والجواب: «هل يدخل هذا في الحساب؟» إذا كان للرب من وجود، فلا بد أنه يكرر رسم شارة الصليب هناك في الأعالي الآن. أما ابيبانيدا (آه، وهي موجودة فعلاً) فهي تحت نظري الآن، وقد أخذت تفتح عينيها.

الاثنين ١٥ تموز

ربما كان آنيبال محقاً في نهاية المطاف بأن السبب في تهربي من الزواج هو خوفي من الظهور بمظهر مضحك أكثر مما هو حماية مستقبل ابيبانيدا.

وليس هذا بالأمر الحسن. لأن هنالك شيئاً مؤكداً وهو أنني أحبها. وهذا أكتبه لنفسي فقط، لذا ليس مهماً إذا كانت له رنة متكلفة. إنه الحقيقة. نقطة وكفى. وأنا لاأحب لها بالتالي أن تتألم. كنت أظن (وهو ماكنت أظنه فعلاً) أنني أتجنب الوصول إلى وضع مستقر لكي تبقى ابيبانيدا حرة دائماً، ولكي لاتشعر بعد بضع سنوات بأنها مقيدة إلى شيخ هرم. واذا تبين لي الآن أن ذلك لم يكن إلا ذريعه أتذرع بها أمام نفسي، بينما السبب الحقيقي هو نوع من الضمان ضد خدع مستقبلية، فانه يجب تغيير كل بنية هذه العلاقة وكل شكلها الخارجي. ربما كان عذابها، في هذا الوضع السري الذي له طابع مؤقت مهما طال أمده، أكبر من احساسها بالارتباط بشخص يبلغ عمره ضعف عمرها. وأخيراً، فإن خوفي من الظهور بمظهر مضحك جعلني أسيء المحاكمة، وهذا سلوك مقرف من جانبي. أعرف أنها طيبة وأن معدنها طيب، وأعرف أنها إذا أحبت أحدهم يوماً، فلن تبقيني في ذلك الجهل المذل الذي يشكل اهانة للأزواج المخدوعين. فقد تخبرني بذلك، أو أنها ستجعلني ألمح التحول بطريقة ما، وسيكون لدي من صفاء الذهن مايكفي لأن أفهم الأمر. ولكن، ربما يكون من الأفضل أن أفاتحها بذلك، وأن أجعلها تقرر بنفسها، وأن أساعدها على الاحساس بالأمان.

الأربعاء ١٧ تموز

كانت بلانكا حزينة اليوم. تناولنا العشاء، أنا وهي وخيمي بصمت. وكان استيبان قد خرج من البيت لأول مرة بعد مرضه. لم أقل شيئاً أثناء العشاء، لأني أعرف جيداً كيف سيكون رد فعل خيمي. وفيما بعد، عندما خرج من البيت، دون تحية وداع طبعاً (لأنه لايمكن اعتبار الزمجرة التي أطلقها قبل أن يصفق الباب وراءه بأنها «تصبحون على خير»)، واصلت قراءة الجريدة في غرفة الطعام، وقد تعمدت بلانكا التأخر في تنظيف المائدة. وكان عليّ أن ألقي الجريدة جانباً لكي ترفع هي الشرشف عن الطاولة، وعندئذ نظرت إليها. بدت عيناها وكأنهما تبكيان. فسألتها: «ماذا حدث

لك مع خيمي؟» وقالت: «مع خيمي ومع دييغو؛ لقد تشاجرت مع الاثنين».
كان جواباً شديد الابهام. فلم أكن قادراً على تصور أن يتحالف خيمي ودييغو ضدها. «دييغو يقول عن خيمي أنه شاذ جنسياً. ولهذا تشاجرت مع دييغو» لقد أصابتني تلك العبارة بصفعتين: الأولى، لأنها موجهة إلى ابني. والصفعة الثانية لأن من قالها هو دييغو الذي أعقد عليه الآمال وأثق به.
قلت: «وهل يمكنني أن أعرف السبب الذي جعل محظوظك دييغو يسمح لنفسه بتوجيه هذه الاهانات؟» فابتسمت بلانكا بشيء من المرارة: «هذا هو الأسوأ. فالأمر ليس مجرد شتيمة. إنه الحقيقة. ولهذا السبب تشاجرت مع خيمي» من الواضح أن بلانكا كانت تجبر نفسها على الكلام وهي تقول ذلك كله، خصوصاً وأنني كنت الشخص الذي تتوجه إليك بتلك المكاشفة.
وحتى أنا نفسي أحسست برنة زيف في صوتي عندما قلت: «وأنت، أتصدقين افتراءات دييغو أكثر مما تصدقين كلام أخيك؟» فغضت بلانكا بصرها. وكانت تحمل في يدها حينئذ سلة الخبز. فبدت تجسيداً للأسى، أسى مؤثر وبيتي. وقالت: «إن خيمي نفسه يقول ذلك» لم أكن أظن حتى تلك اللحظة بأنه يمكن لعينيّ أن تنفتحا بمثل هذا الاتساع الذي انفتحتا به، حتى إنني أحسست بألم في صدغيّ. وتلعثمت قائلاً: «أولئك الأصدقاء هم إذن. . . ». فقالت بلانكا: «أجل» وكانت تلك الكلمة أشبه بضربة هراوة على الرأس. ولكنني لاحظت مع ذلك أنه كانت توجد في أعماقي بعض الشكوك السابقة حول ذلك. ولهذا، ولهذا فقط، لم أشعر بوقع جديد للكلمة في نفسي. ثم أضافت بلانكا قائلة: «سأطلب منك طلباً: لاتقل له أي شيء. إنه فاسد. أتعلم أنه لايشعرْ بتأنيب الضمير؟ يقول إنه لايميل إلى النساء، وإنه أمر لم يأت به من عنده، وإن لكل شخص طبيعة خصه بها الله، وإن الله لم يمنحه القدرة على الشعور بالميل إلى النساء. إنه يبرر سلوكه بحمية، وأؤكد لك أنه لايشعر بأي عقدة ذنب» عندئذ قلت دون أي قناعة: «إذا ماهشمت رأسه بالضرب، فسترين كيف أنه سيشعر بعقدة الذنب»

ضحكت بلانكا، لأول مرة هذه الليلة، وقالت: «لن تخدعني. أعرف أنك لن تفعل ذلك»حينئذ داخلني القنوط، قنوط رهيب لاأمل فيه. فالأمر يخص خيمي، ابني الذي ورث جبهته وفمه عن ايزابيل.

إلى أي مدى يصل ذنبي وأين يبدأ ذنبه هو؟ صحيح أنني لم أرعه كما ينبغي، ولم أستطع أن أعوضه تماماً عن الأم. آه، ليست لدي ميول لأن أكون أماً، ولست متأكداً من وجود ميول لدي لأن أكون أباً. ولكن، ماعلاقة هذا كله بوصوله إلى هذه النهاية؟ ربما كان بامكاني قطع تلك الصداقات في بدايتها. وربما لو فعلت ذلك لكان واصل اللقاء بهم دون علمي. قلت: «يجب أن أكلمه» ويبدو أن بلانكا قد استسمت للمصيبة القادمة، فأضفت قائلاً لها: «وعليك أن تتصالحي مع دييغو».

الخميس ١٨ تموز

هناك موضوعان لابد لي من مفاتحة ابيبانيدا بهما، ولكننا لم نبق في الشقة إلا ساعة واحدة، فحدثتها عن خيمي فقط. لم تقل لي أنني بريء تماماً، وأنا أشكرها على ذلك. بيني وبين نفسي بالطبع. ولكنني أعتقد أنه إذا كان المرء متعفناً في الأصل، فليس هناك تربية قادرة على شفائه، وليس هناك عناية قادرة على إصلاحه. كان يمكنني بالطبع أن أفعل أكثر مما فعلت من أجله، وهذا صحيح وواضح لدرجة أنني لاأستطيع أن أشعر بالبراءة. ولكن، ماهو الشيء الذي أريده، وماهو الشيء الذي أفضله؟ أأريد له ألا يكون مخنثاً، أم أنني ببساطة أريد الإحساس بالتحرر من أي شعور بالذنب؟ كم نحن أنانيون، رباه، كم أنا أناني. حتى محاولة تصفية ضميري هي نوع من الأنانية، نوع من التمسك بالراحة، بالطمأنينة الروحية. أما خيمي فلم أره.

الجمعة ١٩ تموز

لم أره اليوم أيضاً. ولكنني أعرف أن بلانكا قد قالت له انني أريد التحدث إليه. إن استيبان شديد العنف. ومن الأفضل ألا يعلم بالأمر. أم إنه قد علم به؟

السبت ٢٠ تموز

بلانكا هي التي جاءتني بالرسالة في المغلف، وكان نصها كما يلي: «عجوزي: أعرف أنك تريد التحدث معي، وأنا أعرف الموضوع مسبقاً. ستلقي عليّ موعظة أخلاقية، ولدي سببان لعدم قبول موعظتك. الأول، أنه ليس هناك ماأؤنب عليه. والثاني، هو أنك أنت أيضاً لك حياتك السرية. لقد رأيتك مع البنية التي أوقعتك في شباكها، وأظن أنك توافقني على أن سلوكك هذا ليس بالطريقة المثلى للحفاظ على الاحترام اللائق بذكرى أمي. ولكن هذه هي حقيقة تزمتك أحادي الجانب. ولأن ماتفعله لايعجبني وماأفعله لايعجبك، فإن أفضل حل هو أن أختفي من حياتكم. وهكذا يصبح الميدان خالياً أمامك. إنني راشد، فلا تقلق علي. وأظن أن انسحابي من حياتكم سيقربك أكثر من أخويّ، بلانكا تعرف كل شيء عني (لمزيد من المعلومات، يمكنك التوجه إليها)، أما استيبان فقد أخبرته مساء أمس، في مكتبه. ومن أجل طمأنتك. أريد أن أعترف لك بأنه قد تصرف كرجل كامل الرجولة، وجعل إحدى عيني تتورم وتصطبغ بالسواد. لكن عيني الأخرى المفتوحة تكفيني لرؤية المستقبل (وهو ليس بالمستقبل السيء، وستري ذلك) ولأتوجه بالنظرة الأخيرة إلى أسرتي المؤدبة جداً، والأصولية جداً. تحياتي، خيمي» أعطيت الورقة لبلانكا. فقرأتها بتمعن وقالت: «لقد أخذ أشياءه صباح اليوم» وكانت شاحبة عندما أضافت: «وهذا الذي يقوله عن المرأة، هل هو صحيح؟» قلت: «نعم ولا. صحيح أن لي علاقة بامرأة، صبية

تقريباً. وأنا أعيش معها. وليس صحيحاً بالمقابل أن ذلك يعني الاساءة إلى ذكرى أمك. أظن أن لي الحق في الحب. حسن، وقد أحببت هذه الفتاة. ولم أتزوج منها إلا لأني لست واثقاً مما إذا كان الزواج هو الوضع المناسب فقط». ربما كانت هذه الجملة الأخيرة زائدة. كانت تزم شفتيها بشدة. وأظن أنها كانت حائرة مابين نوع من العودة إلى أصلها الأسري وبين معنى شديد البساطة لما هو انساني. سألتني بجزع: «ولكن، هل هي طيبة؟» قلت: «نعم، إنها طيبة». فتنفست بلانكا الصعداء. إنها ماتزال تثق بي. وتنفست أنا كذلك الصعداء عندما شعرت بأنني قادر على نيل مثل هذه الثقة منها. وعندئذ قلت مستجيباً لإلهام مفاجيء: «هل يمكنني أن أطلب منك أن تتعرفي عليها؟» فقالت: «هذا ماكنت سأطلبه منك أنا بالذات». لم أعلق بشيء، لكن الامتنان كان في حنجرتي.

الأحد ٢١ تموز

«ربما كنت أفضل ذلك في البداية، عندما بدأت علاقتنا. أما الآن، فأظن أني لاأميل إليه». إنني أدون هذه الكلمات قبل أي شيء آخر، لأني أخشى أن أنساها بحرفيتها. لقد كان هذا هو ردها. فقد كلمتها هذه المرة بكل صراحة؛ ناقشنا موضوع الزواج حتى أحطناه من كل جوانبه. «قبل مجيئنا إلى هنا، إلى الشقة، أدركت أنك تجد صعوبة من نطق هذه الكلمة. لقد قلتها لي يوماً، عند مدخل بيتي، وأنا شاكرة لك لأنك قلتها. فقد أفادتني في اتخاذ قرار تصديقك، وتصديق عاطفتك. لكنني لم أستطع قبولها، لأنني رأيت أنها ستكون ركيزة زائفة لهذا الحاضر الذي كان مايزال مستقبلاً في ذلك الحين. فلو أني قبلتها لكان علي أن أقبل لك أيضاً أن تنحني، وأن تضطر إلى اتخاذ قرار لم تكن مستعداً له. فانحنيت أنا بالمقابل. لأنه - وكما هو منطقي- يمكنني بذلك أن أكون أكثر ثقة بردود أفعالي من ثقتي بردود

أفعالك. فأنا أعرف أنني لن أكنّ لك الضغينة بانحنائي؛ أما إذا أجبرتك على الإنحناء، فإنني لاأعرف بالمقابل إذا ماكنت ستشعر بشيء من الضغينة نحوي. أما الآن، فقد مضى كل ذلك. أظن أن هنالك شيئاً وراثياً في المرأة يحملها على صيانة عذريتها، وعلى تقييد نفسها والمطالبة بأقصى الضمانات لكي لاتفقدها. وفيما بعد، عندما تسقط إحدانا، تدرك أن كل ذلك مجرد خرافة، أسطورة قديمة لاصطياد الأزواج. ولهذا أقول لك أنني لست متأكدة الآن مما إذا كان الزواج هو الحل الأفضل لنا. المهم أن نكون مرتبطين بشيء معين. وهذا الشيء موجود، أليس كذلك؟ حسن إذن، ألا ترى أن ارتباطنا من خلال هذا الشيء الموجود فعلاً هو أقوى وأمتن وأجمل من مجرد وثيقة، أو خطبة طقسية يلقيها قاضٍ متعجل وأكرش؟ ثم إن هناك أبناءك. وأنا لاأريد أن أبدو وكأنني أنازع صورة زوجتك عليك. لاأريدهم أن يشعروا بالغيرة كممثلين لأمهم. وأخيراً، هناك خوفك من الزمن، خوفك من أن تهرم وأبدأ بالنظر إلى آخرين. لاتكن شديد الاعتداد بنفسك، ولكن أكثر مايعجبني فيك هو شيء لن يكون بامكان أي زمن أن ينتزعه منك» لقد كانت كلماتها المتأنية تعبر عن رغباتي أكثر من تعبيرها عن حقائقها. ثم، كم هو ممتع الاستماع إليها.

الاثنين ٢٢ تموز

لقد أعددت كل شيء بدقة للقاء. لكني لم أخبر ابيبانيدا بشيء. كنت واياها في كافتريا. ولم نكن قد خرجنا معاً إلا مرات قليلة، فهي عصبية دائماً وتظن أن أحداً من زملائنا في المكتب سيرانا. أقول لها إن ذلك سيحدث عاجلاً أو آجلاً، وأننا لن نقضي حياتنا محبوسين في الشقة. لقد انتبهت إلى نظراتي من فوق فنجان الشيكولاته الذي في يدها. «من رأيت؟ أهو شخص من هناك؟» وهناك تعني المكتب. «لا، ليس من هناك. ولكنه شخص يريد التعرف عليك». اشتد ارتباكها وعصبيتها مما جعلني أشعر بالندم للحظة لأني

أقدمت على هذه التجربة. لاحقتْ اتجاه نظرتي وتعرفتْ عليها قبل أن أقول لها أي شيء. لابد أن في بلانكا، في نهاية المطاف، شيئاً من ملامحي. استدعيتها بحركة من يدي. كانت باهرة الجمال، وأنيقة ولطيفة، فأحسست بالفخر بابوتي. «هذه هي بلانكا، ابنتي». مدت ابيانيدا يدها. وكانت ترتعش. وقد تصرفت بلانكا على نحو رائع: «أرجوك، اهدئي. أنا التي رغبت في التعرف عليك». لكن ابييانيدا لم تستعد توازنها. كانت تتمتم وهي مضطربة اضطراباً فظيعاً: «يايسوع. لاأستطيع أن أصدق أنه قد كلمك عني. لاأستطيع أن أصدق أنك أردت التعرف علي. اعذريني، لاأعرف ماستظنين بي...» وكانت بلانكا تفعل كل ماتستطيعه لتهدئتها، وكنت أحاول معها أيضاً. وبالرغم من كل شيء، استطعت أن ألمح خيطاً من الانسجام يمتد بين المرأتين. إنهما متقاربتان في السن. وبعد قليل، بدأت ابييانيدا تستعيد هدوءها؛ وقد ذرفت بعض الدموع أيضاً. وبعد عشر دقائق، كانتا تتبادلان الحديث كشخصين متحضرين وعاديين. فتركتهما تمضيان على سجيتهما. لقد وجدت متعة جديدة في وجود الاثنتين إلى جانبي، إنهما المرأتان اللتان أحبهما أكثر من أي كائن آخر. وعندما افترقنا (أصرت ابييانيدا على أن أذهب مع ابنتي)، مشينا بضع كوادرات تحت رذاذ المطر قبل أن نستقل الامنيبوس. وحين وصلنا البيت، سارعت بلانكا إلى معانقتي، وكانت إحدى المعانقات التي لاتهدرها بلانكا جزافاً، وهي معانقة جديرة بالذكر لهذا السبب بالذات. وقالت لي وخدها ملتصق بخدي: «لقد أعجبتني فعلاً. لم أتصور مطلقاً أنك تحسن الاختيار هكذا». تناولت قليلاً من الطعام وذهبت إلى الفراش. كنت أشعر بتعب يساوي تعب سنة كاملة من الأشغال الشاقة. ولكن ماأهمية كل ذلك.

الثلاثاء ٢٣ تموز

لم أر ابييانيدا منذ تركتنا، أنا وبلانكا، أمس. وصباح اليوم، اقتربت باكراً من طاولتي وهي تحمل سجلين لتستشيرني في أمر. اننا نراعي الحذر

خلال أوقات العمل (ولم ينتبه أحد في المكتب إلى علاقتنا حتى الآن). أما اليوم، فقد تفحصتها باهتمام. كنت أريد أن أعرف كيف خرجت من تلك المصيدة التي نصبتها لها. بدت جدّية، جدية جداً، ودون أصبغة على وجهها تقريباً. أعطيتها التعليمات اللازمة. كنا محاطين بأناس كثيرين، ولهذا لم نستطع أن نقول شيئاً. ولكنها قبل انصرافها، انتهزت الفرصة لتترك لي ايصالين وقصاصة ورق كتبت عليها كلمة واحدة: «شكراً».

الجمعة ٢٦ تموز

إنها الثامنة صباحاً. وأنا أتناول الفطور الآن في مقهى توبي. فإحدى متعي الكبرى أن أجلس إلى جوار إحدى النوافذ المطلة على الساحة. إن المطر يهطل. وهذا يجعل متعي أكبر. لقد عودت نفسي على محبة هذا المسخ الفلوكلوري الذي يسمى «قصر سالفو». فلابد أن فيه شيئاً يجعلهم يطبعونه على البطاقات البريدية التي تباع للسياح. إنه يمثل الطبع الوطني تقريباً: مبتذل، تافه، مثقل بمبالغة. وهو قبيح، وقبيح جداً، لدرجة أنه يبعث المرح في مزاج أحدنا. إنني أحب مقهى توبي في هذه الساعة المبكرة، قبل أن يبدأ باقتحامه المخنثون (لقد نسيت خيمي، ياللكابوس) وحيث لايوجد إلا بعض المسنين المتفرقين هنا وهناك، بقرؤون جريدة «اليوم» أو «المناظرة» بتلذذ لايُصدَّق. معظمهم متقاعدون لم يستطيعوا التخلي عن عادتهم في الاستيقاظ المبكر. هل سأواصل المجيء إلى توبي عندما أتقاعد؟ ألا يمكنني أن أعتاد على التنعم بالبقاء في الفراش حتى الحادية عشرة، مثلما يفعل ابن أي مدير؟ إن التقسيم الحقيقي للطبقات يجب أن يأخذ في الاعتبار الساعة التي ينهض فيها كل شخص من الفراش. هاهو ذا بيانكامانو يدنو مني، إنه النادل ضعيف الذاكرة، وهو شديد السذاجة ودائم الابتسام. للمرة الخامسة أطلب منه قهوة خفيفة وخبز ميديالونا، ويأتيني بقهوة ثقيلة ومعجنات أخرى. إنه طيب القلب إلى حد يدفعني إلى الرضوخ. وبينما كنت ألقي مكعبات السكر في الفنجان، أخذ يحدثني عن حالة الجو وعن العمل. «هذا

المطر يزعج الناس، أما أنا فأقول: ألسنا في الشتاء؟» وأنا أؤيده، لأننا في الشتاء دون شك. بعد ذلك ناداه رجل يجلس إلى طاولة في أقصى المحل، وكان متضايقاً جداً لأن بيانكامانو أتاه بشيء لم يطلبه. إنه شخص لا يرضخ. أو ربما هو أرجنتيني جاء للقيام بتجارة دولاراته الأسبوعية ومازال يجهل عادات المحل. في المرحلة الثانية من وليمتي تأتي الجرائد. هنالك أيام أشتري فيها كل الصحف. فأنا أحب أن أراقب ثباتها: اسلوب القفزات اللغوية البهلوانية في افتتاحيات «المناظرة»، ونفاق «البلاد» المتحضر؛ وخبيص «اليوم» الاخباري الذي تتخلله بين الحين والحين مكيدة ضد الاكليروس؛ وطبيعة «الصباح» القوية المتفردة. لكم هي متنوعة ومتماثلة في الوقت نفسه هذه الصحف. إنها تلعب فيما بينها لعبة المكائد، وتخدع كل منها الأخرى، وتغمز من مصداقيتها. ولكنها تستفيد جميعها من المطرقة نفسها، وتتغذى على الكذبة نفسها. أما نحن، فنقرأ. ومن خلال هذه القراءة تتشكل قناعاتنا، ونصوت في الانتخابات، ونتناقش، ونفقد الذاكرة، ونتناسى بكرم وبلاهة أنها تقول اليوم عكس ما قالته أمس، وأنها تدافع اليوم بحرارة عن ذاك الذي جعلته مكروهاً بالأمس. والأسوأ من ذلك هو أن ذاك الشخص نفسه يرضى اليوم عنها، ويشعر بالزهو والفخر لدفاعها عنه. لهذا كله أفضل صراحة قصر سالفو المرعبة، لأنه كان مريعاً على الدوام، ولم يخدعنا مطلقاً؛ ولأنه استقر هنا، في أكثر أماكن المدينة ازدحاماً، وهو يجبرنا منذ نحو ثلاثين سنة، وطنيين وأجانب، على رفع بصرنا تكريماً لوفائه. أما النظر إلى الصحف فيقتضي خفض البصر.

السبت ٢٧ تموز

إنها متحمسة للقائها مع بلانكا. «لم أكن أتصور مطلقاً أنك قادر على انجاب ابنة فاتنة كهذه» إنها تكرر هذه الكلمات نفسها تقريباً على مسامعي كل نصف ساعة. وكلماتها هذه مثل تلك التي قالتها بلانكا («لم أكن أتصور

مطلقاً أنك تحسن الاختيار هكذا») إنهما غير لطيفتين في حقي، ولاتعبران عن ثقتهما المسبقة بقدراتي على الانجاب والاختيار. ولكنني سعيد. وابيبانيدا سعيدة أيضاً. وكلمة «شكراً» التي خطتها يوم الثلاثاء الماضي تطورت كثيراً. فقد اعترفت لي بأنها شعرت بالحرج للحظة عندما واجهت ابنتي. وفكرت بأن بلانكا قد جاءت لتتشاجر معها، ولتوجه إليها كل كلمات التأنيب التي تتصورها، وكانت تعتقد أنها تستحق ذلك. وفكرت بأن الصدام سيكون عنيفاً وخطيراً وساحقاً جداً، بحيث يقضي على كل أمل في استمرار علاقتنا. وأنها أدركت حينئذ فقط أن هذه العلاقة أصبحت شيئاً مهماً فعلاً في حياتها، وأنها لاتطيق القضاء الآن على هذا الوضع الذي لايكاد يبدو أنه مدبر. «قد لاتصدق، ولكن كل هذه الأشياء مرت في ذهني بينما كانت ابنتك تتقدم بين الطاولات» ولهذا، كان موقف بلانكا الودي بالنسبة إليها أشبه بهدية غير منتظرة. «قل لي، أيمكنني أن أكون صديقتها؟»، هذا هو سؤالها الآمل الآن. وهي تسأل ذلك بملامح شديدة العذوبة، ربما تكون نفس الملامح التي علت وجهها قبل عشرين سنة وهي تسأل أباها للمرة الأولى عن ملوك المجوس.

الثلاثاء ٣٠ تموز

لاأخبار عن خيمي. لقد ذهبت بلانكا للسؤال عنه في المكتب، فقالوا إنه لم يأت إلى العمل منذ عشرة أيام. وقد توصلنا إلى اتفاق ضمني مع استيبان بألا نتحدث في المسألة. فقد كان الأمر ضربة قاسية بالنسبة له أيضاً. وأنا أتساءل الآن كيف سيكون رد فعله حين يعلم بوجود ابيبانيدا. طلبت من بلانكا ألا تخبره بشيء. في الوقت الراهن على الأقل. ربما أكون قد بالغت في وضع أبنائي (أو السماح لهم بوضع أنفسهم) في موقع القضاة. لقد قمت بواجبي نحوهم. قدمت لهم التوجيه والعناية والحنان. حسن، ربما كنت في هذا البند الأخير شحيحاً بعض الشيء. ولكن ذلك لأني لاأستطيع أن أكون واحداً من أولئك الذين يمضون دائماً وهم يحملون قلوبهم على راحاتهم. فاظهار الحنان يكلفني جهداً، حتى في الحياة العاطفية. فأنا أعطي أقل مما

أملك دائماً. هذا هو أسلوبي في الحب، التقتير قليلاً، والاحتفاظ بالحد الأقصى لبعض المناسبات الكبيرة فقط. وربما كان السبب في ذلك هو أن لدي هوس في التدرج. لأني إذا كنت سأظهر كل مالدي دفعة واحدة، فماذا سأترك لتلك اللحظات الكبرى (وهناك أربع أو خمس لحظات كهذه في حياة كل فرد) وبأي شيء سيواجه أحدنا مناسبة تحتاج إلى القلب وكل مافيه؟ ثم إن حفيظتي تثور أمام التكلف، والتكلف في نظري هو ذلك الأمر بالذات: المضي دائماً والقلب محمول على راحة اليد. فماذا يبقى، لمن يبكي كل يوم عندما تحل به فجيعة كبرى، واحدة من الفجائع التي تحتاج إلى أقصى مالدينا من القدرة؟ صحيح أن المرء يستطيع الانتحار، ولكنه يبقى في نهاية المطاف حلاً بائساً. أعني أنه من المستحيل العيش في أزمة دائمة، وأن نصطنع انفعالاً يغرق أحدنا (مثل حمّام يومي) في احتضارات صغيرة متواصلة. إن السيدات الطيبات يقلن عادة بروح اقتصادهن السيكولوجي، إنهن لايذهبن إلى السينما لمشاهدة أفلام حزينة لأن «الحياة فيها مايكفي من المرارة» وهن محقات إلى حد ما: ففي الحياة مايكفي من المرارة لكي لانكون كذلك بكائين، متذللين، وهستيرين، لمجرد أن شيئاً قد اعترض طريقنا ومنعنا من مواصلة نزهتنا نحو السعادة التي تكون أحياناً مجاورة للهراء. أذكر أنهم في احدى المرات، عندما كان الأولاد يذهبون إلى المدرسة، كلفوا صف خيمي بكتابة وظيفة، وكانت واحدة من وظائف الانشاء المطروقة حول موضوع الأم التقليدي. كان عمر خيمي حينئذ تسع سنوات، وقد رجع إلى البيت وهو يشعر بتعاسة عميقة. حاولت افهامه أنه سيواجه هذا الأمر كثيراً في الحياة، وأنه قد فقد أمه وعليه أن يتكيف مع هذا الوضع، وأن ذلك لايستدعي البكاء طول الحياة، وأن أكبر دليل على حبه لأمه هو في اثباته أن غيابها بالتحديد لايضعه في موقع أدنى من الآخرين. ربما كانت لغتي غير مناسبة لسنة. ولكن الصحيح أنه توقف عن البكاء ونظر إلي بحقد يبعث الرعشة في الجسد، ونطق بحزم وتصميم هذه الكلمات: «أنت ستكون أمي، وإذا لم تفعل سأقتلك» مالذي كان يعنيه؟ لم يكن صغيراً إلى الحد

الذي يجهل معه أن مايطلبه محال، ولكن ربما لم يكن كبيراً كذلك إلى الحد الذي يمكنه من العثور على طريقة أفضل لمداراة احتضاره الأول، وقد كان الأول في هذه الاحتضارات اليومية التي ركز فيها أحقاده وتمرداته واحباطاته فيما بعد. ولأن معلماته وزملاءه والمجتمع طالبوه بأمه، فقد أحس للمرة الأولى بكل قوة غيابها. ولست أدري لأي معجزة خيالية ألقى عليّ مسؤولية غيابها. ربما كان يفكر بأنني لو اعتنيت بها بصورة أفضل، لما اختفت. فأنا المسؤول في نظره، وعليّ بالتالي أن أحل محلها «وإذا لم تفعل سأقتلك». لم يقتلني بالطبع، ولكنه راح يقتل نفسه، ويلغي شخصيته. ولأن رجل الأسرة قد خذله، فقد راح يتنكر للرجل الذي فيه. أف! يالهذا الشرح الطويل لتفسير حدث شديد الايجاز والعادية: ابني شاذ جنسياً. مخنث. مثل سانتيني المقرف الذي تتعرى أخته أمامه. كنت أفضل لو أنه أصبح لصاً، أو مدمن مخدرات، أو معتوهاً. أرغب في الشعور بالأسى من أجله، ولكنني لاأستطيع ذلك. أعرف أن هناك تفسيرات عقلانية لحالته، وحتى إنها معقولة. وأعرف أن معظم تلك التفسيرات تحملني جزءاً من الذنب. ولكن، لماذا ترعرع استيبان وبلانكا بشكل طبيعي، ولماذا لم ينحرفا وانحرف الآخر، الآخر بالتحديد، من كنت أحبه أكثر من الجميع. لاشيء من الأسى. الآن وإلى الأبد.

الخميس ١ آب

استدعاني الوكيل اليوم. إنه شخص لاأستطيع هضمه. فهو باهر الابتذال والسفاهة والجبن. حاولت في إحدى المرات أن أتمثل روحه، كيانه المجرد، وقد توصلت إلى صورة منفرة. فحيث توجد الكرامة عادة، لايوجد لديه سوى جذعة صغيرة منها؛ فقد استؤصلت منه. ومع ذلك، فإن الكرامة الاصطناعية التي يستعملها الآن تكفيه لأن يبتسم. وعندما دخلت مكتبه بالضبط، كان يبتسم. «خبر طيب ياسانتومي، خبر طيب - وبدا وهو يفرك

يديه كأنه يهم بالذبح - انهم يعرضون عليك منصب معاون الوكيل». ويبدو أنه لايشارك مجلس الادارة في عرضه «اسمح لي أن أهنئك» إن يده لزجة، وكأنه انتهى لتوه من فتح علبة مربى. «هنالك شرط بالطبع» هاهو ذا الحجر وراء السرطان هذه المرة. والحقيقة أنه كانه يبدو مثل سرطان. خصوصاً في اللحظة التي بدأ يمشي فيها ليخرج من وراء مكتبه. «الشرط هو ألا تتقاعد قبل انقضاء سنتين» والبطالة المنتظرة؟ إن منصب معاون الوكيل وظيفة جميلة، وخصوصاً من أجل إنهاء خدماتي في المؤسسة. العمل فيها قليل يقتصر على التعامل مع بعض الزبائن البارزين، ومراقبة عمل الموظفين، والقيام بأعمال الوكيل عند غيابه، وتحمل أعضاء مجلس الادارة ونكاتهم السمجة، وتحمل زوجات المدراء ودلائل جهلهن الموسوعية. ولكن ماذا عن بطالتي؟ سألته: «كم من الوقت تعطيني للتفكير بالأمر؟» وكان هذا الطلب هو مقدمة لرفضي. فلمعت عينا السرطان وقال: «اسبوع. يجب أن أنقل ردك إلى مجلس الادارة يوم الخميس القادم». عندما رجعت إلى القسم، كان الجميع يعرفون الخبر. فهذا مايحدث دائماً للأخبار السرية للغاية. وجرت معانقات وقدمت التهاني والتعليقات. حتى إن الموظفة ابيبانيدا اقتربت مني وصافحتني. وبين جميع تلك الأيدي، كانت يدها هي الوحيدة التي ترد الحياة.

السبت ٣ آب

لقد ناقشت العرض معها مطولاً. طلبت مني أن أفكر جيداً بالأمر، لأن وظيفة معاون الوكيل منصب مريح ومحترم وجيد الراتب. حسن، جميع الأشياء التي أعرفها. ولكنني أعرف كذلك أن لي الحق في الاستراحة، وأنني لن أبيع هذا الحق بمئة بيزو تضاف إلى راتبي. وربما لن أبيعه أيضاً لو كان العرض أكبر من ذلك بكثير. الأمر الجوهري بالنسبة إلي كان دائماً أن أكسب مايكفيني لأعيش. وماأحصل عليه الآن يكفيني. فراتبي جيد. ولست أطلب المزيد. حتى في هذا الوقت بالذات، حيث عليّ أن

أغطي نفقات الشقة الاضافية. كما أنني أظن بأني سأحصل عندما أتقاعد على دخل اضافي ضئيل (نحو مئة بيزو) لأن مكافآت الأعياد قد رفعت متوسط راتبي بشكل جيد في السنوات الخمس الأخيرة، ثم إنه لن تكون هناك حسومات من الراتب بعد التقاعد. وعلي بالطبع أن أواجه انخفاض قيمة النقد، وهي النتيجة المؤكدة للتضخم. إن التهديد حقيقي، ولكن لدي دائماً امكانية العمل بين حين وآخر في مراجعة حسابات شبه سرية. ولكن ابيبانيدا تبدي حججاً أخرى أكثر عاطفية، وأقل علاقة بالنقود من هذه الحسابات المستقبلية الصماء: «إذا لم تكن موجوداً هناك، فسيصبح المكتب مكاناً لايطاق». هذا أفضل. وهي لن تقنعني بهذا الأسلوب أيضاً، لأني أفكر في مشروع آخر: أن تترك العمل هي أيضاً عندما أتقاعد. راتبي التقاعدي يكفينا نحن الاثنين. ثم إن نفقاتنا متواضعة جداً. فمتعنا، لأسباب واضحة، هي بيتية بالكامل. قد نذهب يوماً إلى السينما، أو إلى مطعم، أو إلى كافتيريا. وقد نخرج في يوم أحد، بارد ومشمس، لنتمشى على ضفة النهر، ولنتنفس بشكل أفضل. قد نشتري كتاباً أو اسطوانة، ولكن متعتنا الأولى هي الحديث، الحديث عن نفسينا، الاحاطة بكل تفاصيل تلك المنطقة من حياتنا السابقة لعلاقتنا. وليس هناك متعة أو استعراض قادر على التعويض عن المتعة التي نشعر بها ونحن نمارس هذه الصراحة. وقد بدأنا نحصل على قدر أكبر من التسلية. لأنه لابد للمرء من أن يعتاد على الصراحة أولاً. فبعد تلك السنوات الطويلة التي أمضاها آنيبال في الخارج، ومع كل مشاكل التواصل في علاقتني بأبنائي، ومع الحياء الدفاعي الذي احتفظت به دوماً في مقارباتي الصحية لنساء جديدات لايتكررن مطلقاً، رحت أفقد عادة الصراحة شيئاً فشيئاً. وربما كنت أمارسها بيني وبين نفسي بصورة متفرقة. وأقول هذا الآن لأنني، أثناء أحاديثي الصريحة مع ابيبانيدا، أجد نفسي أحياناً وأنا أنطق كلمات تبدو لي أكثر صراحة من تفكيري نفسه. أيكون ذلك ممكناً؟

الأحد ٤ آب

فتحت صباح هذا اليوم أحد أدراج الخزانة الصغيرة، فتبعثرت على الأرض كمية لم أكن أتصور وجودها من الصور والقصاصات والرسائل والايصالات والملاحظات. ورأيت بينها ورقة ذات لون غير محدد (ربما كانت خضراء في الأصل، ولكن فيها بقعاً قاتمة الآن، من الحبر الذي تمدد بفعل رطوبة قديمة ثم جف ثانية إلى الأبد) ولم أكن قد تذكرت وجودها مطلقاً، ولكنني ماأن رأيتها حتى تعرفت فيها على رسالة ايزابيل. فالرسائل التي تبادلتها مع ايزابيل قليلة. والحقيقة أنه لم يكن ثمة سبب لتبادل الرسائل، لأننا لم نكن نفترق لأوقات طويلة. وقد كانت الرسالة مؤرخة في تاكواريمبو، يوم ١٧ تشرين الأول ١٩٣٥. لقد أحسست بشيء من الغربة وأنا أنظر إلى تلك الحروف النحيلة، ذات النهايات الطويلة والمتقنة، والتي يمكن التعرف من خلالها على شخص بذاته، وعلى عصر بذاته أيضاً. كان واضحاً أنها لم تكتب بقلم حبر، وإنما بريشة كتابة من تلك التي لم يكن المرء يحسن اجبارها على الكتابة، وكانت تعرف كيف تخرج صريراً أصم وتبصق فيما حولها بقعاً صغيرة تكاد تكون غير مرئية من الحبر البنفسجي. عليّ أن أنسخ الرسالة في هذا الدفتر. عليّ أن أنسخها لأنها جزء من ذاتي، من تاريخي الذي لايمكن تبديله. لقد وجهت إلي في مناسبة خاصة جداً، وقد تسببت اعادة قراءتها في بلبلة تفكيري بعض الشيء، وجعلتني أرتاب ببعض الأمور، بل أقول إنها أثارت شجوني كذلك. وهي كما يلي: «حبيبي: لقد وصلت هنا منذ ثلاثة أسابيع. ترجم ذلك: ثلاثة أسابيع وأنا أنام وحيدة. ألا ترى ذلك رهيباً؟ أنت تعلم أنني استيقظ ليلاً وأشعر بحاجة ماسة لملامستك، للشعور بك إلى جانبي. لاأعرف ماهو المريح في ذلك، ولكن معرفتني أنك إلى جواري وأنا نائمة، يجعلني أشعر بأني في حمايتك. إنني أرى كوابيس مخيفة هذه الأيام، ولكنني لاأرى مسوخاً في كوابيس. إنها تتلخص في أنني أحلم بأني وحيدة في السرير، بدونك. وعندما استيقظ وأزيح الكابوس بعيداً، أجد نفسي وحدي فعلاً في السرير، بدونك. والفرق الوحيد هو أنني

أعجز في الحلم عن البكاء، ولكنني في اليقظة أبكي. لماذا يحدث لي هذا؟ أعرف أنك موجودفي مونتيفيدو، وأعرف أنك تعتني بنفسك، وأعرف أنك تفكر بي. ألا تفكر بي؟ استيبان والصغيرة بحالة جيدة، بالرغم من أن عمتك زولما تبالغ في تدليلهما. ضع في اعتبارك أن الطفلة، عندما نعود، لن تتركنا ننام بضع ليالٍ. رباه، متى تأتي هذه الليالي؟ لدي خبر جديد، هل تعرف ماهو؟ إنني حامل مرة أخرى. أمر فظيع أن أخبرك هذا الخبر ولاأتلقى منك قبلة. أم إن الأمر ليس فظيعاً إلى هذا الحد بالنسبة إليك؟ سيكون المولود ذكراً، وسنسميه خيمي، فأنا أحب الأسماء التي تبدأ بحرف «خ». إنني خائفة قليلاً هذه المرة، ولست أعرف السبب. وإذا مامتُ؟ أجبني بسرعة وقل لي أنني لن أموت. هل فكرت بما ستفعله إذا مامتُ؟ أنت شجاع، وتستطيع الدفاع عن نفسك وحيداً؛ ثم إنك ستجد امرأة أخرى على الفور، وهاأنذا أشعر منذ الآن بغيرة مرعبة منها. أرأيت كم أنا عصابية؟ إنني تعسة جداً لأنك لست معي هنا، أو لأنني لست معك هناك، لافرق. لاتضحك؛ فأنت تضحك دائماً من كل شيء، وحتى عندما لايكون في الأمر أي ظرافة. لاتضحك، ولاتكن خبيثاً. أكتب إلي قائلاً إنني لن أموت. لأني سأبقى في شوق إليك حتى وأنا روح محزونة بعد الممات. آه، قبل أن أنسى: اتصل هاتفياً بماروخا لتذكرها بأن يوم ٢٢ هو عيد ميلاد دورا. واطلب منها أن تنقل إليها التهنئة باسمي وباسمها. ألم يصبح البيت قذراً؟ وهل جاءت الفتاة التي أخبرتني عنها سيليا لتنظيفه؟ حذار من اطالة النظر إليها، أية؟ العمة زولما سعيدة بوجود الصغيرين هنا. أما عن إدواردو فلن أقول شيئاً. . . كلاهما يرويان لي قصصاً عظيمة عنك، عندما كان عمرك عشر سنوات وكنت تأتي لقضاء العطلة هنا. يبدو أنك كنت مشهوراً باجاباتك عن كل شيء. العم ادواردو يقول إنك كنت فتىً رائعاً، وأنا أظن أنك ماتزال فتىً رائعاً، حتى عندما ترجع متعباً من المكتب، وفي عينيك بعض الحقد، وتعاملني بخفة، وأحياناً بغضب. ولكننا نقضي وقتاً ممتعاً بعد ذلك في الليل، أليس كذلك؟

منذ ثلاثة أيام والمطر يهطل. إنني أجلس إلى جانب شرفة الصالة وأتطلع إلى الشارع. ولكن لاأحد يمر في الشارع. عندما ينام الأطفال، أذهب إلى مكتب العم ادواردو واتسلى بالقراءة في المعجم الاسبانو - اميركي. فتزداد ثقافتي وسأمي بشكل ملحوظ. أيكون المولود طفلاً أم طفلة؟ إذا كان طفلة، فلك أن تختار الاسم، بشرط ألايكون لينور. ولكن لا، سيكون ذكراً وسنسميه خيمي، وسيكون له وجه طويل مثل وجهك، وسيكون قبيحاً، وسيحرز نجاحات باهرة في علاقاته مع النساء. تأمل، إنني أحب الأولاد، أحبهم كثيراً، ولكن أكثر ماأحبه فيهم هو أن يكونوا أولادك. إن المطر يهطل بغزارة جنونية على حجارة الشارع. سأجرب أن ألعب لعبة الورق التي يلعبها شخص واحد بتقسيم ورق اللعب إلى خمس حزم، إنها اللعبة التي علمتني إياها دورا، هل تذكرها؟ فاذا انفتح ورق اللعب حتى النهاية، فلن أموت أثناء الولادة. من تحبك، تحبك، تحبك... ايزابيل.

ملاحظة لاحقة: لقد انفتح ورق اللعب حتى النهاية! هورا!». كم يبدو حماسها هذا أعزل الآن، بعد انقضاء اثنتين وعشرين سنة. ومع ذلك، فقد كان حماساً حقيقياً، نزيهاً، صحيحاً. الغريب هو أنني عندما أعدت قراءة هذه الرسالة، عثرت مجدداً على وجه ايزابيل. هذا الوجه الذي مازال، على الرغم من نسياني، موجوداً في ذاكرتي. لقد وجدته من خلال كلمات «أنت» و «يمكنك» و«لديك» التي توجهها إلى دون تكلف. لأن ايزابيل لم تكن تستخدم في كلامها صيغة «حضرتك» على الاطلاق. ولم تكن تفعل ذلك نتيجة قناعات خاصة، وانما مجرد عادة، وربما هوى. قرأت كلمات «أنت»، واستطعت في الحال أن أعيد تشكيل الفم الذي كان ينطقها. وقد كان فم ايزابيل هو أهم شيء في وجهها. إن رسالة ايزابيل مثلها: لاذعة بعض الشيء، وبها تردد ثابت مابين التفاؤل والتشاؤم وبالعكس، وهي تدور حول الحب في السرير، ومليئة بالمخاوف، ومتقلبة. يالالمسكينة ايزابيل. لقد كان الوليد ذكراً، وسمي خيمي، ولكنها ماتت بحمى النفاس

بعد ساعات من الولادة. لم يكن لخيمي وجه طويل مثل وجهي. وهو ليس قبيحاً بأي حال من الأحوال، أما نجاحاته مع النساء فهي مجرد نبوءة، وهي نبوءة باطلة أيضاً. ياللمسكينة ايزابيل. كانت تظن أنها بنجاحها في فتح ورق اللعب حتى نهايته قد اقنعت القدر، بينما هي لم تفعل شيئاً سوى استفزازه. لقد صار كل شيء بعيداً، بعيداً جداً. حتى زوج ايزابيل، الذي أرسلت اليه هذه الرسالة في ١٩٣٥، وهو أنا بالذات، حتى هذا الزوج نفسه صار الآن بعيداً، ولست أدري إذا ماكان بعيداً في الخير أم في الشر. «لاتضحك» تقول ذلك وتعيده. وهي محقة: فقد كنت أضحك في ذلك الحين فوراً، وكانت تستاء من ضحكي. ولم تكن قادرة على كحبح شعورها بالضيق والعدوانية عندما أضحك. وحين كنت أضحك ونحن بين الناس، كانت تنظر إلي بعيني رقيب، مستبقة بذلك التأنيب التالي الذي ستوجهه إلي على انفراد: «أرجوك ألا تضحك، لأن مظهرك يبدو فظيعاً» وعندما ماتت، سقطت الضحكة من فمي. أمضيت نحو سنة محكوماً بثلاثة أشياء: الألم، والعمل، والأولاد. وبعد ذلك عاد إلي التوازن، عاد الثبات، عاد الهدوء. ولكن الضحك لم يعد. حسن، قد أضحك أحياناً بالطبع، ولكن يجب أن يكون ثمة سبب خاص، أو قد أضحك لأني أريد أن أضحك وأنا أعي ذلك، وهذا نادراً مايحدث. أما تلك الضحكة التي كانت من ميزاتي، وكانت ملمحاً ثابتاً من ملامحي، فلم تعد. إنني أفكر أحياناً بأنه من المؤسف أن ايزابيل ليست موجودة لترى جديتي؛ فلابد أنها كانت ستسعد كثيراً بجديتي الحالية. ولكن، لو أن ايزابيل مازالت موجودة معي، ربما لم أكن لأشفى من الضحك. ياللمسكينة ايزابيل. إنني ألاحظ الآن أني كنت قليل الكلام معها. لم أكن أجد أحياناً موضوعاً للحديث؛ والحقيقة أنه لم تكن بيننا مواضيع كثيرة مشتركة، باستثناء الأولاد، والدائنين، والجنس. وهذا الموضوع الأخير لم يكن ضرورياً الحديث عنه. فقد كانت ليالينا بليغة التعبير عنه. أهذا هو الحب؟ لست متأكداً. ولو أن زواجنا لم ينته بعد خمس سنوات فقط، فربما كنا اكتشفنا أن ذلك الأمر ليس إلا عنصراً واحداً من

عناصر الحب. وربما لم نكن سنتأخر كثيراً في اكتشاف ذلك. ولكنه كان العنصر الذي أبقانا متحدين في تلك السنوات الخمس، وقد أبقانا متحدين بقوة. أما مع ابيبانيدا الآن، فالجنس (من جانبي على الأقل) هو عنصر أقل أهمية، وأقل حيوية. فأحاديثنا وتآلفنا أكثر منه أهمية وحيوية بكثير. ولكنني لست واهماً. فأنا الآن في التاسعة والأربعين، وعندما توفيت ايزابيل كنت في الثامنة والعشرين. وأنا واثق تماماً بأنه إذا ماظهرت ايزابيل الآن، وأعني ايزابيل التي كتبت الرسالة من تاكواريمبو عام ١٩٣٥، ايزابيل ذات الشعر الأسود والعينين المتعطشتين والإليتين البارزتين والساقين المصقولين، إذا ظهرت الآن، فانني أكثر من واثق بأني سأقول: «ياللأسف» ، ثم سأمضي لأبحث عن ابيبانيدا.

الأربعاء ٧ آب

هناك عنصر آخر يجب أخذه بعين الاعتبار أمام امكانية احتلالي منصب معاون الوكيل. ربما كان لي الحق في التردد لو لم تكن ابيبانيدا قد دخلت حياتي. أعرف أن البطالة قد تكون مهلكة لبعض الناس؛ وأعرف أن متقاعدين كثيرين لم يستطيعوا العيش بعد هذا الانقطاع المفاجئ عن الروتين. ولكنهم أناس أخذوا بالتصلب والتخشب، وتخلوا عن التفكير بأنفسهم. وأظن أن حالتي مختلفة عنهم. فأنا أفكر بنفسي. ولكن، على الرغم من أني أفكر بنفسي، فانني مازلت أرتاب من البطالة؛ خصوصاً إذا كانت البطالة مجرد حالة أخرى من حالات الوحدة والعزلة كما كان يمكن لها أن تكون في مستقبلي قبل بضعة شهور، قبل أن تظهر ابيبانيدا في حياتي. أما وهي موجودة الآن، فلن تكون هناك وحدة. أعني: عسى ألاتكون فعلي أن أكون أكثر تواضعاً، أكثر تواضعاً؛ ليس أمام الآخرين، فهذا لايهمني، بل على المرء أن يكون أكثر تواضعاً عندما يواجه نفسه ويعترف إليها، عندما يقترب من الحقيقة الأخيرة، وهي قد تكون أشد حسماً من صوت الضمير، لأن

صوت الضمير يصاب بالبحة أو بحالات من الجشة المفاجئة، تجعله غير مسموع في معظم الأحيان. أعرف الآن أن وحدتي كانت شبحاً رهيباً، وأعرف أن مجرد وجود ابيانيدا قد أبعد ذلك الشبح، ولكنني أعرف كذلك أنه لم يمت نهائياً، وأنه يستجمع قواه في أحد الأقبية النجسة، في إحدى ضواحي روتيني. ولهذا السبب، ولهذا السبب وحده، أتنازل عن ثقتي المطلقة بنفسي وأكتفي بالقول: عسى.

الخميس ٨ آب

كم أنا مرتاح. لقد أعطيت ردي بعدم الموافقة. وابتسم الوكيل راضياً لأني لاأحظى باعجابه كمعاون له، ولأن رفضي سيفيده كذلك في اعادة التأكيد على الحجج التي كان قد طرحها دون شك ليعارض ترفيعي. سيقول لمجلس الادارة: «مثلما أخبرتكم من قبل: إنه رجل منتهٍ، رجل لايريد الكفاح. إننا نحتاج في هذا المنصب إلى شخص نشيط، حيوي، جسور، وليس إلى شخص منهوك» وأتخيل الحركة المبتذلة، والمتبجحة والأنانية لابهامه المقرف وهو يقول ذلك. ثم تنتهي القضية. ياللراحة.

الاثنين ١٢ آب

كنا جالسين مساء أمس إلى الطاولة. ولم نكن نفعل شيئاً، حتى ولانتبادل الكلام. وكانت يدي تستند إلى منفضة سجائر لارماد فيها. لقد كنا حزينين: هذا هو ماكناه: حزينين. ولكنه كان حزناً عذباً، أشبه بالسلام. وكانت تنظر إلي، وفجأة حركت شفتيها لتقول كلمة، قالت: «أحبكِ» وعندئذ انتبهت إلى أنها المرة الأولى التي تقول لي ذلك، بل هي المرة الأولى التي تقولها لأحد. لقد كانت ايزابيل تكرر هذه الكلمة عشرين

مرة في الليلة الواحدة. فقد كان تكرارها بالنسبة إليها مثل قبلة أخرى، ومجرد نابض آخر في لعبة الحب. أما ابيبانيدا، فلم تقلها إلا مرة واحدة. . المرة الضرورية. وربما لن تضطر إلى قولها مرة أخرى، لأن هذه الكلمة ليست لعبة: إنها خلاصة وجوهر. لقد أحسست عندئذ بضيق رهيب في صدري، ضيق لم يتأثر به ظاهرياً أي جهاز في جسدي، ولكنه كان خانقاً، لايطاق. ففي أعلى الصدر، قريباً من الحنجرة، حيث يجب أن تكون الروح، أحسست بوجود كتلة خيوط متشابكة. ودمدمت هي قائلة: «لم أقل لك هذه الكلمة حتى الآن، ليس لأني لم أكن أحبك، وإنما لأني كنت أجهل السبب الذي يجعلني أحبك. وقد أصبحت أعرفه الآن» عندئذ صار بامكاني التنفس، وبدا لي أن جرعة الهواء تأتي من معدتي. إنني استطيع التنفس دائماً حين يكون هناك من يشرح لي أمراً. إنه التلذذ أمام السر، المتعة حيال ماهو غير متوقَّع، وهي أحاسيس تعجز قواي المتواضعة عن تحملها أحياناً. ومن حسن الحظ أن هنالك من يشرح الأمور دائماً. «لقد أصبحت أعرف السبب الآن. لست أحبك من أجل وجهك، ولا من أجل سنك، ولا من أجل كلامك، ولا من أجل نواياك. إنني أحبك لأنك من معدن جيد» لم يوجه أحد إلي من قبل مطلقاً مثل هذا الحكم المؤثر، والبسيط، والمنعش. ربما كانت لحظة استثنائية في حياتي، ولكنني أحسست على أي حال بأنني حيّ. فهذا الضيق في الصدر يعني أنني حيّ.

الخميس ١٥ آب

السبت القادم سأبدأ اجازتي الأخيرة. وستكون مقدمة لبطالتي الكبرى النهائية. لم تظهر أي دلائل على وجود خيمي.

الجمعة ١٦ آب

حادث مزعج حقاً. لقد التقيت بآنيبال في حوالي الساعة السابعة والنصف، وبعد أن تحدثنا قليلاً في المقهى، ركبنا الترولیبوس معاً، فالذهاب

في الترولييبوس مناسب له أيضاً، وإن كان سينزل في محطة سابقة للمحطة التي سأنزل فيها. تحدثنا عن النساء، وعن الزواج، وعن الوفاء، الخ. وكان حديثنا عاماً. وكنت أتكلم بصوت منخفض لأني أرتاب دائماً بآذان الناس العابرين. أما أنيبال، فحتى عندما يريد أن يتحدث في الأسرار، يفعل ذلك بصوت جهوري يملأ المكان. لست أذكر عن أية حالة محددة كنا نتحدث.
وكانت تقف في ممر الحافلة إلى جواره امرأة مسنة ذات وجه مربع تضع قبعة مستديرة. وقد لاحظت أنها تتابع مايقوله آنيبال، ولأن ماكان يقوله كان كلاماً مهذباً، برجوازياً صغيراً، وأخلاقياً جداً، فانني لم أهتم كثيراً بشأنها. ومع ذلك، ماإن نزل انيبال واحتلت المرأة العجوز مقعده إلى جانبي، حتى بادرتني قائلة: «عليك ألاتهتم بهذا الشخص الشيطاني» وقبل أن أعبر عن دهشتي بالقول: «ماذا تقولين؟» كانت العجوز قد واصلت كلامها: «إنه شخص شيطاني فعلاً. هؤلاء هم الذي يخربون البيوت. آه منكم أنتم ياذوي البناطيل. وياللسهولة التي تدينون بها النساء! انظر، أستطيع أن أؤكد لك بأن ضياع المرأة يكون وراءه دائماً رجل خسيس، سافل، مهاتر، دفعها أولا إلى أن تفقد الايمان بنفسها» كانت العجوز تتكلم بصوت عال. وبدأت كل الرؤوس تلتفت لترى إلى من يوجه ذلك التوبيخ، فأحسست بأنني أشبه بحشرة. وواصلت العجوز: «إنني من أنصار باتليه[1]، ولكنني مناهضة للطلاق. فالطلاق هو الذي قتل الأسرة. أتعرف أين سينتهي هذا الشخص الشيطاني الذي كان ينصحك؟ آه، أنت لاتعرف. أما أنا فأعرف: هذا الشخص سينتهي إلى السجن أو إلى الانتحار، وهو يحسن صنعاً إن فعل ذلك. لأني أعرف رجالاً يجب احراقهم وهم أحياء» وتصورت آنيبال يشوى في محرقة. وعندئذ فقط استطعت أن أسترد أنفاسي للرد عليها: «أخبريني ياسيدتي، لماذا لاتصمتين؟ مالذي تعرفينه أنت عن المشكلة؟ ماكان يقوله

(١) لويس باتليه (١٨٩٧-١٩٦٤) سياسي من الارغواي، ورئيس الجمهورية في أواخر الأربعينات وبداية الخمسينات(م).

ذلك الشخص هو عكس مافهمته حضرتك تماماً. . . » ولكن العجوز لم تتأثر: «لاحظ كيف كانت الأسر فيما مضى. في ذلك الحين كانت هناك أخلاق. تمر عند الغروب أمام البيوت، فترى الزوج والزوجة والأولاد يجلسون على الرصيف، جميعهم معاً، بوقار وتهذيب. هذه هي السعادة ياسيدي. وليس في محاولة دفع المرأة دائماً إلى الضياع، ودفع المرأة إلى الحياة الخبيثة. لانه لاوجود لامرأة خبيثة في أعماقها. هل تعرف هذا؟» وبينما هي تصرخ بهذه الكلمات وتهز أصبعها أمامي، مالت قبعتها إلى اليسار قليلاً. أعترف بأن تلك الصورة المثالية للسعادة في جلوس الأسرة كلها على الرصيف أمام البيت، لم تؤثر بي كثيراً. «لاتهتم بما قاله لك أيها السيد. اضحك منه فقط، هذا ماعليك أن تفعله» «ولماذا لاتضحكين حضرتك بدلاً من أن تغضبي هكذا؟». وكان الناس قد بدؤوا يعلقون. فكان للعجوز أنصارها؛ وكان لي أنا أنصاري. وعندما أقول «أنا» أعني ذلك العدو المفترض والوهمي الذي كانت العجوز توجه إليه توبيخها. «وتذكر دائماً أنني من أنصار باتليه، ولكنني مناهضة للطلاق» وقبل أن تجدد تلك الدورة المشؤومة، طلبت الإذن منها ونزلت من الحافلة، قبل عشر كوادرات من الموقف الذي كان عليّ أن أنزل فيه.

السبت ١٧ آب

تبادلت الحديث صباح اليوم مع اثنين من أعضاء مجلس الادراة. وكان الحديث حول أمور لاأهمية لها، ولكنهما توصلا مع ذلك إلى افهامي بأنهما يشعران نحوي بازدراء مهذب ومتفهم. أظن بأنهم حين يسترخون في مقاعد مجلس الادارة الفخمة، يشعرون أنهم مطلقو القدرة، أو أنهم قريبون على الأقل من الأولمب، مثلما يمكن لأي روح قذرة وقاتمة أن تشعر. ولابد أنهم يظنون بأنهم قد وصلوا إلى الذروة. فالذروة، في نظر لاعب كرة القدم تعني الوصول يوماً إلى صفوف المنتخب الوطني؛ وهي في نظر العاطفي، العثور يوماً على الصدى الحقيقي لمشاعره في شخص آخر. أما

الذروة بالنسبة لهؤلاء الأشخاص، فهي الوصول إلى الجلوس على ارائك مجلس الادارة، والاحساس بأن مصائر بعض الناس في أيديهم، وايهام أنفسهم بأنهم يحلون ويربطون، وبأنهم مهمون. ولكنني حين كنت أنظر إليهما اليوم، لم أستطع أن أجد في وجهيهما ملامح أحد محدد وإنما ملامح شيء ما. فهم يبدون لي أشياء، وليس أشخاصاً. ولكن، كيف أبدو لهم أنا؟ أحمق، عاجز، تافه تجرأ على رفض عرض مقدم إليه من أولمب. في أحد الأيام، وقبل سنوات طويلة، سمعت أكبرهم سناً يقول: «إن خطأ بعض رجال الأعمال الكبير هو في معاملتهم موظفيهم باعتبارهم كائنات بشرية». لم أنس ولن أنسى مطلقاً هذه الجملة القصيرة، وذلك ببساطة لأنني لاأستطيع أن أغفرها. ولست أقول هذا باسمي الشخصي فقط، وإنما باسم الجنس البشري بأسره. وقد أحسست اليوم برغبة شديدة في قلب تلك الجملة والقول: «إن خطأ بعض الموظفين الكبير هو معاملتهم أرباب عملهم باعتبارهم أشخاصاً». ولكنني قاومت هذه الرغبة. فهم أشخاص. صحيح أنهم لايبدون كذلك، ولكنهم أشخاص. وهم أشخاص يستحقون شفقة كريهة، أكثر أشكال الشفقة شناعة، لأنهم يضفون على أنفسهم في الحقيقة قشرة من الكبرياء، ومظهراً منفراً، ونفاقاً متماسكاً، ولكنهم فارغون تماماً في أعماقهم. إنهم مقرفون وفارغون. وهم يعانون من أرهب أنواع العزلة: عزلة من لا يشعر حتى بوجود نفسه بالذات.

الأحد ١٨ آب

«حدثني عن ايزابيل» وهذه واحدة من محاسن ابيبانيدا: إنها تجعل المرء يكتشف بعض الأشياء، ويتعرف على نفسه بشكل أفضل. فحين يصبح المرء وحيداً لزمن طويل، وحين تمر سنوات وسنوات دون أن يحرضه الحوار المنعش على ايصال هذا التحضر الروحي المتواضع الذي يسمى «الوضوح» إلى أشد مناطق الغريزة ابهاماً، إلى تلك الأراضي البكر فعلاً وغير المرتادة

من الشهوات والأحاسيس والبغضء، وحين تتحول الوحدة إلى روتين، فإن الانسان يفقد حتماً الاحساس بالرعشة، الاحساس بأنه حي. ولكن تأتي ابيبانيدا وتسأل، وأسئلتها تستدعي إلى ذهني أسئلة أخرى كثيرة، وعندئذ أبدأ، مثلما أنا الآن، بالشعور بأنني حي. «حدثني عن ايزابيل» إنه طلب بريء، بسيط، ولكن الحديث عن ايزابيل هو حديث عني، أو أنه كان كذلك. إنه حديث عن أشياء تتعلق بذلك الشخص الذي كنته في زمن ايزابيل. رباه! أي فجاجة تلك التي كنت أرتع فيها! عندما ظهرت ايزابيل في حياتي لم أكن أعرف مالذي أريده، لم أكن أعرف مالذي انتظره منها أو من نفسي. ولم تكن ثمة طريقة للمقارنة، إذ لم يكن لدي نموذج جاهز أعرف من خلاله مقدار السعادة ومقدار التعاسة. وكانت اللحظات الحلوة هي الوسيلة لتحديد ماهية السعادة فيما بعد، واللحظات السيئة كانت الوسيلة لتحديد صيغة التعاسة. هذا يسمى العفوية، ولكن كم كثيرة هي الهاويات التي تقود إليها هذه العفوية. وقد كنت محظوظاً رغم كل شيء. فايزابيل كانت طيبة، وأنا لم أكن أبله. ولم تعترض علاقتنا أية تعقيدات. ولكن، ماالذي كان سيحدث لو أن الزمن استنفد جاذبية الجنس المهددة تلك؟ «حدثني عن ايزابيل» وكانت العبارة دعوة إلى الصراحة. وأنا أعرف المخاطر التي تواجهني. فالغيرة من الماضي قاسية إلى حد مرعب (لاستحالة إظهار الغضب، وغياب التحدي، وانعدام المنافسة) ومع ذلك، كنت صريحاً. تحدثت عن ايزابيل في أمور كانت لها حقاً، ولي أيضاً. لم أخترع ايزابيل أخرى تتيح لي أن أبدو أكثر جاذبية أمام ابيبانيدا. لقد كان لدي الدافع لعمل ذلك طبعاً، فالمرء يجب أن يبدو دائماً في موقع جيد، وعندما يصل إلى الجيد فانه يسعى إلى ماهو أفضل منه أمام من يحب، أمام من يريد إظهار محاسنه له ليكون محبوباً لديه. لم أخترعها؛ أولاً، لأني أعتقد بأن ابيبانيدا جديرة بمعرفة الحقيقية؛ وثانياً، لأني أنا أيضاً جدير بذلك، فقد أنهكني التكلف (والانهاك في هذه الحالة هو شيء أقرب إلى القرف)، وعندما أقول التكلف، أعني ذلك التكلف الذي يضعه أحدنا مثل قناع على وجهه القديم

الحساس. ولهذا لم أفاجأ بأنه كلما كانت ابيبانيدا تتعمق في معرفة كيف كانت ايزابيل، كنت أتعمق في معرفة كيف كنت أنا نفسي.

الاثنين ١٩ آب

بدأت اليوم اجازتي الأخيرة. لقد هطل المطر طوال النهار. وقد أمضيت فترة مابعد الظهر كلها في الشقة. وأثناء ذلك استبدلت مأخذين كهربائيين كانا معطوبين، ودهنت خزانة صغيرة، وغسلت قميصين من النايلون. في السابعة والنصف جاءت ابيبانيدا، ولكنها بقيت حتى الثامنة فقط. فقد كان عليها أن تذهب إلى حفلة عيد ميلاد خالة لها. قالت إن مونيوث الذي حلّ مكاني في العمل، لايطاق لكثرة أوامره وطلباته، وقد تشاجر مع روبليدو.

الثلاثاء ٢٠ آب

لقد مضى شهر على مغادرة خيمي البيت. وسواء أكنت أفكر في الأمر أم لا، فإن المشكلة ترافقني دائماً. ليتني استطعت التحدث إليه ولو مرة واحدة!

الأربعاء ٢١ آب

أمضيت اليوم في البيت، وقرأت لساعات طويلة، لكنني لم أقرأ سوى مجلات. لاأريد تكرار ذلك. فقراءه المجلات تسبب لي احساساً فظيعاً بتبديد الوقت، وأشعر كما لو أن البلاهة تخدر عقلي.

الخميس ٢٢ آب

أشعر بشيء من الغرابة بعيداً عن المكتب. ربما يكون سبب هذا الشعور هو ادراكي بأن هذه الاجازة ليست البطالة النهائية الحقيقية، وإنها بطالة محدودة، ومهددة بالعودة إلى المكتب ثانية.

الجمعة ٢٣ آب

رغبتُ في عمل مفاجأة لها، فوقفت أنتظرها على مسافة قريبة من المكتب. وفي الساعة السابعة وخمس دقائق، رأيتها قادمة. ولكنها كانت مع روبليدو. لست أدري ماالذي كان يقوله لها روبليدو؛ ولكنها كانت تضحك بانطلاق، وبسعادة حقيقية. منذ متى أصبح روبليدو مسلياً؟ دخلت إلى مقهى قريب وتركتهما يمران. وبعد ذلك مشيت في أثرهما على بعد نحو ثلاثين خطوة منهما. وعندما وصلا إلى شارع انديس افترقا. اتجهت هي نحو شارع سان خوسيه. إنها ذاهبة إلى الشقة بالطبع. ودخلت أنا إلى مقهى شديد القذارة، حيث قدموا لي فنجان قهوة مازالت على حوافه بقايا أحمر شفاه. لم أشربه، ولكنني لم أطالب النادل باستبداله أيضاً. كنت منفعلاً، عصبياً، قلقاً. وكنت ضجراً من نفسي بشكل خاص. ابيبانيدا تضحك مع روبليدو. وماهو السيء في ذلك؟ ابيبانيدا في علاقة انسانية بسيطة، وليس مجرد علاقة مكتب، مع شخص سواي. ابيبانيدا تمشي في الشارع مع رجل شاب، رجل من جيلها، وليس مع رمّة مثلي. ابيبانيدا بعيدة عني، ابيبانيدا تعيش لنفسها. لاشيء سيء في هذا كله بالطبع. وربما كان سبب احساسي بفظاعة الأمر هو أنها المرة الأولى التي ألاحظ فيها بشكل واعٍ أنه يمكن لابيبانيدا أن تعيش وتتصرف وتضحك دون حاجة إلى حمايتي (ولاأقول محبتي). أعرف أن حديثها مع روبليدو كان بريئاً. أو قد لايكون كذلك. لأن روبليدو لايعرف أنها مرتبطة. كم أشعر بالحماقة والتكلف والابتذال وأنا أكتب «إنها مرتبطة» مرتبطة بأي شيء؟ قد يكون جوهر قلقي هو ادراكي أنها تشعر براحة أكبر وهي مع أناس شباب، وخصوصاً مع رجل شاب. وهناك مسألة أخرى تؤرقني. فهذا الذي رأيته ليس بالشيء المهم، ولكن ما بدأت أعيه هو خطر خسارتي لكل شيء فروبليدو ليس مهماً، إنه في نهاية المطاف شخص تافه لن يشد اهتمامها بأي شكل، اللهم إلا إذا كنت لاأعرف حقيقتها على الاطلاق. حسن. هل سأعرفها؟ ليس روبليدو بالشخص

المهم. ولكن، ماذا عن الآخرين، جميع الآخرين في الدنيا؟ إذا كان رجل شاب قادر على جعلها تضحك، فكم هم الذين يستطيعون ايقاعها في حبهم؟ إذا مافقدتني يوماً (عدوتها الوحيدة التي ستجعلها تفقدني هي المنية. المنية. المنية الخبيثة التي حددت ميقاتاً لكل واحد منا)، ستكون حياتها بالكامل عندئذ ملكاً لها، وسيكون الزمن ملك يديها، وكذلك قلبها الذي سيبقى فتياً، وسخياً، ورائعاً. أما إذا فقدتها أنا يوماً (عدوي الوحيد الذي سيجعلني أفقدها هو الرجل، الرجل الشاب والقوي والواعد) فانني سأفقد معها فرصتي الأخيرة في الحياة، وسأفقد آخر أنفاس الزمن، لأن قلبي الذي يشعر الآن بالسخاء، والسعادة، والتجدد، سيصبح من دونها قلباً هرماً إلى الأبد.

ودفعت ثمن القهوة التي لم أتناولها وتمشيت باتجاه الشقة. كنت أحمل في أعماقي خوفاً مخجلاً من صمتها، خصوصاً وأني أعرف مسبقاً أنها لن تقول شيئاً، وأني لن أتقصى، ولن أسأل، ولن أؤنب. سأكتفي بابتلاع مرارتي وحسب، وستبدأ بكل تأكيد مرحلة من العواصف والمشاحنات الصغيرة التي لن تخفف عني. ولدي ريبة خاصة تجاه فتراتي الرمادية. أظن أن يدي ارتعشت حين أدرت المفتاح في القفل. وسمعتها تصيح من المطبخ «لماذا تأخرت كثيراً؟ كنت أنتظر قدومك لأروي لك آخر حماقات روبليدو، ياله من شخص! منذ سنوات لم أضحك مثلما ضحكت اليوم». وجاءت إلى غرفة المعيشة بمريلة المطبخ، وتنورتها الخضراء، وعينيها النقيتين الدافئتين والصريحتين. لم تكن تعرف الوضع الذي انتشلتني منه بتلك الكلمات. جذبتها نحوي، وبينما كنت أعانقها وأتشمم رائحة ذراعيها الحيوانية المحببة من خلال رائحة الصوف العالمية، أحسست بأن الدنيا قد عادت إلى الدوران، وأنني قادر على تجاهل المستقبل البعيد، المستقبل الذي لم يتحدد بعد، وتجاهل ذلك الخطر الذي أسميته: ابيبانيدا والآخرين. وقلت بتمهل وانتشاء: «ابيبانيدا وأنا». ولم تدرك هي سبب تلفظي بهذه

الكلمات الثلاث في هذه اللحظة بالذات، ولكن حدساً غامضاً جعلها تدرك أن هناك شيئاً مهماً يحدث. فابتعدت عني قليلاً، دون أن تفلتني تماماً، وطلبت مني: «قلْ ذلك مرة أخرى». فكررت طائعاً: «ابيبانيدا وأنا». إنني الآن وحدي، بعد أن عدت إلى البيت، والساعة الآن هي الثانية فجراً تقريباً، ومازلت أكرر بين الحين والآخر: «ابيبانيدا وأنا»، لمجرد أن ذلك يمنحني القوة والنشاط ويجعلني أكثر ثباتاً.

السبت ٢٤ آب

نادرة هي المرات التي أفكر فيها بالرب. ومع ذلك، لدي خلفية دينية، قلق ديني. أرغب في اقناع نفسي بأنني أملك فعلاً تعريفاً محدداً للرب، مفهوماً للرب. لكنني لاأملك شيئاً من هذا القبيل. نادرة هي المرات التي أكفر فيها بالرب، لأن المسألة وبكل بساطة تفوقني قوة وتسلطاً، وتثير بي نوعاً من الرهبة، وتبدد مالدي من الوضوح والحجج. «الرب هو المطلق»، هذا ماتردده ابيبانيدا بكثرة. ويقول انيبال: «الرب هو جوهر كل شيء، وهو الذي يحفظ توازن وانسجام كل الأشياء. الرب هو التكامل العظيم». وأنا قادر على فهم هذا التعريف أو ذاك، ولكن أياً منهما ليس **تعريفي الخاص**. قد يكونا مصيبين، لكن هذا الذي يقولانه لايمثل الرب الذي أحتاج إليه، فأنا أحتاج إلى رب أستطيع التحاور معه، رب أجد فيه الحماية، رب يستجيب لي عندما أسأله، عندما أنهال عليه بوابل شكوكي. فإذا كان الرب هو المطلق، وهو التكامل التام، وإذا كان الرب هو الطاقة التي تحفظ الكون حياً، وإذا كان شيئاً لانهائياً إلى هذا الحد، فماهي أهميتي عنده أنا الذرة التي لاتعدو أن تكون قملة تافهة في مملكته؟ لاأرغب في أن أكون مجرد ذرة في مملكته، مايهمني هو رب يكون في متناول يدي، أستطيع الامساك به، ليس بيدي طبعاً، ولاحتى بتفكيري. مايهمني هو أن أستطيع الامساك به بقلبي.

الأحد ٢٥ آب

جاءت بصور لطفولتها، لأسرتها، لعالمها. وهذا دليل على الحب، أليس كذلك؟ لقد كانت طفلة نحيلة، في عينيها شيء من الذعر، وشعرها قاتم وسبط. إنها ابنة وحيدة. وأنا ابن وحيد كذلك. وليس هذا بالوضع السهل، لأن المرء ينتهي إلى الشعور بفقدان الحماية. هنالك صورة بديعة تظهر فيها مع كلب بوليسي ضخم، والحيوان ينظر إليها نظرة الحامي. يبدو لي أن الجميع كانوا يرغبون دائماً في حمايتها. ومع ذلك، فهي ليست عزلاء إلى هذا الحد، إنها واثقة مما تريده. ويعجبني أنها واثقة. إنها واثقة من أن العمل يسبب لها الاختناق، ومن أنها لن تنتحر مطلقاً، ومن أن الماركسية هي خطأ كبير، ومن أنني أعجبها، ومن أن الموت ليس نهاية كل شيء، ومن أن أبويها عظيمين، ومن أن الرب موجود، ومن أن الناس الذين تثق بهم لن يخذلوها أبداً. أنا لاأستطيع أن أكون حاسماً إلى هذا الحد. ولكن أفضل مافي ذلك كله هو أنها لاتخطئ. فثقتها تؤمن لها حتى اخافة القدر. هناك صورة لها مع والديها وهي في الثانية عشرة من عمرها. انطلاقاً من هذه الصورة يمكنني أنا أيضاً أن أكوّن انطباعاتي عن شخصية هذين الزوجين الفريدين المنسجمين، والمختلفين عن الآخرين. الزوجة امرأة ناعمة التقاطيع، ذات أنف دقيق، وشعر أسود، وبشرة شديدة البياض، على خدها الأيسر شامتان. لها عينان صافيتان، ربما إنهما شديدتا الصفاء، وربما إنهما غير ملتزمتين تماماً بالمشهد الذي تريانه، وربما تعيشانه. ولكنهما تبدوان لي قادرتين على فهم كل شيء. والزوج رجل طويل القامة، كتفاه أقرب إلى الضيق، وله بداية صلعة آخذة بالقضاء على شعره منذ ذلك الحين. شفتاه رقيقتان جداً وذقنه حادة جداً كذلك، ولكنها ليست عدوانية بأي حال من الأحوال. إنني شديد الاهتمام بعيون الناس. وفي عينيه شيء من عدم التوازن، وهو ليس عدم توازن ناتج عن سهو أو ذهول، وإنما عن عدم اكتراث. إنهما عينا شخص فوجئ بالدنيا لمجرد وجوده فيها. وكلاهما (كما

يظهر من وجهيهما)طيب، ولكنني أعجبت بطيبتها أكثر من اعجابي بطيبته. الأب رجل رائع، ولكنه لايستطيع التواصل مع العالم، ولايمكن معرفة ماقد يحدث له يوم يتمكن من اقامة هذا التواصل. وتقول ابيبانيدا: «إن كل منهما يحب الآخر. أنا واثقة من ذلك، ولكنني لاأعرف إذا كان هذا النوع من الحب هو الذي يعجبني». وتهز رأسها لتؤكد شكوكها، ثم تتحمس لتصنيف: «فيما يتعلق بالمشاعر هنالك مجموعة من المناطق المتجاورة والمتشابهة التي لايمكن التمييز الدقيق بينها. فهناك الحب، والثقة، والشفقة، والرفاقية، والحنان؛ وأنا لاأعرف على وجه التحديد إلى أي منطقة من هذه المناطق تستند علاقة أبي وأمي. من الصعب تحديد ذلك، ولاأظنهما قد تمكنا هما نفسيهما من تحديد ذلك. لقد لمّحت إلى الموضوع أثناء تبادل الحديث مع أمي في بعض المناسبات. وهي تعتقد أن هناك قدراً كبيراً من الصفاء في علاقتها بأبي، وأن هناك قدراً كبيراً من التوازن الذي يكفي لايجاد الحب فعلاً. إن هذا الصفاء، وهذا التوازن اللذين يمكن القول أنهما نقص في العاطفة كذلك، ماكان بالامكان تحملهما لو أنه كان لدى أبي وأمي شيئاً يتبادلان اللوم بشأنه. ولكن لاوجود فيما بينهما للوم أو لما يستحق اللوم. وهما يعرفان أنهما طيبان، وشريفان، وكريمان؛ ويعرفان كذلك أن هذا كله، بالرغم من عظمته، لايعني الحب، ولايعني أنهما يكتويان بهذه النار. إنهم لايكتويان، ولهذا فإن مايجمعهما يدوم طويلاً». «وماذا بشأنك وشأني؟ أنحن نكتوي؟» سألتها ذلك، ولكنها كانت ساهية في تلك اللحظة بالذات، وكانت نظرتها كذلك تبدو كنظرة شخص فوجئ بالدنيا لمجرد وجوده فيها.

الاثنين ٢٦ آب

أخبرتُ استيبان بأمر علاقتي مع ابيبانيدا. كانت بلانكا قد خرجت لتناول الغداء مع دييغو، وهكذا أمضيت أنا واستيبان الظهيرة وحدنا. لقد

أحسست براحة عظيمة حين قال لي إنه قد علم بالأمر. فقد أخبره خيمي بذلك. «أنظر ياأبي، أنا لاأستطيع أن أفهمك تماماً، ولاأظن كذلك بأن أفضل الحلول هو في اتحادك مع فتاة تصغرك بسنوات كثيرة. ولكن هنالك شيء مؤكد؛ وهو أنني لاأتجرأ على محاكمتك. أعرف أن المرء حين ينظر إلى الأمور من بعيد، ولايكون غارقاً فيها، يصبح من اليسير عليه أن يقول ماهو الخطأ وماهو الصحيح. أما عندما يكون المرء غارقاً حتى أذنيه في المشكلة (وقد حدث لي ذلك مرات كثيرة)، فان الأمر يختلف، والتوتر يختلف، وتبرز قناعات عميقة، وتضحيات لامفر منها، وتنازلات قد تبدو غير مفهومة بالنسبة لمن يراقب الموقف وحسب. أتمنى لك السعادة، ولاأقصد السعادة بمعناها السطحي العابر، وإنما السعادة الحقة. وأتمنى لك الاحساس بأنك حامٍ ومحمي، لأن الشعور بالحماية هو من أجمل المشاعر التي يرغبها الكائن البشري. إنني أذكر القليل جداً عن أمي. وماأتذكره منها في الواقع هو صورة حقيقية طغت عليها الصور والذكريات التي قدمها إليّ الآخرون، حتى أنني لم أعد أعرف أي تلك الذكريات هي ذكرياتي الخاصة. اللهم إلا صورة واحدة: صورتها وهي تسرح شعرها في غرفة النوم، بينما شعرها القاتم الطويل يتدلى على ظهرها. إن ذكرياتي عن أمي، كما ترى، ليست كبيرة. ولكنني مع مرور السنوات أخذت أعتاد على اعتبارها شيئاً مثالياً، شيئاً شبه سرمدي لايمكن ادراكه. لقد كانت باهرة الجمال، أليس هذا صحيحاً؟ أفهم أن ذكرياتي هذه لاتمثل ماكانت أمي في الواقع. ومع ذلك، هذه هي صورتها بالنسبة إليّ. ولهذا السبب بالذات، أحسست بنوع من الصدمة عندما قال لي خيمي إنك تصاحب فتاة شابة. لقد صدمني ذلك، ولكنني أتقبله، لأني أعرف أنك كنت تشعر بوحدة شديدة. وقد ازداد ادراكي للأمر الآن، لأني بدأت بمتابعة تحولاتك ورأيت أنك تنبعث من جديد. إنني لاأحاكمك، لايمكنني أن أحاكمك؛ بل أنني أمضي إلى ماهو

أبعد من ذلك وأقول لك أنه ليسعدني جداً أن تكون قد أصبت في اختيارك وأن تدنو من حسن الطالع قدر المستطاع».

الثلاثاء ٢٧ آب

برد وشمس. شمس شتائية، وهي أكثر الشموس مودة ورفقاً. ذهبت إلى ساحة ماتريث، وجلست على أحد المقاعد بعد أن وضعت جريدة فوق ذرق الحمام الذي يغطي المقعد. كان هناك قبالتي عامل تنظيفات تابع للبلدية ينظف العشب. كان يفعل ذلك برصانة وكأنه فوق كل الدوافع. كيف سيكون شعوري لو أنني كنت عاملاً لدى البلدية أنظف العشب؟ لا، هذه ليست المهنة التي تستهويني. لو أنني أستطيع اختيار مهنة أخرى غير مهنتي، روتين آخر غير الذي استهلكني طوال ثلاثين سنة، فانني سأختار أن أكون نادلاً في مقهى. وسأكون نادلاً فعالاً، قوي الذاكرة ومثالياً. كنت سأبحث عن علاقات ذهنية لكي لاأنسى أي طلب من طلبات الجميع. لابد أنه سيكون من الرائع العمل دائماً مع وجوه جديدة، التحدث بحرية مع شخص يأتي اليوم، فيطلب قهوة، ثم لايرجع مرة أخرى على الاطلاق. إن الناس مهيبون، مسلّون، قديرون. ومما لاشك فيه أنه من الرائع العمل مع الناس بدلاً من العمل مع الأرقام، ومع دفاتر الحسابات، ومع الاستمارات. فحتى لو سافرت، حتى لو ذهبت من هنا وأتيحت لي الفرصة للمفاجأة بمناظر ونصب تذكارية ودروب وأعمال فنية فإن شيئاً لن يبهرني مثل الناس، مثل رؤية مرور الناس وتفحص وجوههم، والتعرف هنا وهناك على امارات السعادة والمرارة، رؤيتهم كيف يمضون مسرعين إلى مقاصدهم، في اضطراب نهم، بتعجل رائع، والتمعن في كيفية تقدمهم وهم غير مدركين قصورهم، وتفاهة قيمتهم، وحياتهم دون احتياطات، دون أن يشعروا مطلقاً بأنهم محاصرون، دون أن يقتنعوا بأنهم مزروبون. أعتقد أنني لم أنتبه مطلقاً، حتى الآن، إلى وجود ساحة ماتريث. لابد أنني اجتزتها ألف مرة، وربما أنني لعنت في مناسبات عديدة أخرى الالتفاف الذي لابد منه

للدوران حول النافورة. لقد رأيتها من قبل، رأيتها بالطبع، ولكنني لم أتوقف للتعمن فيها، للاحساس بها، لاستخراج طابعها والتعرف عليه. وقفت لوقت لابأس به أتأمل الروح العدوانية الراسخة في مبنى المجلس الاداري، ووجه الكتدرائية المغسول بنفاق، وتمايل الأشجار المتهالك. أظن أن قناعة حاسمة قد ترسخت لدي في تلك اللحظة: أنا من هذا المكان، من هذه المدينة. وأظن أنني في هذا الأمر (وربما ليس في أي أمر آخر سواه) يجب أن أكون جبرياً. فكل انسان ينتمي إلى مكان واحد فقط من الأرض، وعليه أن يدفع فيه حصته. أنا من هنا. وهنا أدفع حصتي. هذا الشخص الذي يمر (ذو المعطف الطويل، والأذن البارزة، والعرج النزق) هو مثيلي. إنه مازال يجهل أنني موجود ولكنه سيراني يوماً من الأمام أو من الجانب أو من الخلف، وسيشعر بأن ثمة شيئاً سرياً فيما بيننا، رابطة خفية تجمعنا وتعطينا القوة للتفاهم فيما بيننا. أو ربما لن يصل ذلك اليوم مطلقاً، ربما لن يمعن النظر مطلقاً في هذه الساحة، في هذا الهواء الذي يجعلنا أقرباء، الذي يساوي فيما بيننا، الذي يقيم تواصلاً فيما بيننا. ولكن، لاأهمية لذلك، فهو مثيلي على أي حال.

الأربعاء ٢٨ آب

لم يبق سوى أربعة أيام من اجازتي. لست مشتاقاً إلى المكتب، إنني مشتاق إلى ابيبانيدا. اليوم ذهبت إلى السينما وحدي. رأيت فيلم كاوبوي. لقد استمتعت حتى منتصف الفيلم؛ ولكنني ضجرت بعد ذلك من نفسي، من صبري بالذات.

الخميس ٢٩ آب

طلبت من ابيبانيدا أن تتغيب عن المكتب. أنا رئيسها، وقد سمحت لها بذلك وكفى. لقد أمضت اليوم كله معي في الشقة. إنني أتصور ورطة

مونيوث وقد تغيب اثنان من القسم وأصبحت المسؤولية كلها ملقاة على عاتقه. لست أتصور ذلك فقط، بل أتفهمه أيضاً. ولكن هذا غير مهم. إنني في سن يبدو أن الوقت فيها لايُسترد، وهو لايسترد فعلاً. يجب عليّ أن أتشبث بيأس بهذه السعادة المعقولة التي جاءت تبحث عني ووجدتني. ولهذا لايمكنني أن أكون شهماً، كريماً. لايمكنني أن أصرف وقتي بالتفكير في مشاكل مونيوث قبل أن أفكر في مشاكلي. إن الحياة تمضي، إنها تذهب الآن بالذات، وأنا لاأستطيع تحمل هذا الاحساس بتسربها، بنفادها، بانتهائها. هذا اليوم مع ابيبانيدا ليس الأبدية، إنه يوم فقط، مجرد يوم بائس محدود. إنه ليس الأبدية، ولكنه البرهة التي تشكل، رغم كل شيء، المعادل الوحيد الحقيقي. ولهذا، عليّ أن أضغط قبضتي، أن أنفق هذا الكمال دون تحفظ، ودون أي احتياطات. ربما تأتي بعد ذلك البطالة الحاسمة، البطالة المأمونة، ربما تكون هناك بعد ذلك أيام كثيرة مثل هذا اليوم، وقد أفكر عندئذ بهذه اللهفة، بهذا التعجل على أنه استنزاف مضحك. ربما، فقط ربما. ولكن هذه الـ«حتى ذلك الحين» تحمل الراحةَ، والضمان لما هو موجود، لما يحدث فعلاً.

الجو بارد. لقد أمضت ابيبانيدا النهار كله بكنزة وبنطلون. وهكذا، كانت تبدو بشعرها المعقود وكأنها فتى. قلت لها إن لها وجه صحفي. ولكنها لم تعرني كبير اهتمام. كانت مشغولة بقراءة الأبراج. منذ سنة قرأ لها أحدهم برجها وتنبأ بمستقبلها. ويبدو أن ذلك المستقبل كان يتضمن عملها الحالي، وكان يتضمنني أنا بصورة خاصة. «رجل ناضج، شديد الطيبة، منطفئ بعض الشيء ولكنه ذكي» مارأيك؟ هذا أنا. «وأنتَ مارأيكَ؟ هل يمكن قراءة المستقبل هكذا فقط؟» «لست أدري إذا كان ذلك ممكناً، ولكن قراءة المستقبل تبدو لي كمصيدة. أنا لاأريد أن أعرف مالذي سيحدث لي. سيكون ذلك رهيباً. هل تتصورين كم ستكون الحياة مرعبة إذا عرف أحدنا

متى سيموت؟» «أنا أحب أن أعرف متى سأموت. فلو كان بامكان أحدنا أن يعرف ميعاد موته، فانه سيتمكن من تنظيم ايقاع حياته، سينفق نقوداً أكثر أو أقل حسب الوقت المتبقي له». إن هذا يبدو لي فظيعاً. ولكن نبوءة الأبراج تقول إنه سيكون لابيبانيدا ابنان أو ثلاثة ابناء، وانها ستكون سعيدة، ولكنها ستترمل (باه!)، وإنها ستموت بمرض في جهاز الدورة الدموية بعد تجاوزها الثمانين. أبدت ابيبانيدا قلقاً شديداً على الابنين أو الثلاثة أبناء. «هل ترغب أنت في انجاب أبناء؟» «لست واثقاً تماماً من ذلك». إنها تدرك أن اجابتي هي الحذر مجسداً، ولكنها حين تنظر إلي أعرف أنها ترغب في أن يكون لها أبناء. ابن واحد على الأقل. فأقول: «لاتحزني، إذا أنت حزنت فانني قادر على أن أوصي على توأم». إنها تعرف ماأفكر فيه، فتتألم لهذا، وتتمسك بالنبوءة. «ألا يهمك الترمل، مع أنه ترمل سري؟» «إنه لايهمني، لأن إيماني لايصل إلى ذلك المدى. فأنا أعرف أنك عصي على الموت، وأن النبوءات تمر بجانبك دون أن تلمسك». إنها ليست سوى صبية مستلقية على الأريكة، ساقاها مثنيتان وطرف أنفها أحمر من البرد.

الجمعة ٣٠ آب

خلال الاجازة كنت أكتب يومياً. إن عودتي إلى العمل ترفع من معنوياتي. لقد كانت هذه الاجازة مقدمة مُشَهية لتقاعدي.

لقد تلقت بلانكا اليوم من خيمي رسالة حاقدة وعنيفة. والفقرة التي يخصصها لي تقول: «أخبري العجوز أن جميع غرامياتي كانت أفلاطونية، ولهذا يمكنه أن يدير ظهره ويتنفس باطمئنان كلما جاءه كابوس يظهر فيه شخصي الدنس. هذا في الوقت الحاضر». إن مقدار هذا الحقد مجتمعاً يجعله يبدو غير حقيقي. وأخيراً سأفكر في أن هذا الابن يحبني قليلاً.

السبت ٣١ آب

ابيبانيدا وبلانكا تلتقيان دون علمي. لقد افلتت من بلانكا عبارة قصيرة موحية، ثم انكشف كل شيء. «لم نكن نريد أن نخبرك، لأننا كنا نتعرف على أشياء كثيرة عنك». بدا لي الأمر في البداية مجرد مزحة بائسة، ولكني أحسست بالتأثر فيما بعد. لم أجد بداً من تخيل الفتاتين وهما تتبادلان على التوالي صوراً غير مكتملة حول هذا الشخص البسيط الذي هو أنا. نوع من إعادة تركيب صورة مفتتة. ثمة فضول في هذا الأمر بالطبع. ولكنه ينطوي على محبة أيضاً. لقد أظهرت ابيبانيدا من جانبها احساساً كبيراً بالذنب، وطلبت مني الصفح، وقالت للمرة المئة إن بلانكا كانت رائعة. تروقني صداقتهما من أجلي ومن خلالي وبسببي، ولكنني لاأستطيع التخلص أحياناً من الاحساس بأنني شيء مهم. فالواقع أني شخص مجرب تهتم به فتاتان.

الأحد ١ أيلول

لقد انتهى اللهو. غداً سأذهب إلى المكتب من جديد. إنني أفكر باستمارات البيع، بكآبة مابعد اللهو، باستنساخ الكتب، بدفاتر الشيكات، بصوت الوكيل. . . فتضطرب معدتي.

الاثنين ٢ أيلول

استقبلوني كمنقذ. جميع المشاكل كانت دون حل. يبدو أن مفتشاً قد جاء وافتعل مشكلة حمقاء لاتستحق الاهتمام. مونيوث المسكين كان يغرق في كأس ماء. ووجدت سانتيني أكثر تخنثاً من المعتاد. استقبلني ببعض التملقات التي تحمل قدراً لابأس به من الفضيحة. أهذا أفلاطوني أيضاً؟

يقال إنه نظراً لسلبيتي، سيأتي بمساعد مدير من شركة أخرى. مارتينث مازال يصيح. اليوم، وللمرة الأولى بعد العاصفة، جاءت بالبيردي. إنها تحرك مؤخرتها بحماس جديد بقضية أخرى.

الثلاثاء ٣ أيلول

لقد حدثتني ابيانيدا للمرة الأولى عن خطيبها القديم. كان اسمه انريكي افالوس، وكان يعمل في البلدية. دامت الخطوبة سنة واحدة فقط. سنة بالتمام، منذ نيسان السنة الماضية حتى شهر نيسان من السنة الحالية. «إنه شخص طيب. مازلت أكن له التقدير، لكن...» انتبهت إلى أنني كنت أخشي على الدوام هذا التوضيح، ولكني انتبهت أيضاً إلى أن خشيتي الكبرى كانت من عدم مجيئه. فإذا كانت هي قد تجرأت على فتح الموضوع، فهذا يعني أن الأمر لم يعد يهمها كثيراً. كانت جميع حواسي على أي حال معلقة بتلك الـ«لكن» التي كان لها في مسمعي وقعاً موسيقياً سماوياً. فقد كانت للخطيب السابق مزاياه (سنه، مظهره، وواقع أنه كان السباق) وربما أنه لم يعرف كيف يستفيد من تلك المزايا جيداً. و ابتداء من هذه الـ«لكن» تبدأ مزاياي، وأنا مستعد للاستفادة من هذه المزايا، أي أنني مستعد لحفر الأرض تحت قدمي انريكي افالوس المسكين. لقد علمتني التجربة أن إحدي أكثر الطرق فعالية لهزيمة الخصم في قلب امرأة مترددة، هي في امتداح ذلك الخصم نفسه دون تحفظ، والتحول إلى شخص شديد النبل والتسامح، بصورة تؤثر في المتكلم نفسه. قالت: «الحقيقة انني مازلت أكن له التقدير، ولكني واثقة من أني ماكنت سأشعر بالسعادة، ولو بصورة متوسطة معه». «ولماذا أنت واثقة إلى هذا الحد؟ ألا تقولين أنه شخص طيب؟». «إنه كذلك فعلاً. ولكن هذا غير كاف. ولاأستطيع أن آخذ عليه أيضاً أنه طائش جداً بينما أنا شديدة التروي، لأنني لست متروية إلى الحد الذي يزعجني فيه

جرعة لابأس بها من الطيش، كما أنه ليس طائشاً إلى الحد الذي لايؤثر فيه احساس حقيقي بالتروي. لقد كانت المصاعب من نمط آخر. وأظن أن العائق الذي لاخلاص منه كان يتمثل في كوننا لانشعر بأننا قادران على التواصل. فقد كان يثير حفيظتي؛ وكنت أثير حفيظته. ربما أنه كان يحبني، وكيف لأحدنا أن يعرف ذلك، ولكن الصحيح أنه كانت لديه مهارة خاصة في جرحي» ياللروعة. يجب أن أبذل جهداً كبيراً حتى لاتنفخ السعادة خديّ، ولكي أبدي على وجهي ملامح القلق كمن هو متأسف حقاً لانتهاء كل تلك العلاقة الى الاخفاق. بل وكانت لدي القوة للدفاع عن خصمي: «وهل فكرت أنتِ فيما لو كنت لاتتحملين كذلك جزءاً من الذنب؟ ربما كان يجرحك لأنك، بكل بساطة، كنت تنتظرين منه دوماً أن يجرحك. فالعيش إلى الأبد في حالة دفاعية ليس هو بكل تأكيد الأسلوب الأمثل لتحسين التعايش بين شخصين». عندئذ ابتسمت هي واقتصرت على القول: «معك لن احتاج إلى العيش في حالة دفاعية. إنني أشعر بالسعادة». وقد كان هذا يفوق قدرتي على كبح مشاعري واخفائها. لقد تسرب الرضا من كل مساماتي، واتسعت ابتسامتي من احدى أذني حتى الأخرى، ولم أعد أهتم بالانشغال في أن أدمر نهائياً مابقي من سمعة المسكين انريكي، المهزوم الرائع.

الأربعاء ٤ أيلول

مونيوث، روبليدو، مينديث جميعهم حدثوني بالحاح عن ابيبانيدا، عن مدى جودة عملها خلال فترة اجازتي، وعن اثباتها عملياً بأنها زميلة رائعة. ماالذي حدث؟ كيف تصرفت ابيبانيدا في هذه الأيام لتدفع هؤلاء الأشخاص عديمي الاحساس إلى ابداء انفعالهم وتأثرهم؟ بل إن الوكيل نفسه استدعاني، وأثناء حديثه في أمور أخرى، أفلت هذه العبارة الساهية:

«كيف حال الفتاة التي في قسمك؟ لدي تقارير جيدة عن عملها». نطقت بثناء رصين، وبأكثر النبرات عادية في الدنيا. ولكن ذاك السرطان أضاف قائلاً: «أتدري لماذا أسألك عنها؟ لأني قد أحضرها إلى مكتبي، لتكون سكرتيرةً لدي». ابتسم آلياً، وابتسمت آلياً. وقد كان تحت ابتسامتي، على الأقل، سيل من الشتائم البذيئة.

الخميس ٥ أيلول

أظن أننا كلانا نشعر الشعور نفسه في هذا الشأن. الاحساس بضرورة أن يقول كل منا للآخر كل شيء. أنا أتحدث إليها وكأنني أحدث نفسي، بل وأفضل مما لو كنت أحدث نفسي في الواقع. إن ذلك أشبه بكون ابيبانيه! تشاطرني روحي، وكأنها تقبع في أحد أركان روحي، تنتظر نجواي، وتطلب بوحي. وهي أيضاً تخبرني بدورها بكل شيء. أعرف أنني لو كتبت هذا الكلام في وقت سابق لكنت أضفت إليه «هذا ماأظنه على الأقل»، ولكني لاأستطيع هذا الآن، لأنه وبكل بساطة لن يكون صحيحاً. فأنا أعرف الآن أنها تخبرني بكل شيء.

الجمعة ٦ أيلول

رأيت بيغنالي في المقهى، كان مختبئاً جيداً وراء طاولة في أقصى المحل، ومعه صبية ملفتة للنظر. حياني بايماءة مبالغ فيها، وكأنه يريد أن يؤكد لي أنه قد انطلق للانغماس في المغامرات على مستوى كبير. لقد كان هو ورفيقته يثيران في نفسي من بعيد شيئاً من الأسى. وفجأة وجدت نفسي أفكر: «وماذا بشأني أنا؟» لاشك أن بيغنالي شخص فظ ومدّع وغليظ... ولكن، ماذا عني؟ كيف أبدو بالنسبة لمن ينظر إلي من بعيد؟ قلما أخرج مع

ابيبانيدا، فحياتنا تمضي في المكتب أو في الشقة. إنني أخشى أن تكون مقاومتي للخروج معها تستند قبل كل شيء إلى خشية واعية من الوقوع في موقف سيء. لا، هذا غير ممكن. في لحظة كان بيغنالي يتحدث فيها إلى النادل، رمقته الفتاة بنظرة ازدراء. لايمكن لابيبانيدا أن تتطلع إلي بمثل هذه النظرة.

السبت ٧ ايلول

التقيت مع صديق استيبان. إنه واثق عملياً من احالتي على المعاش خلال أربعة أشهر. هذا أمر مثير للفضول: «كلما اقتربت من البطالة، ازداد نفوري من المكتب واحساسي بأنه مكان لايطاق. أعرف أنه لم يبق لي سوى أربعة أشهر في تدوين القيود ومراجعة الميزانية وجدولة الحسابات والبيانات. ولكنني مستعد لتقديم سنة من حياتي مقابل اختزال هذه الشهور الأربعة إلى الصفر. حسن، لو أنني فكرت في الأمر جيداً فلن أتخلى عن سنة من حياتي، لأن في حياتي الآن ابيبانيدا.

الأحد ٨ ايلول

لقد مارسنا الحب مساء اليوم. فعلنا ذلك عدة مرات، ولكنني لم أسجل عددها مع ذلك. لقد كان يوماً رائعاً. لم أشعر في حياتي مطلقاً بأنني كنت قريباً من المجد مثلما شعرت اليوم. إني أفكر أحياناً في أن ابيبانيدا هي قالب استقر في صدري وراح يوسعه، ويجعله في حالة ملائمة للاستقرار فيه براحة أكبر يوماً بعد يوم. الحقيقة أنني كنت أجهل أن لدي كل هذا الاحتياطي من الحنان. وليس يهمني كون هذه الكلمة بلا سمعة. لدي حنان

وأنا فخور بذلك. فحتى الشهوة تصبح نقية، وحتى أكثر الممارسات التصاقاً بالجنس تصبح شبه طاهرة. ولكن هذا الطهر ليس نفاقاً، ليس تكلفاً، ليس مجرد اشارة إلى الروح. هذا الطهر هو عشق لكل سنتمتر من بشرتها، استنشاق لرائحتها، ذرع بطنها مساماً بعد آخر. إنه الوصول بالشهوة إلى الذروة.

الاثنين ٩ ايلول

أعدوا اليوم في قسم المبيعات خديعة دموية لشخص يدعى مينيندث. إنه فتى ساذج، يؤمن بالخرافات، دخل للعمل في المؤسسة مع سانتيني وسييرا وابيبانيدا. والقضية هي أن مينيندث اشترى بطاقة يانصيب كاملة من التي سيجري السحب عليها في الغد. قال إنه لن يُري البطاقة هذه المرة لأحد، لأن لديه هاجساً بأنه سيربح الجائزة الكبرى إذا هو لم يعرض البطاقة على أحد. ولكن جابي شركة بينيارون جاء في هذا اليوم، وحين فتح مينيثدث محفظة نقوده ليدفع له، ترك ورقة اليانصيب على الطاولة بضع ثوان. لم ينتبه مينيندث إلى الأمر، ولكن روساس، وهو متطفل دائم التأهب، لمح البطاقة وحفظ الرقم في ذهنه، ثم رتب الخدعة على الفور. وكانت المزحة التي أعدها الجميع ليوم غد هي التالية: سيرتبون الأمر مع صاحب محل بيع بطاقات اليانصيب المواجه للمكتب لكي يقوم، في موعد محدد، بتسجيل الرقم ١٥٣٠١ على اللوح مكان الرقم الفائز بالجائزة الكبرى. سيفعل ذلك لبضع دقائق فقط ثم يمحوه بعدها. وقد أعجبت اللعبة بائع اليانصيب ووافق على المشاركة فيها خلافاً لما هو متوقع.

الثلاثاء ١٠ أيلول

ماحدث كان رهيباً. ففي الساعة الثالثة إلا ربعاً جاء غايثولو من الخارج وقال بصوت عالٍ: «ياللعنة. لقد كنت أشتري بطاقات يانصيب تنتهي بالعدد واحد حتى يوم السبت الماضي، وهاهي تكسب اليوم بعد أن توقفت عن شرائها». وجاء من أقصى الغرفة السؤال المعد مسبقاً: «الجائزة الكبرى تنتهي بالعدد واحد إذن؟ هل تذكر العدد الذي يليه؟» «أظنه الصفر»، كان الرد صادراً بمزاج معكر. عندئذ قفز بينيا من وراء مكتبه: «ياصاح، لقد اشتريت بطاقة تنتهي بالرقم ٣٠١»، ثم أضاف على الفور متوجهاً إلى مينيندث الذي يعمل بجوار النافذة: «انظر يامينيندث إلى اللوح. إذا كسب الرقم ٣٠١ فانني سأصبح ثرياً حقاً». ويبدو أن مينيندث قد التفت إلى الخلف بكل رصانة، بوقار شخصٍ مايزال يكبح نفسه عن الاستسلام للأوهام. ورأى الرقم المكتوب بخط كبير واضح ١٥٣٠١، فبقي مشلولاً لبرهة. ويبدو لي أنه استعرض خلال تلك البرهة جميع الاحتمالات، واستبعد كذلك أي احتمال لوجود خدعة. فليس هناك أحد سواه يعرف الرقم الذي اشتراه. وكان مقرراً أن تنتهي اللعبة عند هذا الحد. فالخطة تقول إن الجميع سيلتفون عندئذ حوله للسخرية منه. ولكن أحداً لم يكن يتصور أن يقفز مينيندث من مكانه فجأة ويخرج راكضاً حتى نهاية الممر. وحسب رواية شاهد عيان، فقد دخل، دون أن يطرق الباب، إلى مكتب الوكيل (الذي كان يستقبل عندئذ مندوب شركة امريكية)، وقد ألقى مينيندث بنفسه عملياً على الوكيل، وقبل أن يخرج هذا الأخير من ذهوله، كان مينيندث يطبع قبله مدوية على صلعته. حين علمت متأخراً بهذا التحول الذي طرأ على مسار الأمور، دخلت وراءه إلى مكتب الوكيل، وأمسكت مينيندث من ذراعه وأخرجته من هناك

بالقـوة. وبين صناديق المكابس وبراغي قطع الغيـار، وبينمـا هو يهتـز في قهـقهـات كـهربية لايمكنني نسيانها إلى الأبد، أخبـرته بالحقيقة الكاملة بصوت أقرب إلى الصـراخ. لقد أحسست بمدى فظاعتي وأنا أفعل ذلك، ولكن لم تكن ثمة وسيلة أخرى. لم أر من قبل رجلاً ينهار بهذه الصورة المفاجئة والتـامة. فـقد أعـوجت سـاقـاه، وفتح فـمه ولم يعد يستطيع اطباقه، وبعد ذلك، بعد ذلك فقط، غطى عينيه بيده اليمنى. أجلسته على كرسي ودخلت إلى مكتب الوكيل لأوضح له حقيقة ماحدث، ولكن الأبلـه لم يكن قـادراً علـى التسـامح لأن المنـدوب الأمريـكي كـان شـاهداً على اهانته: «لاتتعب نفسك بشرح قصة لايمكنني تصديقها. هذا المعتوه مفصول من عمله».

هذا هو الأمر الرهيب: إنه مفصول من عمله فعلاً، اضافة إلى سقوط حياته في هذه المرارة إلى الأبد. فهذه الدقائق الخمس من الوهم الهستيري ستبقى راسخة في ذهنه لايمكن محوها. حين علم الآخرون بخبر فصله من العـمل، ذهبوا في جـماعات إلى مكتب الوكيل، ولكن هذا السرطان بقي متشبثاً بموقفه لايلين. لاريب في أن هذااليوم هو الأكثر حزناً وفظاظة وغماً بين أيام السنوات الطويلة التي أمضيتها في المكتب. ومع ذلك، فقد توصلت رابطة القسـاة التي أعدت المزحة إلى التفاتة معقولة في اللحظة الأخيرة: فقد قـرر العـاملون في المكتب المسـاهمـة بمبـالغ صـغيرة لجمع مـايسـاوي راتب مينيندث وتقديمه إليه كل شهر، ريثما يجد عملاً آخر. ولكن، كانت هناك عقبة: فمينيدث نفسه يرفض هذه الهدية أو هذا الاصلاح للخطأ أو ماشئت من الأسماء. كما أنه لم يعد يريد التحدث مع أحد من المكتب. يالَلمسكين. إنني أؤنب نفسي لأني لم انبهه إلى الخديعة منذ يوم أمس. ولكن، ليس هناك من يستطيع أن يتصور أن رد فعله سيكون متهوراً إلى هذا الحد

الأربعاء ١١ أيلول

بعد غد هو يوم عيد ميلادي. ولكنها أرتني هداياها منذ اليوم. قدمت إلي أولاً ساعة ذهبية. ياللمسكينة. لابد أنها دفعت كل مدخراتها ثمناً لها. بعد ذلك، و بشيء من الخجل، فتحت علبة صغيرة وعرضت علي هديتها الأخرى: قوقعة حلزونية متطاولة وواضحة الخطوط. قالت: «لقد التقطها من شاطئ لابالوما في اليوم الذي أكملت فيه تسع سنوات. جاءت موجة وألقت بهذه القوقعة عند قدمي، وكأنها أعطية من البحر. أظن أن تلك اللحظة كانت أسعد لحظات طفولتي. وهذه القوقعة هي أحب الأشياء المادية إلى نفسي على الأقل. أريدك أن تحتفظ بها وأن تبقيها معك دائماً. هل يبدو لك هذا مضحكاً؟».

إن القوقعة في كفي الآن، وسأصبح أنا وإياها صديقين جيدين.

الخميس ١٢ ايلول

دييغو شخص قلق، وبتأثير منه بدأت بلانكا تتحول إلى فتاة قلقة هي الأخرى. لقد تحدثت معهما مطولاً هذه الليلة. إن مصدر قلقهما هو البلاد، وجيلهما، وفي أعماق كلا المسألتين المجردتين فإن قلقهما يدعى «نفسيهما بالذات». دييغو يريد القيام بشيء تمردي، ايجابي، استفزازي، تجديدي؛ شيء لايعرف كنهه بالتحديد. مايشعر به حتى الآن بكل زخم هو نوع من الرفض العدواني الذي مازال يفتقر إلى شيء من التماسك. إنه يرى في لامبالاة الناس عندنا أمراً مشيناً، وكذلك في انعدام الدافع الاجتماعي لديهم، وفي ديمقراطيتهم المتساهلة تجاه الغش، وفي رد فعلهم السفيه وغير المؤذي حيال الزيف. يبدو له مرعباً على سبيل المثال، أن تكون هناك جريدة صباحية فيها سبعة عشر معلقاً يكتبون مثل صبية متفائلين، وأن يكون هناك سبعة عشر مستثمراً يصرخون من فيلاتهم الفخمة في منتجع بونتا دل استي

ضد وباء الاسترخاء الرهيب، وسبعة عشر متظارفاً يستخدمون كل مالديهم من ذكاء وألمعية لكي يناقشوا بقناعة مستنبطة أدق تفاصيل موضوع لايؤمنون به، أو ليدافعوا بحماسة عن قضية يعتبرونها في أعماقهم غير عادلة. ويغيظه أن اليسار يستند، دون كثير من المواربة، على خلفية برجوازية مستقرة ذات مثل متيبسة وتواضع منافق. ويسألني ويكرر السؤال بجزع صريح واستفزازي: «هل ترى أي مخرج من هذا الوضع؟». وأنا من جهتي لاأرى مخرجاً. هنالك أناس يفهمون هذا الذي يحدث، ويرون أن هذا الذي يحدث هو سخيف وعبثي؛ ولكنهم يكتفون بالندب والعويل. هنالك حاجة إلى العاطفة، وهذا هو السر في هذا الكوكب الديمقراطي العظيم الذي صرنا إليه. لقد تحولنا خلال بضعة عقود إلى جديين وموضوعيين، ولكن الموضوعية هي شيء غير استفزازي، إنها لاتنفع في تغيير العالم، بل إنها لاتنفع حتى في تغيير بلد جيب مثل بلدنا. إننا بحاجة إلى العاطفة، ويجب أن تكون عاطفة صارخة، أو أن يكون التفكير فيها صراخاً، أو كتابتها صراخاً. يجب الصراخ في مسامع الناس، لأن صممهم الظاهري هو نوع من الدفاع الذاتي، من الجبن والدفاع الذاتي غير الصحي. يجب علينا أن نوقظ في الآخرين احساسهم بالخجل من أنفسهم، وأن نحول مافيهم من دفاع ذاتي إلى قرف ذاتي. ففي اليوم الذي يشعر فيه مواطن الاورغواي بالقرف من سلبيته الذاتية هو اليوم الذي سيتحول فيه إلى شيء مفيد.

الجمعة ١٣ أيلول

اليوم أكملت الخمسين من عمري. وهذا يعني أنني أصبحت منذ هذا اليوم في الوضع الذي يؤهلني للاحالةعلى التقاعد. إنه يوم مرصود كما يبدو لإجراء مراجعة للحساب. ولكنني كنت أقوم بمراجعة الحساب طول السنة كلها. إن أيام المناسبات تقلقني، أيام الأفراح والأتراح المحددة في

موعد بعينه. إنني أشعر بالضيق مثلاً لأنه يتوجب علينا أن نبكي في كورال جماعي على موتانا في الثاني من تشرين الثاني، وإنه يجب علينا أن ننفعل مبتهجين لمجرد رؤية العلم الوطني في الخامس والعشرين من شهر آب كل عام.

السبت ١٤ آب

لم يمر يوم أمس مع ذلك عبثاً. لقد قلت في لحظات عديدة اليوم بيني وبين نفسي: «خمسون سنة»، وكانت روحي تتسرب من قدميّ. كنت أقف أمام المرآة ولم أستطع أن أتفادى الاحساس بقليل من الشفقة، قليل من الرأفة على هذا الوجه المجعد، وعلى هاتين العينين المتعبتين، على هذا الشخص الذي لم يصل ولن يصل مطلقاً إلى أي شيء. إن ماهو أكثر مأساوية ليس في كون المرء عادياً ومتوسط الأهمية ولكنه لايعرف أنه كذلك؛ وإنما المأساوية القصوى هي في كونه عادياً ومعرفته أنه كذلك وعدم رضاه عن هذا المصير مع أن مصيره هذا من جهة أخرى (وهنا أسوأ مافي الأمر) هو العدالة الصارمة. وبينما أنا أنظر في المرآة، ظهر فوق كتفي رأس ابيبانيدا. فتوقفت عينا الشخص المجعد الذي لم يصل ولن يصل مطلقاً ليكون أي شيء، ونسي طوال ساعتين ونصف الساعة أنه قد أكمل خمسين سنة من عمره.

الأحد ١٥ أيلول

إنها تضحك. وأنا أسألها: «هل تدركين ما الذي تعنيه خمسون سنة؟»، وهي تضحك. ولكن، ربما كانت في أعماقها تدرك كل شيء. ولكنها طيبة مع ذلك ولاتقول لي شيئاً. إنها لاتريد أن تقول إنه ستأتي حتماً لحظة سأنظر فيها إليها دون جنس، لحظة لايكون فيها لامساك يدها بيدي وقع الصدمة الكهربائية، لحظة أكن لها فيها الحنان الرقيق الذي يكنه المرء

لابنة أخته أو لبنات أصدقائه أو لأقدم ممثلات السينما، الحنان الذي يصبح نوعاً من الزينة الذهنية ولكنه غير قادر على أن يَجرح أو يُجرح، غير قادر على التسبب في استثارة ندوب مندملة ولا في الإثقال على القلب، حنان وديع، سلس وغير مؤذ يبدو وكأنه تقدمٌ عن محبة الرب الرتيبة. سأنظر إليها آنذاك دون أن أستطيع الاحساس بالغيرة، لأن موسم الأعاصير يكون قد انقضى. حين تظهر سحابة في سماء الستينات الصافية، فانها ستكون سحابة الموت كما هو معروف. لابد أن هذه العبارة هي الأكثر تكلفاً بين كل ماكتبته في هذا الدفتر، ربما هي مضحكة. لماذا ينطوي ماهو حقيقي على شيء من التكلف دائماً؟ سأنظر إليها ولن أستطيع الاحساس بالغيرة من أحد؛ ستكون الغيرة من نفسي وحدها، غيرة من هذا الشخص الذي يشعر اليوم بالغيرة من الجميع. خرجت مع ابيبانيدا ومع سنوات عمري الخمسين وسرت معها ومعهن على امتداد الشارع الثامن عشر. كنت أرغب في أن يراني الناس معها. أظن أنني لم أصادف أحداً من المكتب. ولكن رأتني زوجة بيغنالي، ورآني أحد أصدقاء خيمي واثنان من أقربائها. وفوق ذلك (كم هي رهيبة هذه الفوق ذلك) التقيت عند تقاطع الشارع الثامن عشر مع شارع ياغواورون بأم ايزابيل. إنه لأمر لايُصدق: لقد مضت سنوات وسنوات على وجهي ووجهها، ولكن قلبي مازال ينقبض مع ذلك كلما رأيتها؛ الحقيقة أن مايحدث هو شيء أكثر من الانقباض، إنه احساس بالكراهية والعجز. فهي امرأة صلبة لاتهزم، صلبة إلى حد يثير الاعجاب ولايستطيع المرء معه إلا أن يرفع قبعته أمامها. سلمت عليّ بالتكتم العدواني نفسه الذي كانت تعاملني به قبل عشرين سنة، ثم أحاطت ابيبانيدا بنظرة طويلة تشخيصية وتيئيسية في الوقت ذاته. وقد أحست ابيبانيدا بالهزة، فشدت على ذراعي وسألتني عمن تكون. فقلت «إنها حماتي». وهذا صحيح: «إنها حماتي الأولى والوحيدة. فحتى لو تزوجت من ابيبانيدا، وحتى لو لم

أكن زوجاً لايزابيل يوماً من الأيام، فإن هذه المرأة الطويلة الجبارة ذات الستين عاماً، ستكون منذ الأزل وحتى الأبد حماتي الكونية، إنها حماتي التي لاخلاص منها والمنحدرة مباشرة من رب الرعب الذي أرجو ألا يكون له وجود.

الاثنين ١٦ أيلول

خرجنا من المكتب معاً تقريباً، ولكنها لم تشأ الذهاب إلى الشقة. إنها مصابة بالرشح. لهذا ذهبنا إلى صيدلية واشتريت لها شراباً مقشعاً. بعد ذلك ركبنا سيارة أجرة وأنزلتها على مسافة كوادرتين من بيتها. إنها لاتريد المجازفة بأن يعرف أبوها بعلاقتنا. مشت بضع خطوات، ثم التفتت ولوحت لي بتحية مرحة بيدها. ليس هنالك ماهو مهم في ذلك في الواقع. ولكنني رأيت في حركتها تلك الألفة والبساطة. فأحسست بالراحة في تلك اللحظة، وأصبحت متأكداً من أن ثمة تواصلاً فيما بيني وبينها، ربما يكون تواصلاً بائساً، ولكنه أكيد إلى حد مطمئن.

الثلاثاء ١٧ أيلول

لم تحضر ابيبانيدا إلى المكتب.

الأربعاء ١٨ أيلول

لقد عاد سانتيني إلى مناجاتي مرة أخرى. إنه مقرف ومسلٍ في الوقت نفسه. قال إن أخته لم تعد تأتيه لترقص أمامه وهي عارية. لقد أصبح لديها خطيب.

ابيبانيد لم تحضر إلى المكتب اليوم أيضاً. يبدو أن أمها قد اتصلت بالهاتف في أثناء غيابي، وقد تحدثت مع مونيوث. قالت إن ابنتها مصابة بالرشح.

الخمس ١٩ ايلول

اليوم بدأت افتقدها حقاً. لقد كانوا يتحدثون عنها في القسم، وفجأة أحسست بأن عدم مجيئها صار لايطاق.

الجمعة ٢٠ ايلول

لم تحضر ابيبانيدا اليوم أيضاً. لقد ذهبتُ هذا المساء إلى الشقة، وخلال خمس دقائق توضح لي كل شيء. لقد تلاشت كل وساوسي خلال خمس دقائق: سأتزوج. لقد كان غيابها هذا أكثر اقناعاً من كل الحجج التي كنت أسوقها، ومن كل الأحاديث التي أجريتها معها. كم أصبحت مدمناً عليها.. على حضورها.

السبت ٢١ أيلول

اعترفت بالأمر لبلانكا، وقلت لها ذلك بسعادة. يجب عليّ أن أخبر ابيبانيدا، يجب عليّ أن أخبرها لأني وجدت الآن كل القوة وكل القناعة التي أحتاجها. ولكنها لم تأتِ اليوم أيضاً.

الأحد ٢٢ ايلول

ألا يمكنني أن أرسل إليها برقية؟ لقد أوصتني بعدم الذهاب إلى بيتها، ولكنها إذا لم تظهر يوم غد الاثنين، فانني سأجد أي ذريعة على أي حال لكي ازورها.

الاثنين ٢٣ ايلول

رباه، رباه، رباه، رباه، رباه.

الجمعة ١٧ كانون الثاني

منذ أربعة شهور لم أدون شيئاً. ففي الثالث والعشرين من أيلول لم كن أملك الشجاعة الكافية لكتابة ذلك.

في الثالث والعشرين من ايلول، الساعة الثالثة مساء، رنّ جرس لهاتف. رفعتُ السماعة وأنا محاط بالموظفين والمعاملات والاستشارات. قال صوت رجل: «السيد سانتومي؟ انظر، من يتحدث إليك هو خال لورا. هناك خبر سيء حقاً. لقد توفيت لورا صباح اليوم».

لم أشأ أن أفهم للوهلة الأولى. لورا ليست أحداً، وهي ليست ابيبانيدا. «لقد توفيت»، هذا ماقاله صوت الخال. إنها كلمة مقرفة. توفيت تعني اجراء معاملة. «خبر سيء ياسيد» هكذا قال الخال. ومالذي يعرفه هو؟ ماذا يعرف عن كيف أنه يمكن لخبر سيء أن يحطم المستقبل والوجه والملمس والحلم؟ مالذي يعرفه، إيه؟ الشيء الوحيد الذي يعرفه هو أن يقول: «توفيت»، شيء سهل بصورة لاتطاق. ولابد أنه كان يهز كتفيه. وهذا شيء مقرف أيضاً. ولهذا السبب أقدمت على تصرف فظيع. حولت استمارة مبيعات كانت في يدي اليسرى إلى كرة، وقربّت باليد اليمنى سماعة الهاتف من فمي، وقلت ببطء: «لماذا لاتذهب إلى الخراء؟» لست أذكر جيداً. يبدو لي أن الصوت سألني عدة مرات: «ماذا قلت ياسيد؟» ولكنني أنا أيضاً قلت عدة مرات: «لماذا لاتذهب إلى الخراء؟» عندئذ انتزعوا سماعة الهاتف من يدي وتكلموا مع الخال. أظن أنني صرخت، لهثت، تفوهت بحماقات. كنت لاأكاد أستطيع التنفس. أحسست بأنهم يوسعون حول رقبتي.. يحلون ربطة عنقي. وكان هناك صوت مجهول يقول: «لقد كانت الصدمة مؤثرة»، وصوت آخر أعرفه، إنه صوت مونيوث، راح يوضح: «كانت موظفة يكن لها أشد الاحترام». وسط ضبابية تلك الأصوات كان هناك نشيج سانتيني أيضاً، وتوضيح مبتذل من جانب روبليدو حول سر الموت،

وتعليمات الوكيل الروتينية بارسال اكليل من الزهر. وأخيراً، تمكن سييرا ومونيوث من ادخالي إلى سيارة أجرة وجاءا بي إلى البيت.

فتحت بلانكا الباب مذعورة، لكن مونيوث طمأنها على الفور: «لاتقلقي ياآنسة، والدك على مايرام. أتدرين ماالذي حدث؟ لقد توفيت زميلة لنا وقد تأثر جداً. معه حق، لأنها كانت فتاة رائعة». هو أيضاً قال إنها «توفيت». حسن، ربما أحسن الخال ومونيوث والآخرون صنعاً بقولهم إنها «توفيت»، لأن لهذه الكلمة وقعاً مضحكاً جداً، وبارداً جداً، وبعيداً جداً عن ابيانيدا، بحيث لايمكن لهذه الكلمة أن تجرحها، لايمكن لها أن تدمرها.

عندئذ، عندما أصبحت في البيت، وحيداً في غرفتي، بعد أن كررت لي بلانكا المسكينة تعزيتها الصامتة، حركت شفتي لأقول: «لقد ماتت. ابيانيدا ماتت» لأن **ماتت** هي الكلمة المناسبة. **ماتت** تعني انهيار الحياة، **ماتت** كلمة تأتي من الأعماق، تحمل معها أنفاس الألم الحقيقي، **ماتت** هي التلاشي، هي الخواء العاجز والشامل، هي الهوة البسيطة.. الهوة. عندما حركت شفتي حينئذ لأقول: «ماتت»، رأيت وحدتي الكريهة، هذا الشيء الذي تبقى في داخلي، وهو قليل جداً. وبكل الأنانية التي امتلكها، فكرت في نفسي، في الجزِع المرقع الذي صرت إليه. ولكن تلك كانت في الوقت نفسه هي الطريقة الأكثر أصالة للتفكير فيها، والطريقة الأكثر شمولية لتصورها. لأنني حتى الساعة الثالثة من بعد ظهر الثالث والعشرين من ايلول كنت أمتلك في أعماقي من ابيانيدا أكثر بكثير مما أمتلك من نفسي. كانت قد بدأت تتغلغل فيَّ، تتحول إلى ذاتي، مثل نهر يمتزج تماماً بالبحر حتى يصبح في النهاية مالحاً مثل البحر. لهذا، حين كنت أحرك شفتي وأقول: «ماتت» كنت أشعر بأنني مخترق، مسلوب، خاوٍ وبلا قيمة. لقد جاء أحدهم وقرر: «جردوا هذا الشخص من أربعة أخماس كيانه». وقد جردوني. وأسوأ مافي الأمر هو أن ماتبقى مني، هذا الخُمس الذي صرته، مازال يعي

مع ذلك ضآلته وتفاهته. لقد تبقى لدي خُمس نواياي الطيبة، ومشاريعي الطيبة، وغاياتي الطيبة، ولكن الخُمس الذي تبقى من صفائي الذهني يكفيني لكي أدرك أن هذا كله لاينفع شيئاً. لقد انتهى الأمر بكل بساطة. لم أشأ الذهاب إلى بيتها، لم أشأ رؤيتها ميتة، لأن ذلك سيكون غير لائق. لأنني سأراها ولن تراني. لأنني سألمسها وهي لن تلمسني، لأنني سأعيش وهي لن تعيش. إنها شيء آخر، إنها اليوم الأخير، حيث يمكنني أن أعاملها معاملة الند للند. إنها ستبقى مثلما كانت وهي تنزل من سيارة الأجرة، حاملة الدواء الذي اشتريته لها، وستبقي مثلما سارت بضع خطوات ثم التفتت لتلوح إلي مودعة. الحركة الأخيرة، الأخيرة، الأخيرة. أبكي أتشبث بتلك الحركة. في ذلك اليوم كتبت أقول أنني تأكدت من وجود تواصل بيني وبينها. ولكن التأكد كان موجوداً طالما هي موجودة. إن شفتي تتحركان الآن وتقولان: «ماتت، ابيبانيدا ماتت»، وقد انهار التأكد، فالتأكد شيء مستهتر، شائن، ليس له مايفعله هنا. لقد رجعت إلى المكتب بالطبع، إلى حيث التعليقات تخترقني وتضجرني وتجعلني أتعفن. «لقد قالت لي ابنة خالتها أنها أصيبت برشح عادي، وفجأة، هوب! توقف قلبها». أسلمت نفسي للعمل من جديد، قمت بحل قضايا، وأجريت استشارات، وأمليت تقارير. إنني موظف نموذجي حقاً. في بعض الأحيان يقترب مني مونيوث أو روبليدو أو حتى سانتيني نفسه، ويحاولون فتح حديث ذكريات بمقدمة من هذا النوع: «حين أفكر أن هذا العمل كانت تقوم به ابيبانيدا» أو «انظر أيها الرئيس، هذه ملاحظة سجلتها ابيبانيدا». فأرفع عيني عن الورقة عندئذ وأقول: «حسن، هذا يكفي، يجب أن نواصل الحياة» نقاط التعاطف التي اكتسبتها في الثالث والعشرين من أيلول، أخذت أخسرها شيئاً فشيئاً. أعرف أنهم يتمتمون قائلين أني أناني وغير مبالٍ، وأن مصائب الآخرين لاتهزني. لاتهمني تمتمتهم. إنهم في الخارج. إنهم خارج هذا العالم الذي

كنت فيه أنا وابيبانيدا. خارج هذا العالم الذي كنت فيه أنا وابيبانيدا. خارج هذا العالم الذي أنا فيه الآن، أنا وحدي، مثل بطل، ولكن دون أي مبرر للاحساس بالشجاعة.

الجمعة ٢٤ كانون الثاني

اليوم، طوال النهار كله، أثناء تناولي الفطور، وأثناء العمل، وأثناء تناول الغداء، وأثناء النقاش مع مونيوث، كنت مستغرقاً في فكرة واحدة، تتفرع بدورها إلى أسئلة عديدة: «ماالذي فكرتْ فيه قبل أن تموت؟ ماالذي كنت أمثله بالنسبة إليها في تلك اللحظة؟ هل تذكرتني؟ هل نطقتْ باسمي؟».

الأحد ٢٦ كانون الثاني

لقد أعدت قراءة مذكراتي للمرة الأولى، ابتداء من شهر شباط وحتى كانون الثاني. يجب علي أن أبحث عن كل مذكراتها. لقد ظهرت أول مرة في المذكرات يوم ٢٧ شباط. ويوم ١٢ آذار دونت في مذكراتي مايلي: «عندما تقول لي: ياسيد سانتومي، ترمش دائماً. ليست آية في الجمال. ولكنها تبتسم بطريقة مقبولة. ووجود شيء أفضل من لاشيء» هذا كتبته أنا، هذا ماتصورته عنها في أحد الأيام. وفي العاشر من نيسان قلت: «هنالك في ابيبانيدا شيء يجذبني إليها. هذا لاشك فيه. ولكن، ماهو؟» حسن، ماذا كان ذلك الشيء؟ إنني مازلت أجهله. لقد كانت تجذبني عيناها، صوتها، خصرها، فمها، يداها، ضحكتها، ارهاقها، خجلها، بكاؤها، صراحتها، حزنها، ثقتها، رقتها، حلمها، خطوها، زفراتها. ولكن أياً من هذه الملامح لم يكن كافياً لاجتذابي باندفاع وبشكل كامل. كل فتنة فيها كانت تستند على

الأخرى. لقد كانت تجتذبني ككل متكامل. في اليوم السابع عشر من أيار قلت لها: «أظن أنني مغرم بك»، وقد ردت علي «كنت أعرف ذلك» وواصلت قول ذلك لي، إنني أسمعها تقوله، وكل هذا الحاضر يصبح شيئاً لايطاق. وبعد يومين من ذلك قلت لها: «إن ماأبحث عنه بشجاعة هو اتفاق، نوع من التوافق مابين حبي وحريتك». وقد أجابت: «حضرتك تعجبني». يالفظاعة الألم الذي تسببه هاتان الكلمتان. في السابع من حزيران قبلتها، وفي تلك الليلة كتبت أقول: «غداً سأفكر. إنني مرهق الآن. ويمكنني أن أقول أني سعيد كذلك. ولكنني حذر جداً، إلى حد لاأشعر معه بالسعادة الكاملة. حذر من نفسي، ومن الحظ، ومن هذا المستقبل الوحيد الملموس الذي يدعى غداً. وحذر تعني: غير واثق». ومع ذلك، مالذي استفدته من عدم الثقة تلك؟ هل انتهزتها لأعيش بصورة أشد زخماً وأكثر دأباً وحزماً؟ الحقيقة أنني لم أفعل ذلك. وبعدها اكتسبت شيئاً من الثقة، فكرت بأن كل شيء سيكون على مايرام طالما أن المرء يعي أنه يحب، وأنه يجد لحبه صدى وانعكاساً. في الثالث والعشرين من حزيران حدثتني عن أبويها، عن نظرية السعادة التي أبدعتها أمها. ربما كان علي أن استبدل حماتي الكونية القاسية بهذه الصورة الطيبة، بهذه المرأة التي تتفهم وتصفح. في الثامن والعشرين من حزيران وقع أهم حدث في حياتي. وقد انتهى بي الأمر أنا نفسي، أجل أنا نفسي ولاأحد سواي، إلى الدعاء: «فليستمر هذا الوضع» ولكي أضغط على الرب، لمست خشباً لاقوائم له. ولكن تبين لي الآن أن الرب منزه عن الرشوة. وحتى في السادس من تموز سمحت لنفسي بأن أدون: «وأدركت فجأة أن تلك اللحظة، تلك البرهة من الحياة اليومية، هي أقصى درجات الرخاء، وأنها منتهى السعادة». ولكنني سرعان ماصفعت نفسي صفعة تنبيه: «أنا واثق من أن الذروة هي ثانية واحدة، لحظة قصيرة، وميض عابر، وليس لأحدنا الحق في اطالة أمدها». لقد كتبت ذلك كلاماً، ولكنني أعرفه اليوم واقعاً. فقد كنت أؤمن في أعماقي بأنه ستكون

هناك اطالة، وبأن الذروة لن تكون مجرد نقطة وحسب، وإنما هضبة طويلة لاتنتهي. ولكن لم يكن لدي الحق في اطالتها، لاحق لي في ذلك بالطبع. بعد ذلك كتبت ماهو متعلق بكلمة «ابيبانيدا»، وبكل معانيها. أما اليوم، فأنني أفكر بأن كلمة «ابيبانيدا» تعني: «غير موجودة، ولن يكون لها وجود على الاطلاق». ولكنني لاأستطيع ذلك.

الثلاثاء ٢٨ كانون الثاني

هناك في الدفتر أشياء أخرى كثيرة، ووجوه أخرى كثيرة: بيغنالي، آنيبال، أبنائي، ايزابيل. لاشيء من هذا كله يهمني، ولاوجود لشيء منه، فحين كانت ابيبانيدا موجودة، تفهمتُ مرحلة ايزابيل بصورة أفضل، وتفهمت ايزابيل نفسها بصورة أفضل. ولكن ابيبانيدا لست موجودة الآن، لقد اختفت وراء ستارة سميكة وقاتمة من الخمود.

الجمعة ٣١ كانون الثاني

أدافع في المكتب بعناد عن حياتي (موتي) الجوهرية، الحميمة، العميقة. لاأحد يعرف مالذي يحدث في داخلي بالضبط. وانهياري يوم ٢٣ ايلول كان في نظر الجميع، تأثراً مفهوماً ليس أكثر. لقد أصبح الحديث عن ابيبانيدا يتضاءل الآن، وأنا لاأفتح هذا الموضوع. إنني أحميها بالقوى القليلة المتبقية لدي.

الاثنين ٣ شباط

كانت تمد إليّ يدها ولم تكن هناك حاجة لأكثر من ذلك. فهذا يكفي لكي أشعر بأنني محمي. لقد كانت تمد إليّ يدها، وكان هذا حباً أكثر من تقبيلها، وأكثر من اضطجاعنا معاً، وأكثر من أي شيء آخر. كانت تمد إلي يدها.

الثلاثاء ٦ شباط

خطرت لي الفكرة في الليلة الماضية، وقد نفذتها اليوم. في الساعة الخامسة هربت من المكتب. عندما وصلت إلى البيت رقم ٣٦٨ وضغطت على الجرس، أحسست بلدغة في حلقي وبدأت أسعل.

فُتح الباب وكنت ماأزال أسعل مثل شخص حلت عليه لعنة. كان أبوها هو الذي فتح الباب. إنه الأب نفسه الذي رأيته في الصور، ولكنه أكبر سناً، وأشد حزناً، وأكثر تعباً. سعلت بقوة أكبر لكي أتغلب نهائياً على نوبة السعال، وتمكنت من سؤاله عما إذا كان هو الخياط. فأمال رأسه إلى أحد الجانبين ليجيب بنعم. «حسن، أريد أن أصنع بدلة». أخذني إلى المشغل. «لاتفكر مطلقاً في أن تصنع بدلة عنده، فهو يصنعها كلها على مقاس دمية المانيكان». هذا ماكانت قد قالته لي ابيبانيدا. وهناك كانت دمية المانيكان: ثابتة، ساخرة مبتورة الأطراف. اخترت القماش، وعددت بعض التفاصيل، وساومت على السعر. وعندئذ اقترب من الباب الداخلي ونادى دون صراخ: «روسا». كانت ابيبانيدا قد قالت لي: «أمي تعرف بأمر علاقتنا. أمي تعرف كل شيء عني». ولكن علاقتنا لاتتضمن معرفة كنيتي أو ملامح وجهي أو طول قامتي. فعلاقتنا بالنسبة للأم كانت تعني ابيبانيدا وعشيق بلا اسم. قدمها الأب: زوجتي. السيد. . . ماهو اسمك الذي قلته؟» فكذبت عليه: «موراليس». «صحيح. . السيد موراليس» كان في عيني الأم حزن نفاذ. «سيفصل بدلة». لم يكن أياً منهما يلبس ملابس

الحداد. وكانت تخيم على الجو مرارة خفيفة، طبيعية، ابتسمت لي الأم. وكان علي أن أنظر باتجاه دمية المانيكان، لأن قواي لم تكن قادرة على تحمل تلك الابتسامة التي يمكن لها أن تكون ابتسامة ابيانيدا. فتحتْ دفتراً صغيراً، وبدأ الأب بأخذ قياساتي واملاء الأعداء المؤلفة من رقمين عليها. «هل أنت من سكان الحي؟ خمسة وسبعون». قلت: تقريباً. «أسألك لأني أشعر أن وجهك مألوف. أربعة وخمسون» «حسن، أنا أسكن في مركز المدينة، ولكنني أكثر من المجيء إلى هنا» «آه! معك حق. سبعة وستون». وكانت الأم تدون الأرقام بصورة آلية وهي تتطلع نحو الجدار. «يجب أن يغطي ساق البنطال الحذاء، أليس كذلك؟ واحد - صفر - ستة» عليّ أن أعود يوم الخميس القادم من أجل التجربة. كان هناك كتاب على المنضدة: إنه من تأليف بلافاتسكي. كان على الأب أن يخرج للحظة. فأطبقت الأم الدفتر ونظرت إلي: «لماذا جئت تفصل بدلة عن زوجي؟ من الذي نصحك بذلك؟» «آواه! لا وجود لأي شيء خاص. كنت أعرف أن ثمة خياطاً يعيش هنا، وهذا كل مافي الأمر». كان وقع كلماتي غير مقنع، وقد أخجلني ذلك. فنظرتْ إلي مرة أخرى وقالت: «إنه يعمل قليلاً الآن. منذ ماتت ابنتي». لم تقل توفت. «آه، طبعاً. وهل حدث ذلك منذ زمن بعيد؟» «أربعة أشهر تقريباً». فقلت: «آسف ياسيدتي» وأنا الذي أشعر بالمصاب ليس كألم بالضبط وإنما ككارثة، كانهيار واضطراب شاملين، أدركتْ النبرة الكاذبة في صوتي، لأن قول «آسف» ونطق هذه التعزية التافهة والمتأخرة جدا، كان وبكل بساطة مرعباً، وبدا أشبه بالقول: «لقد توفت» وكان قولي ذاك مرعباً بشكل خاص لأني قلته للشخص الوحيد القادر على فهم المعنى الآخر للكلام.. القادر على فهم الحقيقة.

الخميس ١٣ شباط

إنه يوم تجربة البدلة. لكن الخياط لم يكن موجوداً. السيد ابيانيدا غير موجود. قالت لي زوجته ذلك فور دخولي. «لم يستطيع انتظارك، ولكنه

ترك كل شيء جاهزاً لكي أقوم أنا نفسي باجراء تجربة بدلتك». ذهبت إلى الغرفة الأخرى ثم رجعت وهي تحمل الجاكيت. وعندما لبستها بدت فظيعة. لقد تأكدت في النهاية من أنه يصنع جميع البدلات فعلاً على مقاس دمية المانيكان. وفجأة استدرت إلى أحد الجانبين (الحقيقة أنها هي كانت تطلب مني أن أستدير لكي تضع بعض الدبابيس وترسم بعض الخطوط بقطعة الطباشير) فوجدت نفسي قبالة صورة لابيبانيدا لم تكن موجودة يوم الخميس الماضي. كان وقع المفاجأة شديداً جداً. كانت الأم تراقبني، وقد سجلت عيناها ملاحظة واضحة عن ذهولي البائس. عندئذ وضعت على الطاولة ماتبقى في يدها من الدبابيس وقطعة الطباشير، وابتسمت بأسى وهي واثقة تماماً من أفكارها قبل أن تسألني، «أنت . . . هو؟» وكان هناك بين الكلمة الأولى والثانية فراغ امتد ثانيتين أو ثلاث ثوانٍ، لكن هذا الصمت كان كافياً لتحويل السؤال إلى شيء شفاف. وكان لابد لي من الاجابة، وقد أجبت، دون أن أنطق كلمة واحدة؛ أجبت برأسي، بعيني، بكل كياني، وقلت نعم. أسندت أم ابيبانيدا إحدى يديها على ذراعي، ذراعي التي مازالت دون كم والتي تبرز من مشروع البدلة المسرجة وغير النافعة. بعد ذلك نزعت الجاكيت عن كتفي برفق ووضعته على دمية المانيكان. وكم كانت الجاكيت مناسبة للدمية. «حضرتك تريد أن تعرف، أليس كذلك؟» كنت واثقاً من أنها لاتنظر إلي بحقد، ولابخجل، ولابأي شيء سوى الشفقة المستنفدة والمتألمة. «لقد عرفتها حضرتك وأحببتها، ولابد أنك تتألم. أنا أعرف شعورك. إنك تشعر وكأن قلبك شيء هائل يبدأ في المعدة وينتهي عند الحلق. إنك تشعر بالتعاسة، وأنت سعيد لشعورك بالتعاسة. أنا أعرف مدى فظاعة هذه الحالة». كانت تتكلم وكأنها قد التقت بصديق قديم تناجيه، ولكنها كانت تتكلم أيضاً بأسى يفوق حزنها الحالي. «لقد مات لي شخص قبل عشرين سنة. شخص كان يمثل كل شيء بالنسبة إليّ. ولكنه لم يمت بهذه الميتة. لقد

ذهب بكل بساطة. غادر البلاد، وحياتي. غادر حياتي بصورة خاصة. وهذا أسوأ من هذه الميتة، وأنا أؤكد لك ذلك. لأنني أنا التي طلبت منه أن يذهب، ولم أسامح نفسي على ذلك حتى الآن. هذه الميتة أشد سوءاً، لأن إحدانا تبقى أسيرة ماضيها، ومحطمة بالتضحية نفسها» مرت بإحدى يديها على عنقها وظننت أنها ستقول: «لست أدري لماذا أحدثك عن هذه الأمور». ولكنها أضافت بدلاً من ذلك: «كانت لورا هي آخر من تبقى لي من ذلك الشخص. ولهذا أحس مرة أخرى بأن قلبي هو شيء هائل يبدأ في المعدة وينتهي عند الحنجرة. ولهذا أعرف مالذي تعانيه أنت» قرّبت كرسياً وجلست عليه منهوكة القوى. فسألتها: «ومالذي كانت تعرفه هي عن هذا الأمر؟» فقالت: «لاشيء. لورا لم تكن تعرف شيئاً على الاطلاق. أنا وحدي من يملك قصتي هذه. ياللكبرياء البائس، أليس كذلك؟» وخطر لذهني فجأة أن أقول: «وماذا عن نظريتك حول السعادة؟» فابتسمت وهي شبه عزلاء: «هل حدثتك عن هذا الأمر أيضاً؟ لقد كانت كذبة جميلة، حكاية جنيات لكي لاتزل قدم ابنتي، لكي تشعر ابنتي أنها تعيش الحياة، لقد كانت تلك هي أفضل هدية قدمتها إليها. ياللمسكينة!» كانت تبكي وعيناها إلى الأعلى ودون أن تمسح وجهها بيديها، كانت تبكي بكبرياء. قالت: «ولكنك تريد أن تعرف». وعندئذ روت لي تفاصيل الأيام الأخيرة والكلمات الأخيرة والدقائق الأخيرة من حياة ابيبانيدا. ولكن هذا كله لن أدونه على الاطلاق. هذا سيبقى لي وحدي.

الجمعة ١٤ شباط

«إنهما متحابان، وأنا متأكدة من ذلك، ولكنني لست أدري إذا ماكان هذا هو الأسلوب الذي يروقني في الحب». هذا ماكانت تقوله ابيبانيدا عن أبويها.

السبت ١٥ شباط

اتصل بي صديق استيبان هاتفياً ليخبرني بأن تقاعدي صار وشيكاً. سأتوقف عن الذهاب إلى المكتب ابتداء من أول آذار.

الأحد ١٦ شباط

ذهبت صباح اليوم لاستلام البدلة. ووجدت السيد ابيبانيدا يكويها. كانت الصورة تملأ الحجرة، ولم أستطع صرف نظري عنها. قال: «إنها ابنتي، ابنتي الوحيدة» ولست أدري مالذي قلته ولايهمني أن أتذكر ذلك. «لقد ماتت منذ وقت قريب». وسمعت نفسي مرة أخرى وأنا أقول: «آسف» فأضاف قائلاً على الفور: «إنه لأمر غريب، إنني أشعر الآن بأني كنت غريباً عنها، ولم أظهر لها مطلقاً مدى حاجتي إليها. مذ كانت صغيرة كنت أؤخر المحادثة العظمى التي عاهدت نفسي على أن أجريها معها. في البداية لم يكن لدي وقت، ثم بدأت هي العمل فيما بعد، كما أنني رعديد إلى أبعد الحدود. إنني أخاف أن أبدو عاطفياً. والواقع أنها لم تعد موجودة الآن، وبقيت أنا أحمل هذا العبء في صدري، هذه الكلمات التي لو أخبرتها لها لتوصلت إلى خلاصي». توقف عن الكلام لبرهة وتأمل الصورة. «كثيراً مافكرت في أنها لم ترث أي شيء من ملامحي. هل تجد فيها شيئاً يشبهني؟» فقلت كاذباً: «هنالك شيء عام» «ربما. ولكنها في الروح كانت مثلي تماماً. أو بكلمة أصح، مثلما كنت أنا. لأني أشعر الآن بالهزيمة، وحين يسمح المرء للهزيمة بالسيطرة عليه يبدأ بالتحول، يجد نفسه وقد تحول إلى تقليد ساخر وفظ لنفسه. انظر، إن موت ابنتي كان لعبة خبيثة. لست أدري جيداً إذا ماكان لعبة خبيثة من القدر أم من الطبيب. ولكنني واثق من أنه كان لعبة خبيثة. لو أنك عرفتها، لأدركت ماأعنيه». رمشت نحو عشر مرات متتالية؛ ولكنه لم يكن منتبهاً. «لايمكن القضاء على فتاة مثلها إلا في لعبة خبيثة. لقد

كانت . . (كيف يمكنني أن أوضح لك؟) كانت كائناً نظيفاً، وكائناً شديداً في الوقت نفسه، وكائناً جباراً بشدة في الوقت نفسه. لقد كانت فتنة. وأنا كنت مقتنعاً على الدوام بأني لاأستحق هذه الابنة. أما الأم فهي تستحقها، لأن روساريو قوية الشخصية . . . روساريو قادرة على مواجهة العالم. أما أنا فينقصني التصميم، ينقصني أن أكون واثقاً. هل فكرت حضرتك في الانتحار يوماً؟ أنا فكرت فيه. ولكنني لم أستطع تنفيذه مطلقاً. وهذا نقص آخر أيضاً. فلدي كل الاطار الذهني والأخلاقي للمنتحر، وماينقصني هو القوة لاطلاق رصاصة على صدغي. ربما كان السر يكمن في أنه لدى دماغي بعض الاحتياجات الخاصة بالقلب، ولدى قلبي الروائع الخاصة بالدماغ».

بقي صامتاً مرة أخرى، وكان في هذه المرة يرفع المكواة وهو ينظر إلى الصورة. «لاحظ عينيها. لاحظ كيف مازالتا تنظران رغم الموت، بل تبدوان وكأنهما تنظران إليك بالذات». بقيت العبارة معلقة وحدها. وبقيت أنا مقطوع الأنفاس. وبقي هو دون موضوع للحديث. ثم قال وهو يطوي البنطال بعناية: «حسن، لقد انتهى. إن القماش جيد. انظر كيف يكوى جيداً».

الثلاثاء ١٨ شباط

لن أذهب بعد اليوم إلى ٣٦٨. الواقع أني لاأستطيع الذهاب ثانية إلى هناك.

الخميس ٢٠ شباط

منذ زمن لم أقابل آنيبال. ولست أعرف شيئاً عن خيمي. وحديث استيبان معي يقتصر على المواضيع العامة وبيغنالي يتصل بي في المكتب وأطلب من زملائي أن يقولوا له إنني غير موجود. أريد أن أبقى وحيداً. وباختصار، أريد أن أتحدث مع ابنتي. وأن أتحدث معها عن ابيبانيدا بالطبع.

الأحد ٢٣ شباط

اليوم، وبعد انقطاع أربعة شهور، ذهبت إلى الشقة. فتحت خزانة الملابس. كانت تعبق برائحة عطرها. وماأهمية هذا الآن. المهم هو غيابها. إنني أعجز في بعض الأحيان عن التقاط الظلال الباهتة التي تفصل مابين العجز واليأس.

الأثنين ٢٤ شباط

مما لاشك فيه أن الرب قد خصني بمصير مظلم. لايمكن القول أنه مصير قاسٍ، بل هو مظلم وحسب. ومما لاريب فيه أنه منحني هدنة. لقد قاومت في البداية ولم أقتنع بأنه يمكن لهذه الهدنة أن تكون هي السعادة. قاومت بكل قواي، ولكنني استسلمت أخيراً واقتنعت بذلك. لكنها لم تكن السعادة، بل هدنة فقط. هاأنذا محشور مرة أخرى في مصيري. وهو مصير أشد ظلمة من السابق.. أشد ظلمة بكثير.

الثلاثاء ٢٥ شباط

ابتداء من الأول من آذار لن أعود إلى هذا الدفتر. لقد فقدت الدنيا أهميتها. لن أكون أنا من سيسجل هذا الواقع. هنالك موضوع واحد يمكنني الكتابة عنه. ولكنني لاأريد أن أكتب.

الأربعاء ٢٦ شباط

لقد كان الإله هو أهم ماأفتقر إليه. ولكنني أحتاج إليها الآن أكثر من حاجتي إليه.

الخميس ٢٧ شباط

أرادو أن يقيموا لي حفلة وداع في المكتب فلم أوافق. ولكي لاأجر نفسي إلى الوقوع في اساءة، قدمت اعتذاراً شديد الاحتمال، يستند إلى مشاكل عائلية. الحقيقة أنني لم أستطع أن أتصور نفسي وأنا سمج وثقيل الدم وسط حفل عشاء مرح وصاخب يتخلله تبادل الضرب بكرات من لباب الخبز واراقة الخمر على الموائد.

الجمعة ٢٨ شباط

اليوم الأخير في العمل. ليس هناك أي عمل بالطبع. لقد أمضيت الوقت وأنا أصافح الأيدي وأتلقى المعانقات. أظن أن الوكيل كان يفيض بالرضا وأن مونيوث كان متأثراً حقاً. لقد بقيت هناك طاولتي. لم أفكر مطلقاً في أنني سأهتم ولو قليلاً لتخلصي من الحياة الروتينية. أدراج مكتبي بقيت فارغة. وجدت في واحد منها بطاقة هوية ابييانيدا. كانت قد تركتها لكي نسجل الرقم في اضبارتها الشخصية. وضعت البطاقة في جيبي وهاهي معي الآن. لابد أن الصورة تعود إلى ماقبل خمس سنوات تقريباً، ولكن ابييانيدا كانت أكثر جمالاً قبل أربعة شهور. هناك أمر آخر توضح لي وتبينت أن أم ابييانيدا على خطأ: فأنا لاأشعر بالسعادة لأني منكوب. بل أشعر بأني منكوب وحسب. لقد انتهى زمن المكتب. ابتداء من يوم غد وحتى موتي سيكون الوقت كله رهن مشيئتي. هاهي البطالة بعد طول انتظار. فماالذي سأفعله فيها؟

٢٥٠٠ ط١ / ٥ / ١٩٩٧

أيمكن

لأمة/ دولة أن يكون جل مواطنيها موظفين يعيشون بالعاصمة في مكاتب حكومية أو خاصة.

ولانسان أن يصاب بجنون الحب وهو على أبواب التقاعد؟

ولموظف روتيني أن يصير شاعراً؟

تلك مفارقات رواية «الهدنة» تأليف ماريو بيندتي (١٩٢٠) وضعها بشكل يوميات حميمية السيد سانتومي، وفيها يؤرخ لحياة الموظفين، الذين يشكلون جل الطبقة الوسطى في الأوروغواي، ومايصيبها من إحباطات. وسانتومي هذا هو الذي أشعل الحب، نار الحياة في قلب كادت تنطفئ فيه كل حياة.

كما إن هذا الحب هو الذي أقحم الحركة والحياة في رواية لولاه لفارقتها الحياة.

تجري أحداث رواية «الهدنة» في مدينة مونتيفيديو، عاصمة الأرغواي «ماكوندو» بينيديتي، وفيها نصف سكان هذا البلد. وتلك مفارقة أمريكا اللاتينية أن ثوارها وروائيها تمكنوا بقدراتهم من أن يضعوا بلادهم في نقطة المحور من أحداث التاريخ العالمي بعد أن كانت على هامشها.

طبع في مطابع وزارة الثقافة

دمشق ١٩٩٧

سعر النسخة داخل القطر ١٦٠ ل.س

في الأقطار العربية مايعادل ٣٢٠ ل.س